



ربيع بزاوية مكسورة

ترجمة: علاء شنانة

رواية

نينوى

ماريو بينيديتي

ربيع بزاوية مكسورة

ترجمة

علاء شنانة

ربيع بزاوية مكسورة

اسم الكتاب: ربيع بزاوية مكسورة

المؤلف: ماريو بينيديتي

ترجمة: علاء شنانة

عدد الصفحات: 200

القياس: 14.5 * 21.5

1000/2012م - 1433هـ



سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963 +

هاتف: 2326985 11 963 +

E-mail: ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

العمليات الفنية:

التنضيد والإخراج والطباعة وتصميم الغلاف

القسم الفني - دار نينوى

إلى ذكرى أبي

(1897 - 1971)

كان كيميائياً

وكان رجلاً طيباً

لو كنت أعلم أنني سأموت غداً...

وأن الربيع سيأتي بعد غدٍ...

لكنت قبلت بالموت سعيداً... لأن الربيع

آتٍ... لا محالة.. بعد غدٍ...

فيرناندو بيسوا

تقويم منتهي، مرآة مكسورة

راؤول غونزاليس تونيون

بين الجدران
(هذه الليلة أنا وحيد)

أنا وحيد هذه الليلة، زميلي (ستعرف اسمه ذات يوم) موجود في المستوصف. إنه شخص طيب، ولكن من المستحسن أن تبقى وحيداً من حين لآخر. بإمكاني التفكير بشكل أفضل. لست بحاجة لوضع سرير هزاز كي أفكر بك. ستقولين أن أربع سنين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً وقت طويل بما فيه الكفاية للتفكير، وهذا صحيح، لكنه ليس وقتاً كافياً للتفكير بك. أستغل الفرصة للكتابة لك على ضوء القمر. فالقمر دائماً ما يهدئ من روعي، إنه كترياق. إضافة إلى أنه يضئ الورقة، ومن هنا تأتي أهميته ففي هذا الوقت ليس لدينا ضوء كهربائي. ولم يطل علينا القمر في السنتين الأولتين، لهذا أنا لا أشكي، هنالك دائماً من هو في حال أسوأ، كما استنتج ايسوبو. وحتى ما هو أسوأ بكثير، كما أستنتج أنا .

يا للفضول.. عندما يكون المرء في الخارج ويُخَيَّل له لسبب أو لآخر أنه ليس بإمكانه قضاء عدة سنوات بين أربعة جدران، سيفكر أنه لن يحتمل، وأنه سيكون بكل بساطة شيئاً لا يطاق. مع ذلك، فبالإمكان احتماله، كما ترون.. أنا احتملته على الأقل. لا أنكر أني مررت بلحظات من اليأس، بالإضافة إلى مصاحبة الألم الجسدي لهذا اليأس. لكن ما أقصده الآن هو اليأس الصرف، عندما يبدأ المرء بالحساب، وتكون النتيجة هي

هذا اليوم مضروبة بآلاف الأيام. مع ذلك، فالجسد أكثر تأقلماً من المعنويات. وهو أول من يعتاد على المواعيد الجديدة، على وضعياته الجديدة. والإيقاع الجديد لاحتياجاته، على تعبه، ومواعيد راحته الجديدة، على ما يجب فعله وما لا يجب. إذا كان لديك زميل، فبإمكانك أن تسميه دخيلاً في البداية، ولكن مع الوقت سيصبح محاوراً. زميلي الحالي هو الثامن. أظن أنني كنت على علاقة طيبة معهم جميعاً. الشجاعة هي عندما لا تتصادف حالة اليأس عند كلينا، فيعديك الآخر بيأسه، أو تعديه. أو أن يقاوم وبحزم إحداهما العدوى. وهذه المقاومة تسبب في اصطدام لغوي، كالمواجهة، وفي هذه الحالات بالضبط فظروف الخاتمة تساعد قليلاً، بل ربما توتر الأعصاب، فتدفع المرء (وللآخر) إلى التلفظ بإهانات. وفي بعض الأحيان، التلفظ بأشياء لا يمكن إصلاحها، ليتفاقم على الفور معناها نتيجة التواجد معاً بشكل إجباري وبالتالي لا يمكن تلافيها. وإذا ما وصل الأمر لهذه الصعوبة لدرجة أن لا يتبادلان الكلام، عندها تصبح الصحبة مربكة ومتوترة، ويصبح وطأها على المرء أقسى من الوحدة الكاملة. من حسن الحظ، وفي هذا التاريخ الطويل، لم يحصل معي إلا حدثاً واحداً فقط من هذا النوع، ودام قليلاً. كنا متعفنين من هذا الصمت، وفي ذات مساء نظر كل منا للآخر وبدأنا بالحديث بشكل تلقائي، ثم كان كل شيء سهلاً بعد ذلك.

منذ شهرين تقريباً لم تصلني أخبارك. لا أسالك ماذا يحصل لأنني أعرف ما يحصل، وما لا يحصل. يقولون أنه خلال أسبوع سينتظم كل شيء من جديد، أرجو ذلك. لا يمكنك تصور مدى أهمية وصول رسالة لأي منا، فعندما تكون هناك فسحة ونخرج، على الفور يُلاحظ من الذي استلم رسائل ومن لم يستلم. هناك إضاءة غريبة في وجوه الأوَّلين، برغم أنهم يحاولون في الكثير من الأحيان إخفاء سعادتهم حتى لا يحزن الآخرون الذين

لم ينالوا هذا الحظ. في الأسابيع الأخيرة، ولأسباب واضحة، كنا جميعا بوجوه معكرّة، وهذا أيضاً ليس حسناً. أي أنه ليست هناك إجابة لأي من أسئلتك، ببساطة، لأني لا أملكها. ولكن أنا لدي أسئلة أيضاً، ليست الأسئلة التي تعرفينها دون الحاجة لأن أقولها، وفي طريقي أضيف، بأني لا أحب أن أسألها حتى لا أضعك في اختبار كأن تقولي لي ذات مرة (على سبيل المزاح، أو ما يمكنه أن يكون أشد من ذلك، على سبيل الجد): «لم أعد كالسابق». كنت أريد أن أسالك عن العجوز بكل بساطة، فمنذ وقت طويل لم يكتب لي، وفي هذه الحالة لدي انطباع أنه ليس هنالك أي سبب لعدم استقبال رسائل، فقط لأنه مضى وقتٌ طويل دون أن يكتب لي، ولا أدري لماذا. أراجع أحياناً (فقط في ذهني، طبعاً) ما أذكره مما سبق وكتبت له في رسائلي الموجزة، لكن لا أعتقد بأن فيها ما يمكن أن يجرحه. هل ترينه بشكل متواصل؟ سؤال آخر: كيف تجري الأمور مع بياتريس في المدرسة؟ في رسالتها الأخيرة بدا لي شيء من الالتباس في بياناتها. هل تلاحظين أني مشتاق لك؟ برغم قدرتي على التأقلم، وهي ليست بقليلة. هذه أحد الأخطاء التي لم تعتد عليها لا معنوياتي ولا جسدي، على الأقل حتى اليوم. هل سأصل لاعتاد؟ لا أعتقد. هل اعتدت أنت؟

جرحى ومصابون

(أحداث سياسية)

- غراثييلا - قالت الطفلة و في يدها كأس -. هل تريدين ليمونادا؟

كانت ترتدي بلوزة بيضاء، بنطال من الجينز وصندل. الشعر أسود، طويل ولكن ليس بما فيه الكفاية، مربوط عند العنق بشريطة صفراء. بشرة شديدة البياض. تسع سنوات، أو عشرة، ربما.

- ألم أقل لك أن لا تناديني بغراثييلا.
- لماذا؟ أليس هو اسمك؟
- طبعاً هو اسمي، ولكني أفضّل أن تناديني بأمي.
- حسناً. لكني لا أفهم، فأنت لا تقولينِ لي ابنتي، إنما بياتريس..!
- إنه شيءٌ آخر.
- حسناً. هل تريدين ليمونادا؟
- نعم، شكراً.

تبدو غراثييلا في الثانية والثلاثين أو الخامسة والثلاثين، وربما هي كذلك. تلبس فستاناً رمادياً وقميصاً أحمر. شعر كستنائي، عينان كبيرتان ومعبّرتان. شفاه حارة، تقريبا بدون حمرة. نزعت نظاراتها بينما كانت تتحدث مع ابنتها، لكن الآن عادت ووضعتها من جديد لتعاود القراءة.

تضع بياتريس كأس الليمونادا فوق طاولة حيث هناك منفضتا سجائر، وتخرج من الغرفة، لكن تعود وتدخلها بعد خمس دقائق.

- البارحة في الصف تعاركت مع لوثيلا.

- آه.

- ألا يهمك؟

- دائما تتعاركي مع لوثيلا. يبدو أن هذه طريقة لديكما في الحب. فأنتما صديقتان، أليس كذلك؟

- نحن كذلك.

- وإذن؟

- أحيانا نتعارك كما ولو أننا نلعب، لكن البارحة كان جديا.

- حقاً..؟!

- لقد تكَلَّمت عن أبي.

تنزع غراثيللا النظارات مرة أخرى، وتولي الآن اهتماماً. وتشرب الليمونادا دفعة واحدة.

- قالت بأنه إذا ما كان أبي سجيناً فلا بد أن يكون مجرم.

- وماذا أجبت أنت؟

- أنا قلت لها بأنه ليس كذلك، هو معتقل سياسي. لكني فكرت فيما بعد بأني لا أعرف ما يعني هذا، دائماً أسمعه. لكني لا أعرف ما هو بالضبط.

- ومن أجل هذا تعاركت؟

- من أجل هذا، بالإضافة إلى أنها قالت لي بأن أباها في البيت يقول أن اللاجئين السياسيين يأتون ليأخذوا فرص العمل من أهل البلد.

- وبماذا أجبت أنت؟

- عندها لم أعرف ما أقول لها. فسددت لها ضربة.

- هكذا الآن بإمكان الأب أن يقول أن أبناء اللاجئين يعاقبون طفلته.

- في الحقيقة لم تكن ضربة، وإنما لطمة خفيفة، لكن هي ردت كما ولو أني آذيتها. انحنت غراثيللا لتصلح من جوربها، وربما لتأخذ هدنة أو لتتأمل.

- من السيئ أن تضربيها.

- أعتقد أنه كذلك. لكن، ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟

- أيضاً صحيح بأن ما كان لأبيها أن يقول هذه الأشياء، هو بالذات كان عليه أن يفهمنا أفضل.

- لماذا هو بالذات؟

- لأنه رجل ذو ثقافة سياسية.

- هل أنت امرأة ذات ثقافة سياسية؟

تضحك غراثيللا، تراخت قليلا، وداعبت شعرها.

- نوعاً ما.. نعم، لكن ينقصني الكثير.

- ينقصك لأي شيء؟

- لأصبح كأبيك، مثلاً.

- هل هو معتقل بسبب ثقافته السياسية؟

- ليس بالضبط من أجل هذا، بل لأعمال سياسية.

- هل تريدين القول أنه قتل أحداً؟

- لا يا بياتريس، لم يقتل أحداً، هناك أفعال سياسية من نوع آخر.

تصمت بياتريس، تبدو وكأنها على وشك البكاء، ومع ذلك تبتسم.

- هيا، أحضري لي المزيد من الليمونادا.

- نعم يا غراثيللا.

سيد رافائيل

(هزيمة و مهزوم)

الشيء الأساسي هو أن تتأقلم. أعلم بأنه من الصعوبة في عمري. بل هو مستحيل تقريباً. مع ذلك فبعد كل شيء، منفاي هو لي. ليس لكل شخص منفىً خاص به. فقد كانوا يريدون إلصاقي بمنفىً غريب عني. لكنهم باءوا بالفشل، وجعلت منه منفى لي. كيف حصل؟ هذا ما لا يهم. فلا هو بسر ولا إفشاء. سأقول بأنه حتى تبدأ، عليك بالسيطرة على الشوارع. الزوايا، السماء، على المقاهي والشمس، وما هو أهم، على الظل. عندما يتوصل المرء للإحساس أن شارعاً ما لم يعد غريباً. عندها فقط يتوقف الشارع عن النظر إليه كغريب، وهكذا مع كل الأشياء. في البداية كنت أمشي بعكاز، ربما كما تتطلب سنواتي السبع والستون، لكن لم تكن مسألة عمر. إنما نتيجة خمود الهمة. هناك، كنت دائماً أخطو نفس الطريق لأعود للمنزل، وهذا ما أشتاق له هنا. الناس لا تفهم هذا النوع من الحنين. فهم يعتقدون بأن للحنين فقط علاقة بالسماء والأشجار والنساء، كحد أقصى بالنضال السياسي والوطن. لكن بالنسبة لي فدائماً كان لدي أشواقاً رمادية، بل قاتمة. مثل طريق العودة للمنزل، هدوء، سكون. أن تعلم أنه يأتي بعد كل زاوية، كل مصباح، كل كشك. هنا بالمقابل بدأت بالمشي ومفاجأة نفسي، والمفاجأة كانت تتعبني. وللإضافة لم أكن آصل لمنزل. وإنما إلى

الغرفة، متعب من مفاجئة نفسي، ربما من أجل ذلك لجأت للعكاز، لأقلل من وطأة كثرة المفاجآت. أو ربما كلما لاقاني أحد أبناء بلدي، ليقول لي: «لكن، يا سيد رافائيل، هناك لم تكن تستخدم عكاز»، وأنا بإمكاني أن أجيبهم: «حسناً، أنت أيضاً لم تكن تلبس قبعة.» مفاجأة بمفاجأة. أحد تلك الدهشات كانت في دكان أقنعة، بألوان فاقعة، لها أثر تنويمي، لم أستطع الاعتياد على الأقنعة، برغم أنها كانت هي نفسها دائماً، لكن بالإضافة لموضوع الأقنعة، كانت أمنيتي تتكرر، أو ربما توقعي، بأن تتغير الأقنعة، وكنت أندهش يومياً من إيجاد نفس الأقنعة، ولذلك ساعدتني العكاز، لماذا؟ لأي شيء؟ حسنا، لأستند إليها كلما واجهتني هذه الخيبة المتواضعة في كل المساءات، أقصد كلما كنت أتأكد أن الأقنعة لم تتغير، وعلي أن أعترف بأن توقعي لم يكن سخيفاً لهذه الدرجة، فالقناع ليس وجهاً، إنه مصطنع، أليس كذلك؟ فالوجه يتغير فقط لظرف طارئ، أقصد في هيكليته، ليس في تعابيره، فهذه نعم هي متغيرة. بالمقابل، بإمكان القناع أن يتغير لآلاف الأسباب، لنقل: للتجريب، للاختبار، للتعديل، للتحسين، للأسوأ، للاستبدال. فقط بعد مضي ثلاثة أشهر فهمت أني لا يمكنني انتظار شيء من الأقنعة، لن يغيروا من هذه القمامة، هذا العناد، وأخذت بالتأمل في الوجوه. في النهاية، كان تغييراً جيداً، فالوجوه لا تتكرر، تأتي الوجوه باتجاهي، وتركت عندها العكاز، لم يكن هناك داع للاستناد لمقاومة الذهول، ربما لن يتغير كل وجه مع الأيام، وإنما مع السنين، ولكن الوجوه التي كانت تأتي باتجاهي (ما عدا متسولة نافرة العظام وخجولة) كانت دائماً جديدة، ومعها كانت تأتي كل الشرائح الاجتماعية، بسيارات فاخرة ومتواضعة، في حافلات أو في كراسي متحركة، أو ببساطة على أرجلهم. لم أشتاق للطريق في مونتيفيديو و كونسابيدو، في طريق العودة للمنزل كان في المدينة الجديدة «ديروتيرو» جدد، ديروتيرو تأتي من هزيمة، أعرف ذلك،

هزيمتنا لن تكون كاملة، ولكنها هزيمة. لقد فهمته، ولكني تأكدت من ذلك تماماً عندما أعطيت الحصة الأولى، وقف الطالب وطلب الإذن ليسأل، وسأل: «أستاذ، لأي سبب تحوّل بلدك بسرعة من ديمقراطية ليبيرالة مستقرة ليصبح دكتاتورية عسكرية؟» طلبت منه أن لا يناديني أستاذ، ليست من عاداتنا، لكني طلبت منه ذلك لكي أرتب الإجابة، قلت له ما هو معتاد: بأن التحوّل بدأ قبل ذلك بكثير، ليس في الهدوء، وإنما في باطن الهدوء، وأخذت أسجل على السبورة عناوين مختلفة، التواريخ، الميزات والفروع. جلس الشاب، وأنا قرأت في عينيه المتفهمة كل أبعاد هزيمتي، هزيمتي. ومنذ ذلك الوقت وأنا أعود كل مساء عبر طريق مختلف من ناحية أخرى، أنا الآن لا أعود إلى غرفتي، ولآ إلى المنزل أيضاً، إنها ببساطة شقة صغيرة، أي بمعنى منزل بتصنّع (غرفة وملحقاتها) لكن المدينة الجديدة تعجبني، لم لا؟ أناسها - حمداً لله - لهم عيوبهم. وهو لشيء مسلي أن أختص بهم، والحسنات - بالطبع لديهم منها - بشكل عام مملة أما العيوب، لا. التصنّع، على سبيل المثال، إنها منطقة عجيبة، حيث لم أستطع أن اختص أبداً، فعكازي دون أن أذهب بعيداً كانت تهديداً بالتصنّع، ومع ذلك كان علي أن أتخلى عنها عندما أحس بالتصنع، أزدري نفسي قليلاً، وهذا شيء في غاية السوء، لأنه ليس على المرء أن يحتقر نفسه أبداً، إلا إذا ما كان هناك أسباباً موجبة له، وليست هذه حالتي.

منـافـي

(حصان أخضر)

تزحلق في فندق قبل ستة أشهر، في مدينة أخرى، ليرتطم رأسه بقوة على الأرض. أعطبت شبكة العين نتيجة لهذا الانزلاق وأجروا له الآن عملية. وبحسب تعليمات الأطباء كان عليه أن يرقد خمسة عشر يوماً، بعينين مضمدتين، أي بمعنى أنه خلال هذه الفترة سيكون معتمداً على زوجته بالكامل. كان الجرّاح يأتي كل اثنتان وسبعون ساعة، ليكشف عن العين، وليتأكد أن كل شيء على ما يرام، ويعود ليضمدها. كان ينصح بعدم استقبال زيارات على الأقل في الأسبوع الأول، بداعي المحافظة على الهدوء الكامل. لكن نعم كان بإمكانه الاستماع للراديو وآلة التسجيل، وبالطبع استقبال المكالمات الهاتفية.

أخبار المذياع لم تكن فقط غير مملة، كما في الأيام الجيدة، وإنما كانت أحياناً تثير القشعريرة، ففي كانون ثاني من عام 1975 كان من المعتاد أن تظهر عشر أو اثنتي عشر جثة يومياً في مزابل المدينة، وبين نشرة أخبار وأخرى، كان يتسلّى بالاستماع إلى كاسيتات شيكو بواركي، لفيغليتي، لناتشو غيفارا، لسيلفيو رودريغيز، التروتة لشوبيرت وأحد قطع بيتهوفن.

تسلية أخرى كانت اقتراح صور على نفسه، وتحولت هذه لتصبح

من أكثر الأعمال التي تشد انتباهه، لأنها كانت تتضمن عنصراً إبداعياً، ففي نهاية المطاف كانت أكثر أصالة من بساطة ما تسجله رؤية الأشكال التي تطرحها في الحقيقة، الآن لا، فالآن كان هو من يخترع ويجمع هذه الحقيقة، وتلك كانت تظهر في كل التقاطيع والألوان في الجدار الداخلي لعيونه المغلقة، كانت اللعبة محرّضة للتفكير، مثلاً: الآن سأصنع حصاناً أخضر تحت المطر، ولتظهر في قفا أجفانه الثابتة، لم يكن يجرؤ أن يثب أو يعدو، لأن تعليمات الطبيب كانت بأن لا تتحرك الحدقات، ولم يكن متأكدا في اكتشافه الحديث إذا ما كانت الحدقة المغلقة بإمكانها أن تشعر أو لا باغواءات متابعة عدو الحصان الأخضر، لكن بالمقابل كان يمنح نفسه كل الحرية لتصوّر صوراً ثابتة، لنقل: ثلاثة أطفال (إثنان شقر وواحد أسود، كما في الإعلانات الأمريكية الاحتكارية الضخمة)، الأول بمزلجة، الثاني مع قطة والثالث مع مقبض للكرة، أو أيضاً، لم لا، فتاة عارية، حيث سيختار بكل عناية تفاصيلها قبل أن يحدد صورتها، أو صورة بانورامية لشاطئ في مونتيفيديو، بأماكن تملأها ظلال بألوان حية، وأخرى بالمقابل شبه صحراوية، أو رجل عجوز، ملتحي وبنطال قصير، مصطحباً كلباً حيث يراقب هذا سيده في حالة وفاء صارم.

عندها رن الهاتف وكان من السهل عليه أن يمد يده، كانت صديقة جيدة، وكانت بالطبع تعرف أمر العملية لكنها لم تسأل كيف أحواله ولا إن كانت الأمور على ما يرام، وأيضاً كانت تعرف أن شقة آل هيراس وبويرريدون لا تطل على الشارع، نعم فالبكاد من خلال شباك صغير في الحمام كان يمكن رؤية ثلاثة أو أربعة أمتار من الساحة. مع ذلك، قالت: «أكلمك ليس لأكثر من أن تطل من الشرفة لترى ما أجمل الموكب العسكري أمام منزلك.» وأغلقت. عندها قال

هو لزوجته أن تنظر من شباك الحمام. إلى ما لا يمكن توقعه: إنها عملية تمشيط.

«يجب حرق بعض الأشياء». قال هو، وتخيّل النظرة القلقة لزوجته، وبالرغم من الحالة الطارئة إلا أنه حاول أن يهدئ من روعها ما أمكنه: «ليس هناك شيء خفي، فإذا ما دخلوا هنا سيجدوا أشياء يمكن شراءها من أي كشك، كقصص التشي غيفارا أو الإعلان الثاني لهافانا (لا أقول فانون أو غرامشي أو لوكاش، لأنهم لا يعرفون من هم)، أو بعض الأعداد من المجلة الحزبية أو للجريدة اليومية (أخبار)، يكفي هذا لنواجه مشاكل.»

أخذت هي تحرق كتب وصحف، بينما كانت تلقي نظرات متفرقة للساحة الخارجية. كان يجب فتح شبابيك أخرى (التي تطل على الحديقة في العمق، وكانت تفصل البنائين) حتى يتخلصوا من الدخان ورائحة الحريق، هكذا خلال عشرين دقيقة، كان هو يحاول أن يوجهها: «انظري، في الرف الثاني، الكتاب الرابع والخامس على الشمال، هناك المنطق والماركسية، في جزئين، هل ترينه؟ حسناً، في الرف السفلي، هناك قصص الحرب الثورية والدولة والثورة.»

أيضا سألته هي إذا ما كان يجب حرق السينما الاشتراكية و ماركس وبيكاسو. هو قال بأنه يجب حرق الكتب الأخرى أولاً، فهذه بإمكان المرء الدفاع عن نفسه بشأنها: «لا تلقي بالرماد في القمامة، استعملي التواليت». الدخان جعله يسعل قليلاً. «ألن يؤذي هذا عينيك؟» «ربما، لكن يجب اختيار الأقل سوءاً. لكن لا أعتقد ذلك، فهما مضمدتان جيداً.»

عاد الهاتف ليرن مجدداً. الصديقة مرة أخرى: «كيف الحال؟ هل أعجبك الموكب؟ من المؤسف أنه انتهى مبكراً، أليس كذلك؟» «نعم»، قال

هو، متنفسا بعمق: «كان رائعاً، يا للنظام، يا لها من ألوان وأناقة، منذ كنت صغيراً وأنا أفتن باستعراضات الجنود، شكراً لإخباري».

«حسناً، لا تحرقي المزيد، على الأقل اليوم. لقد ذهبوا»، تنفست هي أيضاً، لّمت بالرفش آخر الرماد، رمته في التواليت، سحبت السيفون، وراقبت إذا ما كان الماء قد جرفها. غسلت يديها، وعادت لتجلس مسترخية أخيراً بجانب السرير. استطاع هو أن يصل ليدها: «غدا نحرق البقية»، قالت هي، لكن بهدوء: «إنه لأمر محزن. فهي نصوص أحتاج إليها أحياناً.»

عندها حاول أن يفكر في الحصان الأخضر تحت المطر، لكن لم يدرِ لماذا بالضبط، فقد أصبح الآن الحصان أسوداً داكناً يمتطيه فارس قوي بقبعة عسكرية بدون وجه، على الأقل هو لم يستطع تمييزه في الجدار الداخلي لأجفانه.

بياتريس
(الفصول)

الفصول هي على الأقل الشتاء، الربيع والصيف. الشتاء مشهور بربطات العنق والثلج. عندما يرتجف المسنون والمسنات في الشتاء يقال أنهم يرتعشون. أنا لا أرتعش لأني طفلة ولست عجوز، إضافة إلى أني أجلس بجانب المدفأة. في شتاء الكتب والأفلام هناك المزالق الجليدية، ولكن ليس هنا، أيضاً لا يوجد هنا ثلج. كم هو ممل الشتاء هنا، ومع ذلك، فتوجد رياح عظيمة وتشعر بها أشد ما تشعر في الأذنين. جدي رافائيل يقول أحياناً بأنه سينسحب إلى مخدعه الشتوي، ولا أدري لماذا لا ينسحب إلى مخدعه الصيفي؟! لدي انطباع بأنه في الأخريات سيرتعش لأنه مسن بما فيه الكفاية. لا يجب قول مسن أبدا وإنما عجوز. يقول طفل في صفي أن جدته هي مسنة شمطاء، أنا علمته بأنه في كل الأحوال يجب القول عجوز شمطاء.

فصل آخر مهم هو الربيع. أمي لا تحب الربيع لأنه حدث أن قبضوا على والدي في هذا الفصل. أن كلمة ابريندييرون بدون h هي للذهاب إلى المدرسة. لكن مع h هي كما الذهاب إلى الشرطة.

فلقد امسكوا بوالدي ب h وبما أنه كان الربيع فقد كان يلبس كنزة خضراء. تحصل أشياء لطيفة في الربيع كما عندما يسلفني صديقي أرنولد

المزلجة، أيضاً هو يسلفها لي في الشتاء لكن غراثيللا لا تسمح لي لأنها تقول بأن لدي قابلية للإصابة بالزكام. لا يوجد في الصف أحد آخر لديه هذه القابلية. إن غراثيللا هي أمي. شيء رائع آخر في الربيع هو الزهور.

أما الصيف فهو بطل الفصول لأنه هناك شمس وليس هناك مدرسة، في الصيف النجوم هي حصراً من يرتعد. كل الناس يتعرقون في الصيف، وعندما يتعرق المرء في الشتاء فهذا يعني أن لديه التهاباً رئوياً، جبيني يتعرق في الصيف، ويذهب الفارّون (من الجندية) في الصيف إلى الشاطئ بملابس البحر حيث لا يستطيع أحد التعرف عليهم، أنا لا أخاف من الفارين في الشاطئ ولكن أخاف من الكلاب والأمواج. صديقتي تيريسيتا لم تكن تخاف من الأمواج، لقد كانت شجاعة وذات مرة كانت على وشك أن تغرق. واضطر أحدهم لإنقاذها، أما الآن هي أيضا تخاف من الأمواج ولكن ما زالت لا تخاف من الكلاب.

غراثيللا، أي أمي، كانت تصر وما زالت تصر بأن هناك فصل رابع يدعى الخريف. أنا أقول لها أنه بإمكانه أن يكون ولكني لم أره. تقول غراثيللا بأنه تكثر في الخريف الأوراق اليابسة، إنه شيء جيد أن يكون دائماً هنالك وفرة غزيرة لشيء حتى ولو كان في الخريف. إن الخريف هو الفصل الأكثر غموضاً من بين الفصول لأن الجو لا يكون بارداً ولا حاراً وعندها لا تعرف ماذا يجب أن تلبس، ربما من أجل هذا لا أعرف أبداً متى يكون الخريف. إن لم يكن هناك برد أفكر بأنه الصيف وإن لم يكن هناك حر أفكر بأنه الشتاء، لأكتشف أنه كان الخريف. لدي ملابس للشتاء، للصيف والربيع، لكني أظن أنها لن تنفع للخريف. حيث يقبع والدي الآن أزّف الخريف للتو ولقد كتب لي بأنه سعيد لأن الأوراق اليابسة تمر من بين القضبان وهو يتخيل بأنها رسائلي.

بين الجدران
(ماذا عن أشباحك ؟)

كنت اليوم أنظر بتأنٍ للبقع في الجدار. إنها عادة تأتي منذ أيام طفولتي. كنت في البداية أتخيل وجوه، حيوانات، أشياء انطلاقاً من هذه البقع، ثم بعد ذلك، كنت أخلق خوفاً مرعباً في علاقتها ببعضها. وجيد أن تحولها لأشياء أو وجوه دون الشعور بالخوف، لكنه أيضاً يستدعي بداخلي شعوراً بالحنين لذلك العمر البعيد، حيث كان الخوف الأشد، تحرضه بقع شبحية صنعها المرء بنفسه. الدوافع البالغة، أو ربما الاعتذارات البالغة للخوف الذي سيأتي فيما بعد، ليست شبحية، وإنما هي حقيقية بشكل لا يحتمل. مع ذلك، فأحياناً نضيف إليها أشباحاً من صنعنا، ألا تظني؟ بالمناسبة، كيف هي أشباحك؟ امنحها بروتين، لئلا تضعف. فحياة بدون أشباح ليست جيدة، أن تقتصر الحياة فقط على وجود أشخاص من لحم ودم؛ لكني أعود إلى البقع، كان زميلي يقرأ مستغرقاً في كتابه بيدرو بارامو، فقاطعته لأسأله إذا ما كان دقق ذات مرة في أحد البقع، على الأغلب من الرطوبة، قريبة من الباب. «ليس بالضرورة، لكنك الآن وأنت تذكرها، أرى بأنه صحيح، فهناك بقعة. لماذا؟»، وضع وجهاً مندهشاً ولكن أيضاً فضولي. عليكِ أن تفهمي بأنك عندما تكوني هنا، كل شيء بإمكانه أن يصبح مثيراً للاهتمام، ولا أقول لك ما يعنيه أن نفرّق مع الوقت بين عصفور بين القضبان، أو (كما حصل معي في زنزانة سابقة) أن

يصبح فأراً صغيراً، محادثاً في ساعة صلاة الاعتراف، أو في ساعة الكابوس، كما فسرّت سونيا، هل تذكري؟ حسناً، قلت لزميلي أني سألته لأنه يهمني أن أعرف إذا ما كان بإمكانه أن يتعرف على شكل ما (بشري، حيوان أو بكل بساطة لجماد) في هذه البقعة، فنظر إليها لبرهة بتمعن، ثم قال: «وجه ديغول. فظيع...» فأنا بالمقابل استدعيت ذكرى مظلة، قلت له ذلك وأخذ بالضحك لحوالي عشر دقائق. هذا شيء جيد آخر، عندما يكون المرء هنا: أن ضحك، لا أدري إذا ما كان يضحك حقيقة برغبة، تبدو كما ولو أن الأحشاء تعتدل على الفور، وكما لو أنه فجأة تتواجد أسباب للتفاؤل، أو كما ولو كان هنالك معنى لكل هذا، فيجب على المرء أن يعالج نفسه عن طريق الضحك كعلاج وقائي من الأمراض النفسية، لكن المشكلة تكمن هنا، كما بإمكانك أن تتخيلي، فلا توجد أسباب كافية للضحك، فمثلاً: عندما يزداد ثقل الوقت الذي لم أركم فيه: أنت، بياتريس، العجوز. وبالذات عندما أفكر في الوقت الذي يجب أن يمر حتى أعاود وأراكم، عندما أقيس قيمة هذا الوقت، ليس هناك داع للضحك، أعتقد أيضاً ولا للبكاء، أنا على الأقل لا أبكي، لكني لا أفاخر بهذا الإمساك العاطفي. أعلم من الكثيرين بأنه هنا فجأة يجهش أحدهم بالبكاء دون عزاء خلال نصف ساعة، ثم يظهر من هذا البئر بحالة أفضل ومعنويات أحسن، كما ولو كانت هذه التفريجة تفيد كضابط..! بشكل آني أحياناً أتأسف لأني لم أمتلك هذه العادة، لكن ربما كنت أخاف من أن أضعف، وأن لا تكون حالتي الشخصية هي ضبط وإنما العكس، فلدي على الدوام ما يكفي من البراغي وهي في منتصف شدها حتى لا أخاطر بضرر أشد، ثم، حتى أكون معك غاية في الصراحة، لا أبكي ليس لأني خائف من أن أضعف، وإنما ببساطة لا رغبة لدي بالبكاء، بمعنى، أنه لا تأتيني الرغبة، وهذا لا يعني أني لا أعاني من غموم ولوعات وتسليات أخرى. سيكون غير طبيعي نعم، في هذه الظروف، أن لا توجد لدي. لكن لكل أسلوبه، وأسلوبي هو

أن أعالج هذه الأزمات الصغيرة بكبحها عن طريق المنطق، وأستطيع أغلب الأحيان الوصول لذلك. بالمقابل هناك مرات أخرى حيث ليس هناك تعليل أو تعقّل يفيد، فأمزّق بعض الشيء ما هو تقليدي (من كان؟) سأقول لك انه أحيانا هناك هواجس للعقل حتى القلب لا يفهمها. كلميني عن نفسك، عما تفعلين؟ عما تفكرين؟ عما تشعرين؟ كم أتمنى لو أسير في الطرقات التي تمشيها أنت الآن، حتى يكون هناك شيء مشترك بيننا أيضاً. تلك أحد مساوئ أن تسافري قليلاً. وأنت نفسك، لو لم تحصل كل تلك الظروف الغير متوقعة، من المتوقع بأن لا تكوني قد سافرتي أبدا إلى المدينة، لهذا البلد. ربما، لو ظلت الأمور تسير سيرها الطبيعي (طبيعي؟) لحياتنا، لزواجنا، لمشاريعنا قبل فقط سبع سنوات، لكنا اجتمعنا ذات يوم لنقوم برحلة أطول (لا أتكلم عن الرحلات القصيرة إلى بوينس ايرس، أسونثيون أو سانتياغو، هل تذكرين؟)، لكانت وجهتنا ستكون بالتأكيد أوروبا، باريس، مدريد، روما، وربما لندن. كم يبدو كل هذا بعيداً..! هذا الزلزال هبط بنا إلى الأرض، إلى هذه الأرض، والآن كما ترين إذا ما كان عليك أن تخرجي فستفعلينه إلى بلد آخر في أميركا، وهذا منطقي، حتى أنه اليوم، والذين لأسباب مختلفة موجودون في استوكهولم أو باريس أو بريسثيا أو أمستردام أو برشلونة، بالتأكيد يرغبون أن يكونوا موجودين في أحد مدننا. فبعد كل شيء، أنا أيضا بقيت خارج البلد. أنا أيضاً أشتاق إلى ما تشتاقون إليه، المنفى (خارجي، داخلي) سيكون مفتاح لهذا النموذج. هل تعرفون، من المحتمل أن يشطب أحد ما هذه العبارة، لكن من سيفعلها يجب أن يفكر بأنه أيضاً هو بإمكانه أن يصبح بشكل غريب ما، لاجئاً من الوطن الأصلي، وإذا ما نجت الجملة، ستكونين قد انتبهت كم أنا متفهم. أنا نفسي أدهش نفسي..! إنها الحياة، يا عزيزتي، إنها الحياة..! وإن لم تنجو، فلا تقلقي، لم تكن مهمة. قبلي نفسك كثيرا نيابة عني.

الآخر
(شاهد أوحد)

«يا له من سواد تحت العين»، قال وقال لنفسه رولاندو أسويرو أمام المرآة وصدئها. «أستحق ذلك لأني شربت كثيراً»، أضاف محاولاً أن تصبح عيناه كبيرتان، ولكنه فقط استطاع أن يعطيهما تعبيراً بشكل نهائي حيث بدا كمعتوه. «غوريللات»، لفظ ذلك ببطء واضطر أن يبتسم بالرغم من اللصقة، هكذا دعا سيلفيو العسكريون دائماً، عندما كانوا يجتمعون في مزرعة المنتجع سوليس، قبل أن يقرر المستقبل أن يكون سيئاً ولا حتى هم غوريللات، شخّص، بالكاد هم غوريللات. إضافة إلى شمبانزيات. باختصار غوريلشمبانزيات.

كانوا الأربعة قد اجتمعوا: سيلفيو، مانولو، سانتياغو وهو، في الإجازة الأخيرة التي استمتعوا بها. أيضاً كانت هناك النساء، أي الزوجات. في الحقيقة ثلاثة: ماريا دل كارمن، العمة وغراثيللا، لأن رونالدو اسويرو، كان دائماً عازباً محترفاً، ولم يكن يريد أبدا خلط برامجه العرضية مع علاقات أصدقائه العاطفية المستقرة زيادة عن اللزوم. وكانت للنساء دائما القال والقيل والموضة والأبراج ووصفات الطعام، على الأقل في تلك الفترة، وربما لذلك كانوا تقريباً ينشئون دائماً معسكراً جانبياً لينظمّوا شؤون العالم، وكانوا على وشك. سيلفيو مثلاً، كان رائعاً، لكن ساذج..! لم يكن أبداً

قادراً على تحقيق شيء ايجابي، متأكد، ومع ذلك طُعِن في الظهر، وأيضاً طعنوه في ظهره لذلك هو الآن في «البوثيو»، لمعلومات أكثر في مقبرة حمويه، اللذان ما زالا يملكان نقود رغم أنهما حزينان.

والسمينة ماريا دل كارمن، في برشلونة، بطفلين، تبيع الأواني في ساحة الرمبلة أو حيث وضعوها. مانولو كان لاذعاً، حاداً و قارصاً، ثلاث كلمات متصلة ولكن ليس تحديداً مترادفة. وإنما كانت ستاراً لخجله، والدليل أنه لم يكن يتجاوز حدوده معهم، فقد كان ينهي نقاشاته معهم بلطف وتفهم.

سانتياغو كان الأكول، بالتأكيد، لكنه كان بالذات شخصاً طيباً. كان يعرف في علم النبات والماركسية وجمع الطوابع والشعر، وأيضاً كان أرشيفاً حياً لتاريخ كرة القدم. وليس فقط في هدف بينديني في العظيم زامورا، أو هدفك يا هكتور! في الملحمة الاوليمبية. فقد كان هذا أصبح ذكرى فلكلورية. كان لسانتياغو بالإضافة لذلك في الذاكرة الحافلة بكل الأرقام القياسية، مباراة تلو أخرى، للمزدوج نازاسي - دومينغوس (كان بخيلاً حتى العظم) أو لبيروشو بيتروني، حيث في فترة، كانت كل عشر رميات، ثمانية منها خارج الهدف، بالتأكيد، لكن الاثنتان الأخريات كانتا تنفعان بمعجزة لزيادة النقاط، وأيضاً، بهدف أن يروه بأنه ليس مصيب، معتمداً على النحيف تشيافينو الذي كان عبقرياً حتى بشخصيته، وهذا هو الأصعب في العمل المركّز، والاحترام الذي ألهمه دائماً شخص يدعى اوبدوليو، الذي كان مطيعاً، علماً أنه لم يكن ضعيفاً، حتى بالنسبة للقرد غامبيتا..

«والآن يا له من سواد تحت العين.» قال وقال لنفسه رولاندو أسويرو أمام المرآة الصدئة بأماكن ثلاثة: «اعتدت على الأحزان، شربت سنواتي». لقد اعتاد في الحقيقة على الأحزان، لكنه شرب شيئاً آخر. وهنا السر، فكر في الصعب: لماذا من حين لآخر- لنقل مرة واحدة في الشهر-يتشبث

بالشراب؟ وبالمقابل، بين عمل وآخر يبقى سكراناً تماماً وتقريباً دون أن يشرب؟ لأنه من حين لآخر يتعاطى مشروب الكلاريتي (أو روزي، كما من المعتاد أن يلقبه من يعانون من إشكاليات في الضمير)، وكلاريتي هو تقريباً كوكتيل بالكثير من المنشطّات الجنسية. ربما لأن السوداوية معتمدة على الأقمار، شيء كقانون النساء.. حسناً، ليس فقط بالنساء، أيضاً إحدى عشر ألف عذراء أما الأم فهناك واحدة، يا لها من نسبة غير متكافئة! أليس كذلك؟ فبعد كل شيء، من الأفضل أن تكون سكيّراً معروفاً على أن تكون كحولياً مجهولاً ..! من يكون هو الذي اخترع هذه الحكمة؟ فالحقيقة الجميع يتعرض للكحوليين المجهولين. أن يشرب المرء أو لا يشرب، هذا يتفق مع متطلباته الشخصية أو سخرياته أو حاجاته أو اشتياقاته أو عدم السيطرة على نفسه، وليس متفقاً مع الصرامة أو تمازج الأصالة. «يا لها من موزة (عضو) لطيفة الأصالة»، يفكر رولاندو أسويرو وهو يمارس العادة السرية، ويركز انتباهه في زر البنطال الذي يعطي على نهر برافو الغني والمتدفق. «يا لها من موزة لطيفة. هناك حملة أخلاقية ضد المارتيني أو البوربون في كل فجر، لكن هناك حملة لصالح النابالم في كل فجر».

آه لو كان بإمكاني إلقاء اللوم على الامبريالية فيما يخص سواد العيون هذا، لكن لا. شاهد أوحد هو ضوء القنديل. ليس بحاجة لعلاج جماعي ولا فردي. اللعنة على المنفى، أليس كذلك؟ حتى أن المحلل النفسي المسكين عانى منه، هناك حيث رفض أن يعطيهم أرشيفات مرضاه المعارضين واحتد أكثر عندما طلبوا منه أرشيفات المعارضين المرضى القدامى. وبالطبع، عانى كثيراً. إن للسجن علاجه الخاص، لا يحتمل منافسين، شاهد أوحد. سيلفيو قد مات، مانولو في غوتينبرغ، سانتياغو في السجن. وماريا دل كارمن أرملة للقمع، تبيع الأواني، والعمة منفصلة عن مانولو، وهي الآن مع روحاني جاد (سأذهب مصطحباً معي السردينة

استيفيز، لقد كتبت له قبل حوالي عام)، فهو في لشبونة. وغراثيللا هنا، مشوّشة ولذيذة، مع بياتريس إبنة سانتياغو وتعمل كسكرتيرة، وهو؟ يا له من سواد».

الناس في هذا البلد المبارك والملعون هم حقا نحيفون، بالنسبة له، لا يمكن إنكار ذلك، فهو يحب هؤلاء المبتسمين، لا سيما هنّ. لكن هناك أيام وليالي حيث لا تعجبه النساء هنا كثيراً، إنها الأيام والليالي حيث يشتاق لسوء التفاهم، أيام وليالٍ حيث عليه أن يشرح كل شيء ويستمع لكل شيء. أحد الإمتيازات القليلة من ممارسة الحب مع بنت البلد هي أنه إذا ما في لحظة معينة (ساعة الصفر تلك التي تصدح إثر الطوارئ، النشوة والانتعاش) حيث لا يستحب المرء الكثير من الكلام، بالإمكان لفظ أو الاستماع لأمور مقتضبة، لكن كل شيء بإمكانه أن يكون مليئاً بسوء التفاهم، لمعاني ضمنية، ضامرة، لصيغ الماضي المشتركة، من يعلم؟! ليس هنالك ما يمكن شرحه ولا أن يُشرح. ليس من الضروري البكاء على أغنية شعبية، بإمكان الأيدي أن تتحرك لوحدها دون كلمات، بإمكان الأيدي أن تصبح معبّرة، والكلمات أيضاً ولكن فقط عندما تقودها حافلة التفاهم. «أنظر اللغة التي بإمكانها أن تتسع في لغة واحدة»، يقول ويقول رولاندو أسويرو، مواجهاً لصورته، ويضيف، مكرراً ومندهشاً: «يا له من سواد تحت العين».

منافي

(دعوة حميمة)

نحو السادسة مساءاً تقريباً ليوم الجمعة 22 آب من عام 1975. كنت أقرأ، بدون قلق، في الشقة التي كنت استأجرها في شارع شل في ميرافلورس في ليما، عندما دقّ أحد في الأسفل الجرس وسأل عن السيد ماريو اورلاندو بينيدتي. هذا لم يرق لي، فإسمي الثاني موجود فقط في أوراقي الرسمية ولا أحد من بين أصدقائي يدعوني هكذا..!

هبطت، وكان هناك شخصاً مدنّياً أظهر لي بطاقته، وقال أنه يريد أن يوجه لي بعض الأسئلة التي تتعلق بأوراقي. صعدنا ليخبرني عندها بأنه وصلتهم شكوى بأن تأشيرتي كانت قد انتهت. أحضرت جواز سفري وأظهرت له كيف أنني جددتها في وقتها. «بكل الأحوال يجب أن ترافقني، لأن المسؤول يريد أن يتحدث معك، ستكون في طريق عودتك خلال نصف ساعة»، أضاف. وأمام هذا التأكيد الملتبس كنت شبه متأكداً بأني سأُطرد. هذه اللغة المستترة تستخدمها كل القمعيات في العالم.

خلال الرحلة القصيرة لمركز الشرطة، كان مرافقي ينتقد الحكومة، محاولاً بشكل ردئ يستحق رداً أسوأ، أن يوقعني في الفخ بسذاجة لكي أنتقد ثورة البيرو، إطراءاتي كانت حذرة، لكن محددة.

تركوني أنتظر لنصف ساعة عندما وصلنا إلى المركز، ثم

استقبلني محقق. عاد ليخبرني بشأن التأشيرة المنتهية، وأظهرت من جديد جواز سفري، وعندها قال لي بأنني تخطيت المدة، وهذا شيء ممنوع «عندما يكون لديك تأشيرة سياحية». أخبرته بأن وضعي له خصوصية معينة، بما أنه وبتفويض من وزارة الشؤون الخارجية والعمل، فقد كانت الصحيفة اليومية قد وقّعت عقداً معي لقاء عملي الصحفي، وأن هذا العقد المذكور موجود حالياً في وزارة العمل، وأنهم في وزارة الشؤون الخارجية على علم بهذا الإجراء على أعلى مستوى. تشوّش الرجل قليلاً مع عبارة (أعلى مستوى)، لكن موظف آخر عندها (بالتأكيد ذو رتبة أعلى) قال له من طاولة أخرى، وبصوت مرتفع: «لا تنصب له حججاً أكثر! فهو دائماً سيفندّها لك مع أسباب محقّة، عليك أن تذهب إلى الهدف.» واتجه بقوله لي: «حكومة البيرو تريدك أن تغادر!» وكان سؤالي منطقياً: «هل يمكن معرفة السبب؟»، «لا! حتى نحن لا ندري السبب، فالوزارة ترسل لنا الأمر ونحن ننفذ.»، «كم لدي من الوقت؟» «إذا كان بالإمكان، عشر دقائق، وبما أنه لن يكون ممكناً، لأنه ليس هناك وسيلة لتذهب بهذه السرعة، فسأقول لك أنك ستذهب في أول فرصة سانحة: ساعة، ساعتين.»» «هل بإمكاني اختيار وجهتي؟»، «إلى أين ترغب بالذهاب؟ ضع باعتبارك بأننا لن ندفع لك الرحلة»، «بما أنني سبق أن هُددت بالموت في الأرجنتين، وبما أني عملت في كوبا في فترة سابقة لعامين ونصف ولدي هناك إمكانية للعمل، فأريد أن أعرف إذا ما كان مسموحاً لي بالذهاب إلى كوبا.»، «لا، ليس هناك طائرة اليوم لكوبا، وحضرتك يجب أن تغادر بأسرع ما يمكن.» «حسناً، إذن قل لي ما هي الاختيارات الحقيقية.» «إنها هذه: إما أن نتركك عن طريق البر على الحدود الإكوادورية، أو أن تستخدم تذكرة الطيران التي لديك وتعود إلى بوينس ايرس.»

فكرت بسرعة، ولم ترق لي فكرة أن تتركني حافلة عسكرية فجراً، عند حدود بلد لم أكن أعرفه عندها، مما اضطرني لأقول: «بوينس ايرس. فأنا لم تطأ قدمي الإكوادور أبداً.»

كان علي أن أوقع تصريحاً عندما سألوني عن كيفية دفع مصاريف الرحلة، قلت في الصندوق، وهناك عدت وذكرت موضوع العقد، والإجراء في وزارة العمل، الخ.

عدنا إلى الشقة. منحوني ربع ساعة في البداية، ثم ساعة، وبينما كانوا يجرون مكالماتهم الهاتفية ولم يكن بالإمكان إيجاد مكان في أي طائرة إلى بوينس ايرس، فقد مُنحت مزيداً من الوقت، ولكن لم يسمحوا لي أن أحمل أكثر من حقيبة، مما أجبرني أن أترك الكثير من الأشياء.

عندها قال لي المحقق (وقد أصبحوا يعاملوني على نحو أفضل) بأن وضعي ليس طرداً ولا ترحيلاً وبالتالي لن يضعوا لي في جواز سفري ختم الترحيل. «ففي حالة الطرد هذه - كان يشرح لي - فنحن بحاجة لموافقة عليا، لم تحصل في هذه الحالة. لذلك فقد كانت فقط (دعوة ودية لمغادرة فورية).» سألته عما يمكن أن يحدث إن لم أقبل الدعوة. «آه، عندها إذن عليك أن تغادر بكل الأحوال.» قلت له أن في بلدي نقول، أمام هكذا حالة: «طز لا فرق.»

طلبت أن يتركوني اتصل هاتفياً بشخص ما في ليما، فلم يسمحوا لي، لأني كنت معزولاً. بالمقابل، أصروا أن اجري مكالمات لمسافة بعيدة. اتصلت بالتالي بأخي في مونتيفيديو، حتى يخبر زوجتي بأن تذهب لاستقبالي في بوينس ايرس. أيضاً حاولت الاتصال بشخصين أو ثلاثة في بوينس ايرس، ولكني لم أستطع إيجادهم. كان قلقي هو أن لا

أحصل على شخص ينتظرني في ازييزا. طلبت منهم أن يدعوني أتصل بصاحبة الشقة على الأقل. قالوا لي أنه بإمكاني الاتصال بها إذا ما أخبرتها بأنه كان علي أن أغادر البيرو فجأة، ونتيجة لذلك فإنك ستترك الشقة، فقلت لهم بأن مكالمة كهذه لن أقوم بها، لا سيما بأن تعاملها كان معي مهذباً. فاقترحت عليهم أن يتصلوا هم بها، لكنهم رفضوا.

سألني المحقق بعد عدة دقائق عما إذا كان لي شرط لأكلم صاحبة الشقة، فقلت سأكلمها إذا ما كان بإمكاني أن أخبرها أنهم يطردونني. فوافق في النهاية. واتصلت هكذا بالسيدة في الثالثة صباحاً. كانت المسكينة على وشك أن تفقد وعيها. «أي، يا سيدي، كيف لهم أن يفعلوا هذا لسيد محترم مثلك؟!» شرحت لها بأنني ساترك لها قائمة بأشيائي التي بقت في الشقة، وأنه سيصلها لاحقاً إشعاراً حول وجهة هذه الأشياء.

كان الرجال عند هذا الحد قد أصبحوا لطفاء معي، لدرجة أنهم طلبوا مني ملصقاً كان موجوداً على الحائط، فيه أحد أغنياتي، وآخر طلب مني أن أهديه أحد كتبي. «ألا تظن بأنه من الممكن أن أضعك في دائرة الشبهات؟»، سألته. «آمل أن لا»، قال دون أن يكون متأكداً..!

وبما أنه كانت الليلة شديدة البرودة في هذا الوقت، فقد طلب اثنان من الرجال (كانوا أربعة في مجموعهم) إذنا من مسؤولهم ليحضروا شراباً وملابساً. فوافق. تابعت ترتيب حقيبتي تحت النظرات المراقبة لحراسي، وفجأة لاحظت أن كليهما قد خلدا إلى النوم، وكانا يشخران بوداعة، فنزعت حذائي حتى لا تزعج نومهما خطواتي فوق الموكيت، كان لدي ساعة ونصف لأرتب الحقيبة أفضل بكثير، أما القمامة فقد امتلأت بالرماد.

عند انتهاء هذه الساعة والنصف، لبست حذائي من جديد، وهززت المحقق برصانة: «أعتذر على إيقاظك، ولكني إذا كنت معارضا لدرجة أن يطردوني من البلد، فأرجو أن لا تناموا بينما تحرسوني»، فشرح لي المحقق بأنهم كانوا يعملون منذ وقت مبكر وكانوا في غاية التعب. قلت بأني أفهمه، ولكنه لم يكن ذنبي.

خرجنا نحن الخمسة في الرابعة والنصف (كانا الاثنان الآخران قد عادا مع الأغراض) بسيارة ضخمة سوداء. مررنا بصاحبة الشقة، أعطوها المفاتيح والقائمة. هذه الرحلة كانت سبب قلقي الحقيقي الوحيد، لأنهم أخذوني من طريق غير معتاد، مظلم تماماً، في منطقة جرداء تماماً حيث لم تكن تضاء إلا بمصابيح السيارة فقط. تأخرنا أكثر بكثير من رحلة عادية. أعترف، بأنني عندما استطعت تمييز برج المطار من بعيد، تنفست بشكل أفضل. في المطار، استطعت أخذ طائرة الساعة التاسعة صباحاً ليوم السبت فقط، ومن حسن حظي كانت على متن خطوط أيروبيرو، فقد فشلوا أن يجدوا لي مقعداً في طائرة الثامنة، وكانت لشركة لان.

لم يعطوني في أي لحظة أي شيء للشرب أو الأكل، لم أضع أي لقمة في فمي خلال أربع وعشرين ساعة، أعتقد أن هذا يرجع ببساطة لأنهم كان يفتقرون إلى المال، لأنهم هم أيضاً لم يأكلوا شيئاً. عندما أعطاني المحقق أوراقي بجانب درج الطائرة، قال: «ستذهب وأنت بالتأكيد مستاء من الحكومة، ولكن أرجو أن لا تستاء من البيروفيون.» ومد لي يده.

جرحى ومصابون
(منظر أو منظرين)

دخلت غراثيللا غرفة النوم، نزعت ردائها الخفيف، نظرت في مرآة تواليت الزينة، وقطبّت جبينها، ثم نزعت البلوزة والفستان، وألقت بنفسها في السرير. طوت رجلها ثم مدتها بعد ذلك ما استطاعت، عندها انتبهت لقطع في جوربها، جلست، ونزعت جوربها، وأخذت تتفحصه علّها تجد قطعاً آخراً. ثم صنعت كوماً من زوج الجوارب ووضعتها فوق كرسي. نظرت من جديد في المرآة وضغطت على صدغيها بأصابعها.

كان ما يزال الضوء ما قبل الأخير للمساء الرطب، وبعض النسائم الخفيفة. أبعدت الستارة ونظرت إلى الخارج، أمام البناء، كانوا يلعبون ستة أو سبعة أطفال. تعرفت إلى بياتريس، شعرها غير مسرّح ومتعبة، ولكنها تستمتع تماماً. ابتسمت غراثيللا بدون إقتناع، ومررت يدها على شعرها.

رنّ التلفون بجانب السرير، كان رولاندو، استلقت هي مجددا لتتكلم براحتها.

– يا له من مساء ثقيل، أليس كذلك؟ قال هو.

– حسنا، ليس تماماً، أحب الرياح، لا أدري لماذا، لكني عندما أمشي ضد الرياح، يبدو لي أن هناك أشياء تُمحى، أريد أن أقول: أشياء أريد أن أمحيها.

– مثل ماذا؟

- ألا تقرأ الصحف؟ ألا تعلم بأن هذا يسمى تدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر؟

- حسناً، يا جمهورية.

- على الأقل، جمهورية صديقة، أليس كذلك؟

نقلت السماعة إلى اليد والأذن الشمالية، بقصد أن تحك خلف أذنها الأخرى.

- هل هناك جديد؟ سأل هو.

- رسالة من سانتياغو.

- آه، هذا جيد..

- غامضة نوعاً ما..!

- بأي اتجاه؟

- يتكلم عن بقع في الجدران وأشكالاً يتخيلها إنطلاقاً منها عندما كان طفلاً.

- أنا أيضاً كان هذا يحصل لي.

- يحصل هذا للجميع، أليس كذلك؟

- حقيقة، هذا الأمر بإمكانه أن لا يكون أصيلاً كثيراً، لكن بالمقابل لا يبدو لي غامضاً، أو كنت تريدينه أن يرسل لك مبايعة ضد العسكر؟

- لا تكن مغفلاً. ببساطة يبدو لي أنه كان لديه جرأة أكبر سابقاً.

- نعم، بالطبع، أو لم تبقي بدون أن تستقبلي أخبار لأكثر من شهر نتيجة هذه الجسارة.؟

- لقد استفسرت، كان ذلك إجراءً عاماً، كأحد العقوبات الجماعية.

- إنها تمر بشكل عام على ضوء حجة صبيانية جداً: كأن يتمادى أحدهم في الكتابة، بوعي أو بدون وعي، حدود غير مرسومة لكن حقيقية.

لم تجب هي. وبعد بضع ثواني عاد هو ليتكلم مرة أخرى.

- كيف حال بياتريس؟
- تلعب خارجاً، مع مجموعتها.
- هذا جيد. إنه حيوي وصحي.
- نعم، أكثر بكثير مني.
- ليس بالضبط هكذا. صحيح بأن أغلب حيويتها ورثتها من سانتياغو، ولكن فيها القليل أيضاً منك.
- من سانتياغو نعم.
- ومنك أيضاً، ما يحدث هو أنك يائسة مؤخراً.
- ممكن! في الحقيقة أنا لا أجد مخارج، بالإضافة إلى أنني أشعر بالملل الفائق في عملي.
- لا بد أنك ستحصلين على عمل آخر يحرضّك، فحاولي أن تصبري الآن.
- الآن ما ينقصني أن تقول لي بأنني كنت محظوظة.
- كنت محظوظة.
- أيضاً ناقص أن تقول لي بأن ليس كل اللاجئين من الجنوب استطاعوا أن يحصلوا على عمل بصعوبة وبست ساعات من العمل فقط، مع عطلة أيام السبت.
- ليس كل اللاجئين من الكونو استطاعوا أن يحصلوا على وظائف جيدة.. الخ. هل بإمكاني إضافة بأنك تستحقينه لأنك سكرتيرة كفوءة؟
- ممكن، لكن الكفاءة هي بالضبط أحد أسباب مللي، كان سيكون أكثر تسلية لو أخطئ من حين لآخر.
- لا أظن.. من الممكن أن تشعري بالملل من الكفاءة، لكن بشكل عام هناك الكثير من المدراء يملّون جداً.. وأكثر بكثير من قلة الكفاءة.

لم تجب هي من جديد، وكان هو مرة أخرى من تابع الحوار..

- هل بإمكاني أن أقترح عليك اقتراحاً؟

- نعم.. إن لم يكن مخجلاً..

- لنقل أنه نصف مخجل..

- إذن أسمح لك بين بين.. هيا..

- هل تودين الذهاب إلى السينما؟

- لا يا رولاندو.

- إنه فيلم جيد..

- لا أشك بذلك، فعندي ثقة بذوقك.. على الأقل سينمائياً..

- سيعطيكِ قليلاً من الحيوية..

- أنا راضية بوضعي.

- هذا أسوأ، سأعيد الدعوة.. هل تودين الذهاب إلى السينما؟

- لا يا رولاندو. أنا جد شاكرة لك، لكني متعبة، ولو لم يكن علي أن أعد الطعام لبياتريس، أقسم لك لكنت نمت بدون عشاء.

- هذا ليس جيداً، عليكِ أن تعملي أي شيء، حتى لا يغلبك الروتين.

سندت غراثيللا الهاتف بين حنكها والكتف- بالطبع، كان لديها خبرة في هذا الشأن بحكم عملها كسكرتيرة محترفة- ثم، حركت يديها، لتنظر إلى أظافرها، وتمرر مقلمة الأظافر من حين لآخر.

- رولاندو.

- نعم، أسمعك.

- هل سبق لك أن سافرت في قطار مع شخص آخر، جالسين وجهاً لوجه، كل منكما بجانب النافذة؟

- أعتقد نعم.. لكن الآن لا أتذكر بالتحديد، ولا أدري ما تقصدين من سؤالك؟!

- ألم تتأمل بأنه إذا أخذ كل منكما بوصف المنظر الذي يراه من جانبه، فوصف من يرى إلى الأمام ليس بالضبط نفس الذي ينظر إلى الخلف؟

- أقسم لك بأنني لم أدقق أبداً في هذا التفصيل، لكن ممكن..!

- أنا بالمقابل دائماً دققت، فمنذ كنت طفلة، عندما كنت أسافر في القطار، كان يثيرني النظر إلى المشاهد، كان أحد أكثر الأشياء التي أستمتع بها، ولم أكن أقرا أبداً في القطار، ولا حتى الآن أحب القراءة أثناء السفر في القطار..! تفتنني المناظر التي تسبب الدوار، حيث تجري بجانبي، لكن باتجاه معاكس، عندما أكون جالسة إلى الأمام، يبدو لي أن المناظر تأتي حيث أنا، مما يشعرني بالتفاؤل، لا أدري.

- وإذا ما كنت تنظرين إلى الخلف؟

- يبدو لي أن المنظر يذهب، يذوب، يموت..! بصراحة، يشعرني بالتشاؤم.

- وكيف أنت الآن جالسة؟

- لا تسخر.. لقد رأيت هذا بوضوح ذلك اليوم، عندما أخذت بقراءة رسائل سانتياغو.. هو الذي في السجن، يكتب كما ولو أن الحياة تتجه للقائه، أما أنا، التي بالمقابل، ولنقل حرة، يبدو لي أحياناً بأن المنظر يبتعد، يذوب، ينتهي.

- ليس سيئاً. كغرض شعري، طبعاً.

- ليس شعراً، ولا حتى نثراً، إنه ببساطة.. ما أشعر به.

- حسناً، الآن نعم أكلمك بشكل جدي. هل تعلمين بأني قلق بسبب حالة معنوياتك الآن؟ وإذا ما كنت مقتنعاً بأن كل شخص هو وحده القادر على حل مشكلاته الخاصة، ولكن صحيح بأنه يمكن المساعدة مرات- فقط المساعدة- من شخص ذو ثقة، وأنا أعرض نفسي لهذه المساعدة النسبية، إن أردت، لكن الأساسي هو أن تتأملي في نفسك.

- التأمل في نفسي؟ ممكن.. ممكن، لكني لست متأكدة بأني سأحب ذلك..!

سيد رافائيل

(ذنب غريب)

اشتكى سانتياغو لغراثيللا بأني لم أكتب له منذ مدة، وهذا صحيح. لكن، ماذا أقول له؟ بأن ما يحدث له هو نتيجة عمله؟ هذا شيء يعرفه. لكنّي أشعر بشيء من الذنب لأني لم أتكلم معه بما فيه الكفاية (عندما كان ما زال هناك وقت للكلام، لا أن تُبتلع الكلمات) لإقناعه أن لا يتابع هذا الطريق؟ قد لا يعرف هذا بالمؤكد، لكن ربما يتخيله. لكن يجب التخيل أيضاً بأنه فيما لو كنا تناقشنا هو وأنا بتعمق، لكان تابع نفس الطريق الذي اختاره بكل الأحوال. هل أخبره بأن كل مرة أستيقظ فيها في الليل لا يمكنني منع خشيتي، والشعور بالحدس السيئ، لا أعرف إذا ما كانوا يعذبونه هذه الساعة، أو أنه يستعيد قواه بعد حفلة تعذيب، أو يستعد للأخريات القادمات، أو يلعن أحداً؟ ربما ليس لدي رغبة بتخيل شيء كهذا. فلديه ما يكفيه من تضرعاته، من عزلته وهمّه. عندما يحتمل المرء آلامه الشخصية فلن يكون بحاجة لأن يضيف لها آلام الآخرين، لكني بعض المرات أتخيل أنهم يعرضّون سانتياغو للضرب في خصيتيه، وعندها أشعر بألم حقيقي (ليس تخيّلي) في خصيتي. أو إذا فكرت بأنهم يضعونه في الماء، فأحس حرفياً بأنني أنا أيضاً أغرق. لماذا؟ إنها قصة قديمة، أو لنقل علامة قديمة، فالناجي من مجزرة يختبر شعوراً غريباً بالذنب كونه ما زال على قيد الحياة، ومن ينجو، لسبب ما (لا يحضر بذهني

أسباب)، أو يستطيع أن يهرب من التعذيب، فهو يختبر إحساساً ما بالذنب، لكونه لم يعذَّب. بمعنى، أنه ليس لدي الكثير لأخبره، فهناك أشياء موضوعية معينة لا يمكن منطقياً ذكرها في رسالة لسجين، وهذا إذا أضفنا بأنه في السجن بتهمة قلب نظام الحكم. أما بالنسبة لمواضيع أخرى فأنا من لا يريد ذكرها. فما يتبقى بعد كل هذا.. هو مجرد سخافات! هل سيقبل سانتياغو أن أكتب له سخافات؟ هناك موضوع، في ظروف أخرى، كان بإمكاني الكتابة عنه له، أو أفضل أن أكلمه، لكن ليس أبداً في هذه الظروف، أقصد حالة المعنويات عند غراثيللا، فغراثيللا ليست في وضع جيد، ألاحظ عليها انخفاضاً في معنوياتها، أصبحت أكثر رمادية، هي التي كانت دائماً رائعة، لطيفة وناعمة، والأسوأ هو اعتقادي بأن إنهاكها يأتي نتيجة إزدياد بعدها عن سانتياغو. أسباب؟ كيف بإمكاني معرفتها؟ هي تقدّره، أنا متأكد من هذا، فهي ليس لديها عتب سياسي، بما أنها فعلياً (أو كانت) في نفس الأمر. هل لأن المرأة - لتحافظ على سلامة حبها- هي بحاجة لحضور الرجل الجسدي أكثر من وجوده وفقط؟! ربما يصبح أوليسيس معتاد على البقاء في المنزل، وبالمقابل لن تعد تكتفي بينولوبي بالحياكة وبفك الحياكة؟ من يدري؟! الحقيقة أني لا أجرؤ أن أناقش الأمر معها، وأنا الذي أراها تقريباً يومياً، وبإمكاني مناقشته أقل مع سانتياغو، والذي أرسل له رسالة بين الفينة والأخرى. أيضا لا يمكنني أن أحدثه عن حصصي، عن الأسئلة التي يطرحها علي الصبية، أو ربما عن مشروع معيّن هو العودة للكتابة، رواية أخرى؟ لا. يكفي فشل واحد. ربما قصص قصيرة، ليس للنشر، فهذا لم يعد يهم كثيراً في عمري. لدي انطباع بأنه ممكن أن يعني تحريضاً لي، فأنا لم أكتب شيئاً منذ خمسة عشر عاماً على الأقل، ولا شيء أدبي، ولم تحضرني الرغبة بذلك خلال خمسة عشر عاماً.. الآن نعم.. هل هذه إشارة؟ شيء علي أن أفسره؟ هل يكون هذا لشيء ما أجهله؟

بيـن الجـدران

(النهر)

آت أنا من النهر، هل تعتقد بأني مجنون؟ ليس كثيراً ولا قليلاً، إن لم أجن في ظروف أخرى، فأعتقد عند هذه الحالة بأن لدي مناعة ضد الجنون. ومع ذلك، أنا آتٍ من النهر، فلقد اكتشفت النظام قبل عدة أسابيع. فيما قبل، كانت الذكريات تهاجمني بدون انتظام. فكنت فجأة أفكر بك أو في بياتريس أو العجوز، وثانيتان بعدها في كتاب كنت قد قرأته في فترة المدرسة، وتقريباً على الفور في بعض الملصقات التي كانت تعملها لي والدتي، عندما كنا نعيش في شارع هوكوارت، أي أن الذكريات كانت تسيطر علي، وذات ليلة فكرت بأن علي على الأقل أن أخلّص نفسي من هذه السيطرة، ومنذ ذلك الوقت أنا من يوجّه ذكرياتي بشكل جزئي. بالطبع، هناك دائما لحظات في اليوم (عامة عندما يغزوني القنوط وأشعر بالقرف) عندما تهزني الذكريات أكثر، لكن ليس هذا المعتاد، فالطبيعي الآن أن أنظّم الذاكرة، بمعنى، أن أقرر ما الذي علي أن أتذّكره، وهكذا أحل الذكريات. فمثلاً، استحضار زمن بعيد لمرحلة المدرسة، أو ليلة سمر مع الأصدقاء، أو أحد النقاشات التي لا تنتهي، أو أحد ترنحات (حتى أستطيع التذكر فعلياً) إحدى سكراتي، أو حواراً حاداً مع العجوز، أو الصباح الذي ولدت فيه بياتريس. من الواضح بأني أستخدم هذه التغييرات مع الذكريات التي

تخصصّك، وفي هذه قررت أن أضع نظاماً، لأنني إن لم أفرض نظاماً، فكل الصور ستتركز في جسدك، بك وبي ونحن نمارس الحب، وهذا لا يعطيني شعوراً جيداً دائماً. فهو يتحول ليصبح عذاباً منتظماً لغيابك.. أو لغيابي. في البداية أستمتع بحزن، أتمتع في الفراغ، ثم أقنط، ويدور هذا الهبوط لساعات، بشكل عام، عندما أقول لك أنه علي أن أضع أيضاً نظاماً في هذا الحقل، فأنا أريد القول بأنني قررت إلحاق ذكريات أخرى تتعلق بنا، ولها أهمية فاصلة وثمينة كالليالي التي تتعلق بجسدينا، لقد كانت بيننا حوارات، حيث هي بالنسبة لي على الأقل، لا تُنسى. هل تذكرين يوم السبت، عندما أقنعتك (بعد خمس ساعات جدالية) بالطرق الجديدة؟ وعندما كنا في ميندوزا؟ وفي أسونثيون؟ لا يهم ترتيب التواريخ. فالمهم هو النظام الذي أفرضه على استحضاراتي، لهذا بدأت بالحديث بأنني آت من النهر، وهي ذكرى لم تكوني أنت فيها. النهر الأسود، بالقرب من مرسيدس، عندما كنت في الثانية عشر أو الثالثة عشرة، كنت ذاهباً لأقضي الإجازة الصيفية في بيت أعمامي، لم يكن البيت كبيراً بما فيه الكفاية (في الحقيقة، كان صغيراً)، لكنني وصلت إلى النهر، وبما أنه كان هنالك الكثير من الأشجار الوارفة بين البيت والنهر، فعندما كنت أجلس في الضفة لم يكن يراني أحد من البيت، وكانت تعجبني تلك الوحدة، كانت من المرات القليلة التي سمعت، رأيت، شممت، لمست وأحببت الطبيعة. كانت الطيور تقترب ولم يكن يخيفها حضوري، ربما كانت لا تميّز بين شجرة أو أكمة، كانت الريح ناعمة وربما لهذا كانت الأشجار الكبيرة لا تتناقش بينها، وإنما كانت ببساطة تتبادل الحديث بمرح، كانت الأشجار تومئ لي بعلامات توحي بالتواطؤ، وكنت أستند أحياناً إلى أكثرها قدماً وكان لحائها ينقل لي شعوراً بالأبوة.

إن تمرير اليد على لحاء شجرة مجرّبة، يبدو كما لو أنك تداعب عرف فرس تمتطيه يومياً، لتقوم علاقة راقية (ليست مفرطة، كما هي

عادة العلاقة مع كلب، وبشكل لا يحتمل)، ولكن حادة، لدرجة أنه بعد ذلك تشتاق إليها عندما تعود إلى زحمة المدينة. كنت في مناسبات أخرى أركب القارب، وأجذّف حتى منتصف النهر، كان التوازن في المنتصف بين الضفتين مثيراً بامتياز، لا سيما لأنهما كانتا مختلفتين ومتشابكتين، ليس تماماً بالنسبة للعصافير، التي كانت تتقاسمها، بل أكثر، الأشجار، حيث كانت تشعر بالحميمية للمكان نوعاً ما، كلٌ على مزاجه وفي حاله، أي، في ضفته. أنا لم أكن أفعل شيئاً، كنت ببساطة أراقب، لم أكن اقرأ ولا ألعب، كانت الحياة تمر فوقي، من ضفة إلى أخرى، و كنت أشعر بأنني جزء من هذه الحياة، ووصلت إلى نتيجة مفادها بأنه لا يجب أن يكون مملاً أن تكون شجرة صنوبر أو صفصاف أو شجرة كافور، لكن كما تعلمت بعد ذلك بسنوات كثيرة، فالتناسب المسافاتي لا يدوم طويلاً، وأن علي أن أقرر الانتقال لضفة أو لأخرى، وكان من الواضح بأنني كنت أنتمي لواحدة منها. كما ترين، بأنه صحيح ما قلته لك في البداية «أنا آت من النهر».

بياتريس
(ناطحات السحاب)

المفرد يكتب ناطحات والجمع يكتب أيضاً ناطحات!، يحدث نفس الشيء مع نكّاشة الأسنان، وناطحات السحاب هي عبارة عن أبنية بحمامات كثيرة، ولهذا لها ميزتها الكبيرة، حيث بإمكان آلاف من الناس أن يقوموا باحتياجاتهم في نفس الوقت، ولناطحات السحاب أيضاً ميزات أخرى كثيرة، فمثلاً فيها مصاعد دوّارة. إن المصاعد الدوارة حديثة جداً. فالأبنية القديمة ليس فيها مصاعد، أو فقط مصاعد غير دوارة، والناس الذين يعيشون أو يعملون هناك يحمرّون خجلاً لأنهم يتأخرون دوماً.

غراثيللا - أي أمي- تعمل في ناطحة سحاب، فلقد اصطحبتني معها ذات مرة إلى مكتبها، وكانت المرة الوحيدة التي عملت فيها حاجتي في ناطحة سحاب، ذلك فظيع، ففي ناطحة سحاب غراثيللا، هناك مصعد دوّار مستورد تماماً، ولهذا تتقلب معدتي كثيراً، أخبرتهم القصة في الصف ذلك اليوم، وجميع الأطفال ماتوا من الحسد، وكانوا يريدون أن أصحبهم إلى المصعد الدوارة في ناطحة السحاب، حيث تعمل غراثيللا، لكني قلت لهم بأنه خطير، لأن هذا المصعد يتحرك بسرعة كبيرة، وإن أخرج أحدهم رأسه من الشباك، قد يصبح بدون رأس، وهم صدقوني، حقاً إنهم مغفلون لدرجة أنهم اقتنعوا بأن مصاعد ناطحات السحاب ستكون متأخرة لدرجة أن تكون لها شبابيك.

ينتشر الذعر عندما تنطفئ الكهرباء في مصاعد ناطحات السحاب. في صفي عندما تحين ساعة الاستراحة تنتشر الفرحة. إن الفعل (انتشار) لهو فعل رائع..!

بالإضافة للمصاعد الدوارة، فإن ناطحات السحاب لها بوابين، وهم سمينون ولا يمكنهم أبداً الصعود على الدرج، عندما يخفف البوابون وزنهم، لا يسمح لهم بالبقاء في عملهم في ناطحات السحاب، لكن لديهم الفرصة لأن يصبحوا سائقي تكسيات أو لاعبي كرة قدم.

إن ناطحات السحاب تنقسم إلى ناطحات سحاب مرتفعة، وناطحات سحاب منخفضة، أما ناطحات السحاب المنخفضة، ففيها حمامات أقل بكثير من ناطحات السحاب المرتفعة، وأيضاً ناطحات السحاب المنخفضة تسمّى بيوت، لكن يُمنع عليها أن يكون فيها حدائق، أما ناطحات السحاب المرتفعة تصنع ظلالاً كثيرة، لكنها ظلالاً مختلفة عن ظلال الأشجار، لأن بها بقع شمسية عدا أنها تتحرك، ففي ظلال ناطحات السحاب تنتشر الوجوه الجادة، والناس التي تطلب صدقة، أما في ظلال الأشجار تنتشر الخطوات والحيوانات للقديس أنتونيو.

أنا أفكر بأنه هناك حيث هو والدي، في ساعات المساء الأخيرة، بالتأكيد ينتشر الحزن، بودّي كثيراً لو يستطيع أبي أن يزور مثلاً ناطحة السحاب حيث تعمل غراثيللا أي أمي.

منافي
(آتٍ من أستراليا)

تعّرفت عليه في مطار مدينة المكسيك، مقابل مكتب حجز الطيران الكوبي، أنا كنت مسافراً إلى هابانا مع ثلاث حقائب، وكان علي أن أدفع الزيادة في الوزن، عندها، اقترح رجل كان خلفي في الطابور، وبما أنه يسافر بحقيبة واحدة وصغيرة فقط، أن ندفع بحقائبنا معاً، وكانتا معاً تسجلان الوزن المسموح به (40 كيلو). وافقت بالطبع، شاكراً له معروفه، وموظف الكوبية أخذ بإرسال الحقائب الأربعة، لكن عندما أخرج المتبرع التلقائي جواز سفره، انتبهت ويا للمفاجأة، بأنه كان جواز سفر من الأوروغواي. لا رسمي، ولا دبلوماسي، وإنما جواز سفر عادي. ابتسم هو: «مستغرب، صحيح؟» اعترفت بأنني كذلك. فأردف: «سأشرح الأمر لك عندما نحتسي القهوة.»

شربنا القهوة قال وهو يتفحّصني: «حضرتك بينيدتي، أليس كذلك؟» «طبعاً .. لكن، من أين تعرفني؟ فأنا لا أذكر وجهك.»، «منطقي. فحضرتك كنت في المنصة وأنا بين الجمهور، سمعتك الكثير من المرات في تظاهرات خلال الحملة الانتخابية عام 1971. أتذكر الاحتفال الأخير للجبهة امبليو، مقابل الليخيستلايفو وبقاعة الدياغونال اغراثيادا، كانت مليئة على آخرها؟ هذه المرة لم تتكلم حضرتك، لكنك

كنت في المنصة، كان سيريغني الخطيب الوحيد، وكان جيداً جداً الجنرال». أظن أنه أعطاني هذه البيانات ليمنحني الثقة، لكن لم أكن أحتاج لذلك عند هذا الحد، فوجهه كان لشخص شريف، بدون نفاق.

ذكر لي اسمه، وكان لقبه آخر، لكن هنا سأسميه فالكو. بكل الأحوال فاللقب الحقيقي هو أوروغوايي أصيل كهذا. «حتى نبدأ، أريد أن أوضح لك أني أعيش في استراليا منذ خمس سنوات، أنا عامل. سّباك، أو مواسرجي، حسب البلد.»، «ولماذا تأتي إلى كوبا؟»، «كسائح، أقوم برحلة، فلقد ادخرّت مالاً خلال سنتين، لأمنح نفسي رحلة جميلة، والقدوم لأسبوع إلى كوبا.» «وكيف تشعر هناك؟»، «من ناحية الشأن المالي، جيد. لكن لا أكثر من ناحية أخرى. وأنت تعرف (بإمكاني إزالة التكليف، أليس كذلك؟)، إن هجرتي إلى أستراليا لم تكن بالتحديد لأسباب سياسية، بل هي اقتصادية، برغم أنه بإمكانك القول أن هذا يعني سبب سياسي بشكل غير مباشر، وهذا صحيح، لكن عامة، فنحن المهاجرون الاقتصاديون ليس لدينا وعياً لهذه العلاقة. في هذا المنحى فهو منفىً جاحداً كثيراً، مختلفاً تماماً عن أماكن أخرى. هناك أحياناً متنفس، عندما يأتي مثلا فرقة «لوس أوليما»، ويذهب الناس لسماعهم لأنه وبرغم كل شيء، ما زالت تهزهم المواضيع التي تأتي من مسقط رأسهم، وليس فقط المواضيع، أيضاً الأسماء، الأشجار، الشخصيات التاريخية، الشوارع، القرى، الكلمات التي لها علاقة بالسماء، الغروب، بالأنهار، أو بأي ساقية متعفنة. لكن الفرقة تذهب ونعود كسابق عهدنا، إلى روتيننا وعزلتنا. أنا أظن بأننا في أستراليا كالأرشيدوق الشرقي، لأننا في الحقيقة نشكّل مجموع لجزر، جزر صغيرة، من أشخاص أو أزواج أو عائلات، جميعاً معزولون، في وحدة مريحة شيئاً ما، ولكنها لا تكف عن أن تكون موحشة. يرسل بعضهم نقوداً لأجزاء العائلة التي

بقيت في الأوروغواي، وهذا يعطي بشكل ما معنى لحياتهم ولعملهم.»، «ألا يحاولون على الأقل الاندماج في الوسط، وعمل صداقات مع الأستراليين؟»، «انظر، ذلك ليس سهلاً، فهناك قبل كل شيء حاجز اللغة، من الواضح أنه مع الوقت أي منا سينتهي به المطاف إلى تعلم الانجليزية، ولكن عندما يصل المرء إلى هذه النقطة يكون قد اعتاد العزلة، ومن الصعب التغيير في الروتين. ثم، أن المجتمع الاسترالي، بحاجة إلى يد أجنبية عاملة، لا تنفتح هكذا بسهولة على الأجنبي. ولقد دخلت في الكثير من المنازل الاسترالية، لكن فقط كسبّاك، وإذا ما تكون العائلة مجتمعة، وأمر أنا مع صندوق عدتي، فإنهم يتوقفون أوتوماتيكياً عن الكلام.»، «ولماذا يعنيك كثيراً القدوم إلى كوبا؟»، «لا أدري بالضبط، إنها أحد تلك الأشياء الساحرة، والتي تشابه تلك التي لدى المرء عن طفولته أو مراهقته، ستقول بأن أهبل مثلي ليس في عمر يؤهله بالافتتان، لكن انظر، قلت لك، (كأهبل)، هل تعلم؟ قلت أهبل والآن انتبه أنه مضى علي خمس سنوات دون أن أتلفظ بهذه الكلمة..!

هناك، لا نفقد مع الوقت المفردات، وإنما ندرج بدون رحمة إلى حديثنا اليومي كلمات انجليزية. حسناً، بالعودة إلى كوبا، في الحقيقة لقد كنا نحمل أملاً زائداً في الأوروغواي، في 1969، وال 1970، وبدرجة أقل في 1971، حيث اعتقدنا بأنه أيضاً في بلدنا التغيير الجذري ممكناً، لكنه لم يكن ممكناً، على الأقل لوقت ليس بقصير، عندها تسربت إلي رغبة لا تقاوم لمعرفة بلد مثل كوبا، حيث استطاع أن يسير بتغييره حتى النهاية. قل لي شيئاً، هل تعتقد بأن هناك احتمالية بأن أبقى في كوبا؟ لأعمل، طبعاً.»، «انتظر لترى ما ستشعر به هناك، فكّر بأنه مثلاً من الممكن أن يعجبك الناس، بإمكانك أن تكون متوافقاً مع النظام السياسي، ومع ذلك بإمكان الطقس أن يسحقك بالمقابل. لا شيء من

أربعة فصول، إنما صيف فقط، بدرجة حرارة جافة، وأخرى ممطرة، أنا شخصياً لا يؤثر بي، لكني أعلم من بعض المعارف بأنهم يشعرون بالاختناق من كثرة الحرارة والرطوبة، على أية حال، سبعة أيام هي وقت قليل لتلبية رغباتك، ضع في عين الاعتبار أنه سيكون في المنتصف عطلة نهاية الأسبوع.»، «نعم، واضح، لكن هل يرون بعيون جيدة وجود الأجانب؟» «أنت هناك لن تكون أجنبياً، فأنت لاتيني، أليس كذلك؟ المشكلة هنا أكثر تعقيداً. فهل تتخيل للحظة ماذا سيحدث إذا ما سمحت كوبا (والتي فتحت الآن أبوابها ليغادر كل من لا يجد نفسه مرتاحاً) أن تفتح نفس الأبواب ليأتي ويستقر كل من يحلو له ذلك؟ الطوابير التي ستتشكل في مونتيفيديو، بوينس ايرس، سانتياغو، لا باث، بويرتو برينثبي! بالإضافة، إلى أنه ستتشكل مشاكل سكنية حقيقية.»، «لكن هل تعتقد أن بإمكاني أن أجرب؟»، «بالتأكيد، حاول. لن تخسر شيئاً.»

ذلك الصوت، الناعم والمجهول، حيث يدعو في جميع مطارات العالم للإقلاع، والذي دائماً يبدو نفس الصوت، ذكّرنا بأنه علينا أن نتجه إلى الباب ثمانية، تابعنا الحديث خلال الرحلة، وعندما تركت لنا الوجبة المفروضة، علق فالكو: «فظيع! إنهن لسن كالدمى اللواتي في شركات الطيران الأخرى. إنها نساء، أترى!؟»

أضعت مرافقي في مطار جوسي مارتي، بعد أن استعدنا حقائبنا (واحدة له، ثلاثة لي). كان عليه أن ينضم إلى باقي الرحلة، وأنا اجتمعت مع عدة أصدقاء كانوا بانتظاري.

بعد يومين جرت المسيرة أمام مكتب رعاية المصالح الشمال أمريكي، كان قد مضى على غزو العشرة آلاف في سفارة البيرو، أما الآن فالأمر شيء آخر: إعلان المناورات البحرية في موقع غوانتانامو والتهديدات اليومية لكارتر.

أيضاً حضرت الاستعراض في الماليكون، مع أصدقائي من البيت الأميركي، خلال السنوات العديدة لإقامتي في كوبا، لم أشاهد استعراض لكل هذه الجموع المذهلة، كنا بانتظار أن يبدأ العرض عند الرامبا، عندها فجأة شاهدت فالكو، بالكاد على بعد عشر أمتار مني..

الجمع كان فظيعاً، وكان التقدم صعباً، لذلك صرخت به: «فالكو! فالكو!» سمع صراخي منذ البدء، ولكنه بدون شك لم يستطع أن يصدق بأنه وإثر ثماني وأربعين ساعة من وصوله إلى الهافانا، يتعرف عليه أحد.. ويناديه. لكن هذه هي الصدفة، لقد كنت أنا بالتأكيد الشخص الوحيد في كوبا الذي بإمكانه التعرف إليه، وهناك كان، على خطوات قريبة مني.

أخيراً رآني، وعندها فقط بدت على وجهه الدهشة، ورفع بفرح ذراعيه الطويلين، مضى من الوقت عشر دقائق قبل أن نتقارب، ضمني إليه: «فظيع! مليون شخص وأنت تجدني!» كان منشرحاً.. «هذا مدهش! ألا يستدعي لك هذا ذكرى الاستعراض الأخير للجبهة؟»، «حسناً، هنا نحن أكثر.»، «بالتأكيد. لكني أقصد الحماسة، السعادة.»

أخيراً بدأنا بالاصطفاف في الاستعراض، في البداية ببطء، ثم أكثر سرعة بعد ذلك. فجأة شعرت بأنه سدد لي وكزة تنبيه بكوعه. «هل تعلم بأني اليوم خطيت الخطوة الأولى؟»، «أي خطوة أولى؟»، «لأبقى هنا.»، «آه!»، «ذهبت إلى المكتب حيث دلوني، وكان هناك مجموعة من هؤلاء الناس الذين يودون المغادرة، وعندما وصلت إلى الباب الزجاجي، في هذه اللحظة بالذات أقفلوه، عندها أخذت بعمل إشارات للعامل الذي أقفل الباب، وهو كان يشير لي أيضاً بأن لا، ولكني أصريت عليه أن يسمعني لدقيقة، عندها خطرت لي فكرة، كان هناك ورقة في جيبي، كتبت كلمة رفيق ثم وضعت الورقة مقابل الزجاج، ربما لسعه الفضول،

لأنه فتح الباب لخمسة سنتمترات، بما فيه الكفاية لسماع كل منا الآخر: «لا تُقبل اليوم طلبات خروج، أتفهم؟» «أعلم، لكني لم آت لهذا.» «ولماذا أتيت إذن؟» «لقد أتيت مع مجموعة سياحية، سياح.. وأنا أريد البقاء.» «ماذا، ماذا تريد؟» «أن أ - ب - ق - ى.» الشاب (لأنه كان شاباً) لم يستطع تصديق ما سمعه! عندها فتح أكثر قليلاً الباب، حتى أستطيع الدخول، مثيراً بهذا استهجان طلاب اللجوء إلى ميامي.وقال مستهجناً: «حضرتك قلت بأنك تود البقاء؟» «نعم هذا ما قلته.» نظر إلي الشاب، وهو يتفحصني بعمق، ثم أخذ كرّاس، نزع منه ورقة، كتب فيها إسم، وأعطاني إياها وقال: «انظر، تعال غداً، ولكن مبكراً جداً، وأسأل عن هذا الزميل، هو سيتولى الأمر، وحظاً سعيداً.» «وهكذا فأنا ذاهب غداً، ما تقول؟ أو كما يقولون هنا: ما رأيك؟» «أراك تتأقلم أفضل مع المصطلحات الكوبية من الاسترالية.»

سارعت المسيرة من خطاها، وعلى إثرها أخذنا ننفصل وفقدته لبعض الوقت، لكن عندما كنا نمشي بالضبط مقابل بناء مكتب رعاية المصالح الأميركي (لم يكن بالإمكان مشاهدة أحد في النوافذ)، عندما عدت لأراه، كان الآن خلفي، وبصوت ضخم ولهجة قاسية مونتيفيديانية، جعلت تهز أحد المدونات، لذلك التجمع الكبير كان يصيح: (بين، بون، بان) اخرج، فليسقط التدخل.

الآخـر
(رغبة، استطاعة، الخ.)

«إنك مجنون»، يتذكر رولاندو أسويرو بذهن صاف، عندما همس سيلفيو ذلك الصباح، بأن مانولو استعرض ما يسميه الرؤية الشخصية والبانورامية للحياة الوطنية ومقالات أخرى. لكن مانولو، حتى ذلك الوقت كان قد تكلم نصف ساعة لا غير، قال ضاغطاً على شفتيه: «هل تتركني أكمل كلامي؟» فتركه سيلفيو يكمل، «والآن ما رأيك؟»، قال مانولو معتزاً جداً بكلامه في نهاية الحديث: «إنك مجنون»، أصر سيلفيو بثبات، وكانا على وشك أن يتعاركا فيما بينهما، لكن سانتياغو ورولاندو تدّخلا بسرعة، بالإضافة إلى أن ماريا دل كارمن والعمة كانتا متوترتان، من العصبية لا أكثر. أما غراثيللا فلا! لأنها دائماً كانت أكثر توازناً، أو أكثر خجلاً، عاد سيلفيو ومانولو للجلوس، بينما أخذ مانولو يفش خلقه في المتة، وكان يمكن سماع صوت شفطه من بعيد. في الحقيقة نظرية مانولو كانت تبدو محددة، ولكن أيضاً كارثية جداً ودائرية، أدلى سيلفيو بحكمه. ونعم لقد كانت دائرية وبدون مخرج، لكن مانولو أعطاها تفخيماً مما يجعلها إجبارية. كعندما قال: «فمن كان لديهم المال والسلطة لا يتنازلون أبداً. لا تمنّوا أنفسكم بالأمنيات، يا شباب، فهذه ليست البرجوازية الاسكندنافية الآخذة بالتنازل عن مكتسباتها للنصف لمجرد البقاء على قيد الحياة، هؤلاء سيلجؤون

للعسكر، حتى ولو سرقهم العسكر فيما بعد، دستوريون؟ قانونيون؟ خجلاً أو حشمةً من استعمال اللباس العسكري أو لإخفاء الأعضاء بقبعة؟ لا تخدعوا أنفسكم يا مواطني الأعزاء، كل هذا من الماضي. سيضربوننا ويصفعوننا كما ولو كنا من جواتيمالا، لا أكثر ولا أقل، أي بمعنى أنه يجب نقل المباراة معهم إلى ساحة أخرى بحيث لا تكون في الشأن السياسي، يجب أن نلاعبهم المباراة ونحرز عليهم الأهداف، حتى ولو كان ذلك من خارج المنطقة»، هذه الاستعارة كانت قد أعجبت سانتياغو كثيراً، حيث أخذ يهتم بالحديث بدءاً من هذه اللحظة، ومانولو دون أن يتوقف عن الحديث، واضعاً الجميع في نفس السلة، لأن ما كان يحبه بعنف هو التغيير، ليس على الطريقة القديمة وإنما على الحديثة، هذا ما كان يقوله حرفياً، ولم تكن تهمه الطرق (إذا لم يساعد المسيح فليساعد الشيطان)، الأساس هو النهايات. «هذا سمعته من قبل»، علّق سيلفيو بسخرية هامشية... «وهل تعتقد أنه بإمكاننا أن نخرجهم؟» سأل سانتياغو، وهو يمص الآن من كأس المتة، ولكن بصوت خافت. «لا»، رد مانولو بدون تردد، متحمساً كما ولو كان يبيع مستقبل. «لا، لن نستطيع، سيحطموننا، سيضعوننا في زنزانة، سيعجنوننا، سيبيدوننا»... وعندها كان سيلفيو يتفحّص في الأمر، حارقاً المراحل بين السخرية والحيرة. أما، رولاندو، فاقتصرت حركته على رفع حاجبيه بتشكك صحي. «وعندها لا شيء». انفجر مولّد المقترح. «لا شيء على الفور، سيفوزون ولن يعرفوا ماذا يفعلون بالنصر. سيربحوا على الورق ويخسروا الشعب، (تصفيق في قسم النساء.) سيخسرونه بشكل نهائي. (وينظر بشكل تحريضي إلى سيلفيو)، ما زلتم تعتقدون بأني مجنون ها؟»، «ربما كنا جميعاً»، رد سيلفيو مخففاً شيئاً ما، وعندها نهض مانولو، وعانقه عناق رخويات رأسية الأرجل بثماني مجسات، أي بمعنى أخطبوط، حسب قاموس اللاروس.. أثناء ذلك، ماريا دل كارمن والعمة، اغرورقت عيونهن

من الضحك، مثل قوسي قزح.. ولكن سانتياغو كان جاداً على غير عادته وشرح على أثرها موضوع في هذا الخصوص: «فالمعركة كانت أخلاقية فقط، لا يهمني أن أكون فائزاً أخلاقياً إذا ما ظلت الطبقة السياسية الراقية موجودة والإقطاعيون والأحزاب والفساد البنكي، والكثرة الذين لديهم السيارات، إذا ما دخلتُ في هذه الحرب لكنت أريد أن أصبح منتصراً حقيقياً، فظيع». قال مانولو: «جميعنا نريد أن نكون فائزين حقيقيين، لا تظن أنك اكتشفت البارود، ليست المسألة أن تريد، وإنما أن تستطيع»، وبدا سيلفيو مرة أخرى جدياً، ومنذ الآن انتبه إلى «أن قضية مانولو هي أوسع من ذلك، فليس للأمر علاقة بالرغبة ولا الاستطاعة، وإنما بالجنس. (ضحكات بين الجانب النسائي) وبالفطائر المحشية الجاهزة، ما زال الوقت مبكراً، هيا لنتناولها حتى لا تبرد، وأنا معدتي مليئة بالمتة. ما يحدث بأنكم تسخنون في النقاش، دون أن تنتبهوا إلى أنكم قد شربتم إبريقين كاملين، يا له من شعور مريح، بالنسبة للفطائر أيها السادة، هذا الطعم هو مثل صلاة الدجاجة، فظيع! وهل تعتقدون بأنه بعد الثورة سيكون هناك مثل هذه الفطائر ها؟!»

سيد رافائيل

(بمساعدة الله)

إغلاق العينين. كم أود لو أغلق عينيَّ وأفتحهما من جديد بالصحوة المتأخرة التي تجلبها السنوات، لكن ذلك صعب مع الحيوية التي لم تعد لدي الآن. إن الله يعطي خبزاً لمن ليس لديه أسنان، لكن قبل ذلك، وقبلها بكثير، منح الجشع لمن عنده. فخ لذيذ هذا الذي وضعه الله، وبعد كل شيء، أعتقد أن الأمثال الشعبية تشبه سيرة شخصية إلهية.. فالقيامة التي تؤكد أن الله هو المسيح: شدة وحنق، فالله يخلقهم وهم يتكاثرون: مؤامرة واتهام، إعطاء لله ما لله وما لقيصر لقيصر: ما له وما عليه، كما يجب أن يكون: الشعور بالعظمة والإمبراطورية، الله تعدى الحدود: عدم اهتمام واحتقار، يترجى من الله ويضرب بالمطرقة الخشبية: للشرطة، للعسكر، جيش الموت، الخ.. عندما يريد الله: قوة شاملة، فالله يحررنا ويخزننا: استعمار جديد، الله يعاقب بدون عصا ولا حجرة: تعذيب استجدائي، الله معك: رفقة سيئة..

أغلق عينيَّ، لكن ليس لرؤية الكوابيس، وإنما لألمس عمق الأشياء.. هناك هي الصور، الفصاحة، هي فقط لي. كل واحدة كما لو أنها تكشف الذي لم أفهمه، ولم ألتفت إليه، ولا يمكن العودة إلى الخلف، يمكن التقاط ما تعلمناه لكنه يفيد قليلاً..

أغلق عينيك وعندما تفتحهما ستجد أي واحدة منهن؟ واحدة هي وجه. أخرى هي بطن. أخرى هي نظرة. وأكثر من ذلك أيضاً؟ فليس في الحب من وضعيات سخيفة ولا مصطنعة ولا فاحشة، في اللاحب.. كل شيء سخيف ومصطنع وفاحش. أيضاً في القاعدة، أيضاً في التقليد.

فجأة يصبح الماضي مترفاً، لا أدري لماذا! جسدي الذي كان لدي، الهواء الذي تنشقته، الشمس التي أضاءتني، الطلاب الذين استمعت لهم، العانة التي أقنعتها، شفق، إبط، شجرة صنوبر، مطرقة..

يعود الماضي ليصبح مترفاً، ومع ذلك فهي بالكاد خيبة أمل مرئية، لأن الماضي مسكين، الحاضر البائس دائماً يفوز بمعركة واحدة وقاطعة: «أنه موجود، كنت أينما كنت». ما هذا المنفى إن لم يكن بداية أخرى؟ كل بداية هي شابة! وأنا، العجوز الذي يعود ليبدأ من جديد، أعود شاباً. لمرحلة الأرمل.. المدرّس المحنّك.. لأرشيف من الكلمات، أنا محكوم بأن يتجدد شبابي. هي السمنة الأخيرة، كما يقول المبتذلون، أما أنا لا شيء، اللعنة! في أرضي يقولون كاراخو، لكن أيضاً لم أكن شيئاً، من الكاراخو إلى اللعنة هناك أرض كبيرة.. هي أميركا.. وإبن مسجون.. مسجون بحزن، لأنه يشعر بديناميكية وتفاؤل وحيوية، وليس لديه أسباب كثيرة لامتلاكه هذه المعنويات، تهتز مشاعري، اللعنة. أنا حيث أنا، وهو حيث هو.. يا للابن المسكين.. لو أستطيع أن أقايض نفسي به. لكن لن يقبلوا بي، فأنا لست مكروهاً بما فيه الكفاية، ولم أرغب بإسقاطهم، أو نزع سلاحهم، وأن أهزمهم، أما هو، فنعم.. أراد ذلك وفشل! لو كان بإمكاني الدخول هناك، وأن يخرج هو، ربما لما كنت عشت هذا الكرب! ففي عمر السابعة والستين، ما كانوا ليضربوني، أظن ذلك! حسناً، لا أحد يعرف! وهناك أيضاً كنت سأغمض عينيَّ لأخلّص

نفسي من القضبان، وربما استطعت أن ألمس عمق الأشياء، لكن لا! أنا حيث أنا وهو حيث هو. أغلق عينيّ لأرى إبني، لكن أفتحهما لأراها هي، لمن؟ ربما لنساء عرفتهن، لامرأة القارب، أو امرأة الشجرة، أو امرأة الطائر! الله يخلقهن وهن ينفصلن! لو كنت الله، لكنت رتبت بشكل قاطع أن تحضر امرأة الشجرة. لكني لست هو، فتظهر ليديا..

جـرحـى ومصابـون

(خوف رهيب)

وضعت غراثيللا نقطة انتهاء على التقرير النصف سنوي الثاني، تنفسّت بعمق قبل أن تسحب الأوراق الأصلية بسبع نسخ من الماكينة الالكترونية، لم يعد هناك أحد في المكتب، كانت قد عملت ثلاث ساعات إضافية، لا لتقبضها، وإنما لأن مديرها كان في مأزق، وكان شخصاً طيباً، وغداً هو اليوم الذي تنتهي فيه المدة لتقديم التقرير النصف سنوي الثاني.

جمعت الورقة الأخيرة مع الثلاث وثلاثين المتبقية، فغداً بمجرد وصولها ستوزع ورقة أصلية، وأخرى نسخة كوبي في ثماني ملفات، أما الآن فهي متعبة جداً. تركت كل شيء في الدرج الثاني، وضعت غطاء البلاستيك فوق الطابعة، ونظرت إلى يديها، كانتا متسختان من الكربون الأسود.

دخلت للحظة إلى الحمام، غسلت يديها بإصرار، سرّحت شعرها، مررت قلم الحمرة فوق اللون السابق، الذي أصبح باهتاً وناشفاً، تأملت نفسها في المرآة دون أن تبتسم، لكن رفعت قليلاً حاجبيها، كمن تسأل نفسها أو تستعلم، أو ببساطة لتتحسس درجة التعب لديها، ثم ضمت للحظة الشفاه التي رسمت للتو، وأطلقت زفرة بريئة، ثم عادت إلى طاولة عملها، أخرجت حقيبتها من الدرج الأول، نزعت المعطف من المشجب

ارتدته. فتحت الباب، خرجت إلى الممر، ألقت نظرة قبل أن تطفئ الأضواء وتغلق الباب.. كل شيء على ما يرام.

عندما فتحت باب المصعد، تفاجأت! لم تكن تتوقع وجود أحد، لكنها فوجئت بثيليا، وهي أيضاً تفاجأت.

- لم أرك منذ زمن طويل! ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة؟

- كان علي أن أنهي التقرير النصف سنوي الثاني، وكان طويلاً جداً.

- إنك تمنحين مديركِ امتيازات كثيرة، في أي يوم ستنتهين بالنوم معه..؟!

- لا يا حلوة، كوني مطمئنة، ليس من الصنف الذي يروقني، لكنه شخص طيب. ثم، لم يطلب مني أن أعمل له هذا العمل، بل ما هو أكثر، فهو لم يكن معي في المكتب.

- عزيزتي، لا تقدمي تبريراتك، لقد كانت مزحة وصلتا إلى الشارع، وكان هناك ضباب، وحنق سائقي السيارات المعتاد.

- هل تريدين شرب شاي؟

- شاي لا. لكن ربما جرعة. سيكون ذلك جيداً لي بعد 34 صفحة بسبع نسخ.

- هكذا أحب. عاشت المراوغة!

جلستا بجانب نافذة، ومن طاولة مجاورة، كان شاب متزين ينظر إليهما نظرة متفحصة.

- حسناً - قالت ثيليا بصوت منخفض -. يبدو أنه ما زلنا نلفت الانتباه.

- بالمناسبة، هل هذا يثيرك أم يضايقك؟

- لا أدري! حسب حالتي المعنوية، ولكن، لم لا؟ حسب شكل الذي ينظر.

- وهل هذا بالضبط، يثيرك؟

- لا .

- تمام.

وضع النادل الكأسين بنعومة.

- صحة.

- صحة وحرية.

- هذا أفضل. وأكثر كمالاً.

- وأعتقد أنه بالإضافة لذلك، فقد كان شعار أرتيغاس.

- حقاً؟ كيف عرفت ذلك!

- لو عشت السنوات التي عشتها أنا بجانب سانتياغو، لكنت أيضاً عارفة بالحريق، فلقد كان بالنسبة له هاجساً.

استغلت ثيليا الفرصة لتأخذ جرعة.

- ما آخر الأخبار التي تصلك عنه؟

- التي لدي دائماً، يكتب بانتظام، ما عدا عندما يعاقبوه لشيء، ومعنوياته جيدة.

- وهل هناك أمل بأن يطلقوه؟

- هناك دواع، لكن آمال، فليس كثيراً..

كان الشارع حقيقة في هذه الساعة، شيء يدعو للاسترخاء، أما المرأتان فكانتا صامتين لبرهة من الوقت، تنظران إلى السيارات، الحافلات الملأى، وأيضاً إلى النساء التي تصاحبها الكلاب، المتسولون بعباراتهم الإيضاحية، الأطفال ذوي الملابس الرثة، الشباب، والشرطة. كانت ثيليا أول من تخلص من هذا الروتين الاستعراضي.

- وأنت؟ كيف تشعرين؟ كيف تحتملين انفصالاً طويلاً كهذا؟ (توقفت للحظة.) إذا كنت لا تودين الإجابة، فلا تجيبيني.

- في الحقيقة، لدي رغبة أن أجيبك، المشكلة أنه ليس لدي إجابة.

- ألا تعلمين بما تشعرين؟

- أشعر أني حائرة، تائهة، لا أشعر بالأمان..

- وهذا منطقي، أليس كذلك؟

- ممكن.. لكني لا أعتقد بأنه منطقي جداً، عندما أريد الإجابة على سؤالك الثاني، أي كيف أحتمل الإنفصال؟

- ما الذي يحدث؟

- يحدث أني أحتمله، ببساطة، وهذا ليس طبيعياً..!

- لا أفهمك يا غراثيللا..!

- أنت تعلمين كم كنا زوجين رائعين، سانتياغو وأنا، وتعرفين أيضاً كيف كنا متشاركين في السياسة، فلقد كنا على نفس القدر من الاهتمام بهما، بالرغم من أنه في السجن وأنا هنا. عندما اعتقلوه، اعتقدت بأنني لن استطيع احتمال ذلك، فتوحدنا لم يكن فقط جسدي، كان روحياً أيضاً، لا تستطيعين تخيل كم كانت حاجتي إليه في الأيام الأولى.

- الآن لا؟

- الأمر ليس بهذه البساطة، فأنا ما زلت أحبه، وكيف لن أحبه بعد عشر سنوات من علاقة رائعة؟ لكن يبدو لي فظيعاً أن يكون سجيناً. ولدي وعي كامل ما يعني غيابه لنمو بياتريس.

- نعم، كل هذا موجود في أحد كفتي الميزان، وماذا عن الأخرى؟

- المشكلة بأن الانفصال ألقسري جعل منه شخصاً حنوناً آكثر. وبالمقابل أنا أكثر قسوة، لأقول لك بكلمات بسيطة (وهذا شيء لا أعترف به لأحد، وحتى أنه يصعب علي الاعتراف لنفسي): مع الوقت أشعر أني بحاجة أقل له.

- غراثيللا.

- أعلم ما ستقولين لي: بأنه غير عادل. أعرف هذا جيداً، لست بهذه الدرجة من الغباء لكي لا أعرفه.

- غراثيللا..

- لكني لا أستطيع أن أغش نفسي، ما زلت أحمل الكثير من الحب له، لكن.. كما تحمل له زميلة في الحزب، لا كزوجته. هو يقضي الوقت باشتياق جسدي (دائماً يجعلني أفهم هذا في رسائله) وأنا بالمقابل لا أشعر بالحاجة إلى جسده، وهذا يجعلني أشعر، كيف أقول لك؟، بالذنب. لأنني في الحقيقة لا أدري ماذا يحصل لي..!

- ربما يكون هناك تفسير..!

- طبعاً، أنت تعتقدين بأن هناك رجل آخر. لكن ليس هنالك..

- أأنت متأكدة؟

- ليس بعد..

- لماذا أضفت ليس بعد؟!

- لأنه حتى لو كنت في لحظة ما لا أشعر بالحاجة إلى جسد سانتياغو، لكن ذلك لا يعني أن جسدي جامد، ثيليا.. منذ أربع سنوات لم أمارس الحب مع أحد، ألا تعتقدين أن هذا مبالغة؟

- لا أدري.. لا أدري..

- طبعاً، أنت لديك بدرو، وأمورك جيدة، لحسن الحظ. لكن، هل بإمكانك معرفة ماذا كان سيحصل لو قضيت أربع سنوات بدون أن تريه ولا تلمسيه، ولا أن يراك ولا أن يلمسك؟

- لا أعرف ولا أريد أن أعرف..

- يبدو لي جيداً أن ترفضي مواجهة مجانية مع مشكلة ليست لك، لكني أنا أعرف ما الذي يحصل لي، ليس لدي من وسيلة إلا معرفته، وبإمكاني أن أؤكد لك بأنه ليس سهلاً، ولا مريحاً، ولا لطيفاً.

- ولم تفكري أن تحكي له هذا شيئاً فشيئاً، رسالة تلو أخرى؟
- بالطبع فكرت، وهذا ويجعلني أشعر بخوف عارم..
- خوف؟ مما؟!
- من أن أحطمه.. أن أحطمه.. لا أدري..

بيـن الجـدران
(الملحق)

استـلام خـبر منـكِ كمـا ولـو أنـه فـتح نافـذة، مـا تـخـبريني عنـكِ، عـن بياتريس، العجوز، العمل، وعن المدينة. أحفظ مواعيد الجميع، وهكذا ففـي أي لحظة بإمكاني أن أنظم صوري: غـراثييلا ستكون الآن تكتب على الآلة الكاتبة، أو يكون العجـوز قد أنهـى حصته للتو، أو بيـاتريس تتنـاول الإفطـار بعجلة، لأنها تـأخرت علـى المدرسـة. عنـدما يكون المـرء مـضطراً لأن يكـون جامداً بدون إمكانية إلا أن يكـون كذلك، فمـن المذهل الحركة الفكريـة التي يمكـن أن يمتلكهـا، فبإمكانـه توسيع الحاضـر كمـا يحلـو لـه، أو ينطلـق نحـو المستقبل بـسرعة مدهـشة، أو العـودة للخلـف، وهـو أكثـر الأمـور خطـراً، لإن الذكريات ترصدنا هناك، كل الذكريات، الجميلة، العاديـة والبغيـضة. هنـاك هو الحب، أي أنت، الوفاءات الكبيرة، وأيضاً الخيانات الكبيرة! هناك ما كان المرء يرغب بعمله، ولم يقم به، وأيضاً ما كان بالإمكـان أن لا يعمـل وعملـه.. المفترق حيث كان الطريق المختـار هـو الخـاطئ..! وهنـا يبـدأ الفيلم، بمعنـى، كيـف كانـت سـتكون القـصة إذا مـا كـان اختـار الاتجـاه الآخـر. ذلـك الـذي استُثني عندها. بشكل عام، بعد عدة بكرات، يوقف المرء العرض، ويفكر بأن الطريـق المختـار لم يكـن خطـأً تمامـاً، وأنـه لـو كـان اليـوم في نفـس المفـترق، سيكون الاختيار هو نفسه، باختلافات، طبعاً، وبسذاجة أقل، بالتأكيد، لكن

بتيقظ أكثر، نتيجة الشكوك. لكن هذا جيد، لكي تحافظ على الاتجاه الأساسي. هذه المساحات البيضاء الكبيرة، كما هو معروف، هي مناطق فقدان الحماسة، لكن بمدلول آخر، أيضاً هي نافعة. في الأوقات الأخيرة وما قبل الأخيرة قبل الاعتقال الجبري، جرى كل شيء بشكل اصطدامي وفي منتصف الكثير من الضغوطات، كنت محاصراً بطوارئ قاسية، بقرارت كثيرة يجب اتخاذها، حيث لم يكن هناك لا وقت، ولا قدرة للتأمل، للتفكير ومعاودة التفكير حول خطواتنا، للنظر بوضوح في دواخلنا. الآن نعم هناك وقت، وقت طويل، أرقٌ بما فيه الكفاية، ليالٍ زائدة عن اللزوم بنفس الكوابيس ونفس الظلال، والنزعة الطبيعية، وأيضاً أكثرها سهولة، فسأل الفرد نفسه فيما ينفعني الوقت الآن؟ لماذا هذا التروي المتأخر، المتخلف، المخطئ في التسلسل، والغير نافع؟ وبالرغم من ذلك فهو ينفع، فالميزة الوحيدة لهذا الوقت القاحل هو إمكانية النضج، وأن يعرف المرء حدوده الخاصة، نقاط ضعفه وقوته، أن يقترب من حقيقة نفسه، وأن لا يمتلك أمنيات حول مواضيع لا يمكنه الحصول عليها، وبالمقابل تهيئة المعنويات، تحضير الموقف، تدريب الصبر، للحصول على ما يمكن ذات يوم أن يكون قابل للحصول عليه. لدرجة أن يصيب، في هذه الظروف الخاصة، أن يتعمق في التحليل، وهنا بإمكاني أن أعترف لكِ بشيء: أنا لا أستطيع أن أخطط لخمسة عشر يوم لكوابيسي، وإنما بإمكاني أن أحلم وأنا يقظ، وبأقسام. وهكذا أجلس ناثراً ومفتتاً، ما كنت أريد وما أريد، ما فعلت وما سأفعل، لأنني ذات يوم سأستطيع العودة لفعل أشياء، ألا تعتقدين؟ ذات يوم سأغادر هذا المنفى الغريب وسأنضم مجدداً للعالم، أليس كذلك؟ وسأكون شخصاً مختلفاً، أعتقد بالإضافة إلى ذلك أني سأكون شخصاً أفضل، لكن ليس أبداً العدو الذي كنته، أو الذي أنا عليه، وإنما الملحق. نعم، استقبال أخبار منك هو كفتح نافذة، عندها تحضرني رغبة لا يمكن كبحها لفتح

نوافذ أخرى، وما هو أفظع (يا للجنون)، أن أفتح باباً. مع ذلك، فأنا محكوم برؤية خلفية هذا الباب، ظهره العدائي، صلب، حصين، محدد جداً، لكن ليس أبداً راسخ كتعليق، كصواب واحد جيد. استقبال أخبار منك هو كما فتح نافذة، لكن ما زال ليس كفتح باب. ربما أقولها كثيرا كلمة باب، لكن عليك أن تفهمي بأن هذه الكلمة هنا هي هاجس، وبرغم أنه ربما يبدو لك لا يصدق فهو هاجس أكثر بكثير من الكلمة قضبان. القضبان هي هناك، إنه حضور حقيقي، مقبولة، مفهومة في كل جاذبيتها الخردوية. لكن القضبان ليس بإمكانها أن تصبح شيئاً آخر غير ما هي عليه، ليس هناك قضبان مفتوحة وأخرى مقفلة، بالمقابل، (باب) هو أشياء كثيرة. عندما تكون مقفلة، فهي كذلك دائماً، إنها الخاتمة، المنع، الصمت، الحنق. وإن كان مفتوحا (لا لفسحة، أو لعمل، أو عقوبة، وهي أشكال كثيرة مختلفة ليكون مقفلاً، إنما بالنسبة للعالم) ستكون استعادة الحقيقة، للناس الذين نحبهم، للشوارع، للأذواق، للروائح، للأصوات، للصور وملمس أن يكون المرء حراً. ستكون مثلاً كاستعادتي لكِ ولذراعيك وفمك وشعرك.. ياه، لماذا يجب محاولة إيلاء الكثير من التفكير في شيء ليس له حل، بقفل لا يفتح..

لكن الصحيح بأن كلمة باب هي التي هنا تختلط، أكثر بكثير من كل الكلمات الأخرى التي تنتظر خلف هذا الباب، لأننا جميعاً نعرف بأنه حتى الوصول إليهم، للوصول إلى الكلمات: إبن، زوجة، صديق، شارع، سرير، قهوة، مكتبة، ساحة، ملعب، شاطئ، ميناء، هاتف، فإنه لا غنى عن إجتياز الكلمة باب. وهذا، الذي دائماً يدير لنا ظهره، لكنه هنا، ينظر إلينا بصرامة وتشيّع، قاسٍ وصلب، دون أن يعطينا أي وعد ولا يعطينا أي أمل، ودائماً يُوصَد، وبوجوهنا. مع ذلك، نحن لا نترك نفوسنا تُهزم هكذا، فنحن أيضاً ننظم حملتنا ضد الإغلاق، ونكتب رسائل، آخذين بعين الاعتبار آنياً، المرسل إليه والرقيب، أو مشاريع رسائل حيث حسب العادة نمارس الرقابة

على أنفسنا، لكننا شيئاً ما أكثر جرأة. أو نلوك حوارات داخلية حرّة كهذه، والتي لن تصل حتى إلى درجة أوراق لا قيمة لها! لكن أحد هذه الصبغات الأكثر بروزاً وإيجابية لهذه الحملة، هي بالضبط أن نمنح أنفسنا وعوداً. إعطاء أنفسنا آمال (ليست المدهشة والانتصارية، إنما المتقشفة والمُحتملة)، تخيّل بأننا نفتح الباب. أحياناً لدينا أوراق لعب أو شطرنج، لكن ليس دائماً، آه.. لكن لدينا الحق لنلعب على المستقبل، وبالتأكيد في لعبة الحظ هذه، دائماً نحتفظ بورقة في كم القميص، أو ندّخر كش مات أصيل وسري، حيث لن نفرّط به في اللعب اليومي، إنما في الفرصة الكبيرة، مثلاً عندما نواجه كابابلانكا أو اليكيني، لا نقول كاربوف لأن هذا بعد كل شيء فهو موجود، وبالإمكان شطب اسمه. أيضا نتكلم عن الموسيقى والموسيقيين، يحدث هذا عندما يكون زميلي في الزنزانة معي، لا تأخذنا الموسيقى إلى مكان آخر، فأنا لوحدي أو مع أحد، بإمكاني مثلاً أن أتذكر العديد من ذرواتي كمتفرج، وهكذا أحكي، أو في أشد الحالات تنسكا أحكي لنفسي، أنني رأيت وسمعت «ماوريس تشيفالبير» في السوليس، هذا الشخص العتيق، والذي ما زالت لديه روح النكتة وهو مهذب للغاية، ليجعلنا نعتقد جميعاً بأنه يرتجل كل نكتة من نكاته التاريخية، ورأيت وسمعت لويس أرمسترونغ في الساحة، وما زلت أستطيع أن أكرر الإنسانية المقنعة لبحة صوته، ورأيت وسمعت «تشارلز ترينيت» في –لا أدري ماذا- مركز اسباني في شارع سوريانو، جالسين جميعاً في مقاعد كانت تبدو كأرائك، ونحن الشبان في الأرض، والفرنسي شيئاً ما مصطنع، لكن بقدرة فائقة، يغني لنا، لما بعد سنوات عرفت بأنها تسمّى لامير أو بونسوار جولي مدام، ورأيت وسمعت «ماريان أندرسن»، لا أذكر إذا ما كان في السودري أو في السوليس، لكن نعم لدي الشكل واضح لتلك السوداء، رائعة وجميلة، وهي كآلهة في العاطفة الكارثية لأصولها، ثم بعد ذلك بكثير رأيت واستمعت «لروب» غريليت، يقول معتداً بنفسه في

الغريب لكامو بأن توظيف صيغة الماضي كانت أهم من القصة المروية، ورأيت وسمعت «مرسيدس سوسا»، تغني بانفراد وتقريباً بخفاء في الزيتلوفسكي في شارع دورازنو، ورأيت وسمعت «روا باستوس»، متواضعاً بدون تكلف، وهو يقول أمام الحضور القليل جداً بأن باراغواي عاشت دائماً في الظلام، ورأيت وسمعت للسيد «ازيكييل مارتينيز استرادا»، شهور قبل وفاته، في محاضرة حول موضوع، لا أذكره لأن اهتمامي كان منصباً على وجهه الضامر، سوداوي، جاف، متضرعاً للحياة فقط بعيونٍ ذات نظرة حادة جداً، ورأيت وسمعت «نيفتالي ريكاردو رييس»، مازحاً، ساخراً، مزهواً وشاعرياً، ينثر ذكرياته في جزيرة سوداء كسمك الزبور، ورأيت وسمعت صاحب الجزيرة الأخرى في الاكسبلانادا، وأنا موجود بين جمهور يهتز أمام مدة الحفل. الاندفاع ونوع الحفل الغير منتظر، والذي لكثيرين آخرين لم يكن حفلاً. ذكريات لطفل، لمراهق، لرجل، لكنها بدون نقاش ذكرياتي أنا. أي أنني عندما أرفع الستارة، أنا كما استطعت أن تستقرئي، مهم للغاية، وأنا نفسي أصفق مطالباً نفسي بأخرى، أخرى، أخرى، أخرى...

منـافي

(رجل في دهليز)

كنت قد تعرفت على الدكتور سيليس زوازو في مونتيفيديو، مضى على هذا عشرون عاماً، عندما أتى لاجئاً إلى الاوروغواي، إثر انتصار أحد الانقلابات العسكرية الكثيرة التي قرّحت تاريخ بوليفيا . أنا عندها كان لدي كتب قليلة منشورة وكنت أعمل في قسم الحسابات لشركة عقارية كبيرة.

رن الهاتف ذات مساء في طاولتي، بينما صوت جهوري قال: «سيليس زوازو يتكلم». اعتقدت في البداية أنها دعابة، ومع ذلك لم أجب على إثرها، ربما لقياس الاحتمالية الطفيفة أن يكون صحيحاً . لم أخرج من دهشتي، لكن أخرجني هو على الفور من دائرة الشك، في الحقيقة، كان يدعوني لرؤيته في فندق نوغاروو، فكرت بأنه سيكلمني عن بوليفيا والعسكريين الذين استولوا على السلطة، لكن على أية حال لم يشرح لي الأسباب التي دعته لاختياري أنا بالتحديد، لكني كنت مخطئاً .

قبل سنوات من ذلك كنت قد نشرت مقالاً حول مارسيل بروست والشعور بالذنب، حسناً، كان سيليس زوازو يريد الحوار معي بشأن بروست ومواضيع أدبية أخرى. التقيت بذلك السياسي دون مخرج إلى البحر، تلك الشخصية ذات الحكايات ذات القيمة الوطنية، والتي كانت

قد قُصت علي من قبل العديد من الأصدقاء، كان رجلاً مثقفاً بامتياز، قارئاً مواظباً على قراءة الأدب الحديث.

تكلمنا حول بروست، بالطبع، بينما كنا نحتسي الشاي مع الخبز المحمص. فقط كانت تنقصنا فطائر الماغدالينا، والمرات القليلة التي عرجنا فيها إلى الشأن السياسي، كانت بسبب أسئلة من طرفي، بينما بالمقابل كان هو يريد التكلم في الأدب، وعلى فكرة، قال أشياء غاية في الذكاء والفطنة.

احتسينا الشاي عدة مرات، بعد هذا اللقاء المبدئي في النوغارو، وأحتفظ بذكريات لطيفة وممتعة من تلك الحوارات. بعد ذلك بقليل غادر مونتيفيديو والتحق بالكفاح والتقلبات السياسية لبوليفياه التي لا يمكن استبدالها .

مضت سنوات طويلة دون أن أراه، برغم أنني دائماً كنت أتابع عمله السياسي الذي لا يكل، علني، عندما يستطيع، وسري عند الحاجة. ذات ليلة في يوم ماطر، عام 1974، في بوينس ايرس، كنت قادماً، أعتقد من شارع باراغواي محاولاً أن أحمي نفسي من المطر، فجأة، عند المرور مهرولاً مقابل دهليز، بدا لي أنني تعرفت إلى رجل كان أيضاً يحمي نفسه من البلل.

عدت للخلف. لقد كان الدكتور سيليس. كان هو أيضاً قد تعرف علي. «وهكذا حضرتك كان عليك اللجوء أيضاً .» «نعم يا دكتور.. عندما تكلمنا في مونتيفيديو كان هذا يبدو مستحيلاً، صحيح؟» «نعم، هكذا كان يبدو» في تلك البقعة الظليلة لم أستطع أن أميز ابتسامته، لكنني تخيلتها . «وفي هذا اللجوء غير المتوقع، أي مرحلة هي الحالية؟» أجبت بشيء من الخجل: «إنها الثالثة.» «إذن لا تحزن، فأنا في الرابعة عشر.»

لم نتكلم حول بروست تلك الليلة..

بياتريس
(هذا البلد)

هذا البلد ليس بلدي لكني أحبه كثيراً، لا أدري إن كنت أحبه بقدر ما أحب بلدي، أتيت وأنا صغيرة ولا أذكر متى كان ذلك، أحد الفروقات هي أنه في بلدي يوجد خيول أما هنا .. لا يوجد، لكنها جميعها تصهل. البقرات تخور والضفادع تنق.

هذا البلد أكبر من بلدي، لا سيما لأن بلدي صغيراً جداً، وهنا يعيش جدي رافائيل وأمي غراثيللا. وأيضاً ملايين أخرين. من اللطيف معرفة أنك تعيشين في بلد يسكنه ملايين كثير من الناس. عندما تصطحبني غراثيللا إلى مركز المدينة، يعبر أفواج من الناس في الشارع، الكثير الكثير من الناس الذين يمرون، حيث يبدو لي أنني يجب أن أتعرف على كل الملايين في هذا البلد.

في أيام الآحاد تبدو الشوارع شبه فارغة، وأنا اسأل أين ذهبت كل هذه الملايين التي رأيتها الجمعة؟ جدي رافائيل يقول بأن أيام الآحاد الناس يبقون في بيوتهم للراحة، والراحة تعني القول (نوم).

في هذا البلد ينامون كثيراً، لا سيما أيام الآحاد، وبما أن الذين ينامون هم ملايين كثيرة، فإذا كان كل واحد منهم يشخر تسع مرات في

الساعة (أمي تشخر أربع عشر)، هذا يعني القول أن كل مليون من السكان يشخر تسع ملايين مرة في الساعة، أي أنه يعم الشخير..!

أنا أحياناً عندما أنام آخذ بالحلم، تقريباً دائماً أحلم بهذا البلد، لكن بعض الليالي أحلم ببلدي، وتقول لي غراثيللا أنه لا يمكنني تذكر بلدي، لكني عندما أحلم، نعم أتذكر. برغم أن غراثيللا تقول أني أعمل خدعة، لكني لا أفعلها.

إذ أحلم أن أبي أمسك بيدي وأخذني إلى الفيللا دولوريس، وهو اسم حديقة الحيوانات، ويشتري لي مأكولات لأعطيها للقردة، وهذه القردة التي أراها في الحلم ليست قردة حديقة الحيوانات هنا، لأن القردة هنا أعرفها جيداً، وأيضاً لزوجاتهم وأبناءهم. قردة أحلامي هي قردة فيللا دولورس، وأبي يقول لي هل ترين يا بياتريس هذه القضبان؟ هكذا أعيش أنا أيضاً! عندها أستيقظ باكية في هذا البلد، وغراثيللا يجب أن تأتي لتقول لي يا حلوة إنه مجرد حلم.

أعتقد أنه من المؤسف أن من بين الملايين من الناس الموجودين في هذا البلد، لا يوجد أبي مثلا..!

جـرحـى ومصـابـون

(أن تحلم مستيقظة)

- أترين، لهذا لا أريد أن تأتي لوحدكِ.

- ماذا فعلت؟

- لا تلعبي دور المسكينة..

- لكن ماذا فعلت؟

- كنت ستعبرين الشارع والإشارة حمراء.

- لم يكن هناك أي سيارة.

- نعم كان هناك يا بياتريس.

- لكن بعيداً جداً.

- هيا الآن.

تمران مقابل السوبر ماركت. ثم، مقابل المصبغة.

- غراثيللا.

- ماذا تريدين؟

- أعدك باني سأعبر دائماً والإشارة خضراء.

- هذا ما وعدتني به الأسبوع الماضي.

- لكني أعدك عن جد الآن. هل تسامحيني؟

- ليست المسألة مسامحة أم لا، ألا تفهمين بأنك إذا ما قطعت الشارع بينما الإشارة حمراء قد تدهسك سيارة؟

- معك حق.

- ماذا سأفعل أنا يا بياتريس إذا ما حصل لك شيئاً؟ ألا تفكرين بهذا؟

- لن يحدث لي شيئاً يا أمي، لا تبكي، أرجوكِ، دائماً سأعبر والإشارة خضراء، غراثيللا، أمي.. لا تبكي..

- لم أعد أبكي حمقاء،هيا، ادخلي.

- ما زال الوقت مبكراً. تبدأ الحصص خلال عشرين دقيقة، الشمس لطيفة، وأريد أن أبقى مزيداً من الوقت معك.

- متملقة..

عندما تقول هذا، تتراخى غراثيللا قليلاً وتبتسم.

- هل سامحتيني؟

- نعم.

- هل ستذهبين إلى المكتب الآن؟

- لا.

- هل أنت في إجازة؟

- عملت طويلاً الأسبوع الماضي وأعطوني عطلة هذا الاثنين.

- وماذا ستفعلين؟ هل ستذهبين إلى السينما؟

- لا أعتقد. أعتقد أنني سأعود إلى المنزل.

- هل ستأتين لأخذي عند الخروج؟ أو بإمكاني العودة وحدي؟

- أود أن أثق بك..

- ثقي بي يا أمي، لن يحدث لي شيئاً.. بجد..

لا تنتظر بياتريس إجابة غراثيللا، تقبلها تقريباً في الهواء، وتدخل

راكضة في المدرسة، تبقى غراثيللا لبرهة بدون حركة، ناظرة إليها وهي تبتعد، ثم تضغط على شفاهها وتذهب.

مشت ببطء، هازة حقيبتها، تتوقف أحياناً، كحائرة. عندما وصلت إلى الجادة، مررت عينيها على مجموعة الأبنية الكبيرة. فجأة،يحتك الذين يعبرون الإشارة بها، يدفعونها، يقولون لها شيئاً، وعندها تقرر هي أن تعبر أيضاً. لكن قبل أن تصل إلى الرصيف، كانت الإشارة قد أصبحت حمراء، وكان عليها أن تتجنب حافلة.

الآن تجتاز شارعاً شبه فارغ، حيث هناك بقع قمامة، طافحة ونتنة، تقترب من إحداها وتنظر باهتمام للمحتوى، تقوم بحركة كما ولو أنها تريد إدخال يدها، لكنها تتوقف.

تسير اثنان، ثلاثة، خمسة، عشرة مربعات.. في الزاوية السابقة والجادة الأخرى، هناك امرأة تتسول، وبجانبها كان ينام طفلان صغيران جداً، اقتربت والمرأة تعاود استجدائها.

- لماذا تتسولين؟ ها؟

تنظر لها المرأة مندهشة. فهي معتادة على العطاء، على الرفض، على اللامبالاة.. لا على الحوار..!

- كيف؟

- أسألك لماذا تتسولين؟

- لكي آكل يا سيدتي، لمحبة الله..

- أو ليس بإمكانك أن تعملي؟

- لا يا سيدتي.. من أجل مرضاة الله.

- لا تستطيعين، أو لا تريدين؟

- لا يا سيدتي.

- لا ماذا؟

- ليس هنالك عمل، من أجل الله..

- دعـــي مرضـــاة الله وشـــأنها، ألا تنتبـــهين إلى أن الله لا يريـــد مرضاتك؟

- لا تقولي هذا يا سيدتي.. لا تقولي هذا..

- خذي.

- شكرا يا سيدتي، من أجل مرضاة الله..

تمشي الآن بخطوات أكثر ثقة وأسرع، بقت المتسولة في الخلف، متحيرة، وأخذ أحد طفليها يجهش بالبكاء، التفتت غراثيللا لتنظر إلى الطفلين، لكن لا تتوقف..

عندما أصبحت على مسافة جادتين من منزلها، تلاحظ رولاندو ممحياً، مستنداً إلى الباب، تجتاز جادة أخرى، وتحييه رافعة ذراعها، لكن يبدو أنه لم يرها، تكرر هي الإشارة وعندها يجيب هو ملوحاً أيضاً بذراعه، ويتقدم للقائها.

- كيف علمت أني قادمة إلى المنزل؟

- بسيطة. اتصلت بالمكتب وقالوا لي أنك لم تذهبي.

- كنت على وشك الذهاب إلى السينما.

- نعم، فكرت في هذا الاحتمال، لكن الشمس كانت لطيفة لدرجة أنه بدا لي من غير المحتمل أن تقرري أن تقفلي على نفسك في صالة سينما، وهكذا قررت المجيء إلى هنا، وكما ترين، أصبت.

- يقبلها في خديها، تفتش في حقيبتها بحثاً عن المفتاح، تجده وتفتح.

- أدخل، اجلس، هل تريد أن تحتسي شيئاً؟

- لا شيء.

تفتح غراثيللا الستائر وتنزع ردائها، ينظر إليها رولاندو محققاً.

- هل كنت تبكين؟

- هل يبدو علي؟

- لديك الشكل الذي يدعى تقنياً: ما بعد العاصفة.

- لا تهتم، إنها فقط دموع بسيطة..

- ماذا حدث؟

- ليس كثيراً، فقدان همة غير عادل أمام متسولة. وقبلها غضبة عادلة مع بياتريس.

- مع بياتريس؟ لكنها غاية في اللطف!

- شيطانة. لكنها تغلبني دائماً.

- وماذا حدث؟

- حماقة مني، إنها لا تحذر عندما تعبر الشارع، وهذا يخيفني.

- فقط هذا؟

يعرض عليها رولاندو سيجارة، لكنها ترفض. يأخذ هو واحدة ويشعلها، يأخذ السحبة الأولى، وينظر إليها من خلال الدخان.

- غراثيللا، متى ستقررين؟

- أقرر ماذا؟

- أن تعترفي لنفسك بما لا أعرف. بالتحديد. شيء لا تريدين الاعتراف به...

- لا تبدأ من جديد يا رولاندو. تزعجني هذه اللهجة الأبوية.

- أعرفك منذ زمن طويل يا غراثيللا. حتى قبل سانتياغو.

- هذا صحيح.

- ولأني أعرفك. فأنا أعرف أنك في حال سيء.

- أشعر...

- وستبقين تشعرين هكذا حتى تعترفين به..

- ربما. لكنه صعب... إنه قاسي...

- أعلم..
- يتعلق الأمر بسانتياغو؟
- أهه.
- وفوق كل شيء بي، ليس الأمر معقداً لهذه الدرجة، لكنه قاسي.. لا أدري ماذا يحدث لي يا رولاندو.. إنه لمن الرهيب الاعتراف به! لكني لست بحاجة لسانتياغو..
- ومنذ متى تشعرين هكذا؟
- لا تطلب مني تواريخ، لا أعرف.. إنه شيء غير معقول..
- لا تقدري ذلك بعد.
- إنه شيء غير معقول يا رولاندو، فسانتياغو لم يفعل لي شيئاً.. فقط سقط معتقلاً.. ما رأيك؟ بعد كل شيء، هل بالإمكان فعل شيء أسوأ لأحد، هل هناك شيء أبشع من هذا؟ هذا ما فعله لي.. سقط معتقلاً.. تركني..
- لم يتركك يا غراثيللا، لقد أخذوه.
- أعلم.. لهذا أقول لك بأنه شيء غير معقول، أعرف أنهم أخذوه، ومع ذلك أشعر كما ولو أنه تركني..!
- وأنت تلومينه؟
- لا، كيف سألومه؟ لقد تصرف جيداً، تصرف أفضل من اللازم، احتمل التعذيب، كان شجاعاً، ولم يشي بأحد.. إنه مثال..
- وبالرغم من ذلك..
- وبالرغم من ذلك أخذت بالابتعاد.. والبعد أعطاني فرصة لتصفح كل علاقتنا.
- وقد كانت رائعة.
- رائعة جداً.

- إذن؟!

- لم تعد الآن كذلك! ما زال هو يكتب لي رسائل حميمة، حنونة، حارة، لكني أنا اقرأها كما لو كانت لأخرى، هل بإمكانك أن تشرح لي ما الذي يحدث؟ هل يكون قد صنع السجن من سانتياغو رجلا آخر؟ هل يكون المنفى قد حولّني لامرأة أخرى؟

- كل شيء ممكن، لكن أيضاً كل شيء بإمكانه أن يكون مكمّل، ويغني، ويتحسن.

- أنا لم أتحسن ولم أصبح أفضل، أشعر أني أكثر بؤساً، أكثر جفافاً، ولا أريد أن أبقى على هذا الحال.

- غراثيللا.. هل ما زلت تشاركين سانتياغو مواقفه السياسية؟

- بالطبع. إنها أيضاً مواقفي، أليس كذلك؟ إلا أنه هو وقع.. وبالمقابل أنا هنا.

- هل تلومينه على معتقداته؟

- هل أنت مجنون؟ لقد فعل ما كان عليه أن يفعل، وأيضاً أنا فعلت ما كان يجب علي فعله.. هنا أنت ذاهب باتجاه خاطئ، فقد كنا وسنكون في هذا متحدين، حيث لست أنا متحدة معه في العلاقة ما بين الاثنين. ليس فيما هو اجتماعي وإنما في الزوجي، أتفهم؟ هذا على الأقل ما يبدو واضحاً لي، ما ليس لدي واضح هو السبب! وهذا يعذبني.. لو كان سانتياغو قد أساء إلي، أو لو كنت قد رأيت أنه أساء لأحد ما، لكن لا. إنه شخص من الطراز الأول، وفي، صديق جيد، رفيق جيد، زوج جيد. وكنت عاشقة له جداً..

- وهو؟

- وهو أيضاً، ويبدو أنه ما زال.. المجنونة هي أنا..!

- غراثيللا. أنت ما زلت شابة لطيفة، ذكية، وأنت ناعمة أحياناً.. ربما ما تشتاقين إليه هو استدراك أغلاط سابقة، المكافأة العاطفية.

- ياه، كم هو صعب!

- إن سانتياغو لا يستطيع منحكِ إياها بالبريد، وأقل بالبريد المراقب.

- ممكن.

- هل بإمكاني أن أسالك سؤال، لكن طائش؟

- بإمكانك، وأيضاً بإمكاني أن لا أجيب..

- موافق.

- هيا إذن.

- هل تحلمين برجال آخرين؟

- هل تقصد أحلام عاطفية؟

- نعم.

- تقصد أن أحلم نائمة أو مستيقظة؟

- كلاهما .

- عندما أنام لا أحلم بأي رجل.

- ومستيقظة؟

- مستيقظة نعم احلم، ستضحك.. أحلم معك..!

السيد رافائيل

(مجانين لطفاء وقبيحون)

كتب لي سانتياغو، وهو بصحة جيدة، لقد تعلمت قراءة ما بين السطور لديه، وأعرف من خلالها أنه ما زال بعقل سليم، خوفي كان لهذا، لا أن يشي أو يضعف، فهذا مستحيل. أعتقد أني أعرف ابني جيداً. لقد كان خوفي أن ينزلق من اتزان العقل إلى حيث لا أدري. لقد قالها مدير السجن ذات مرة، لا أدري إن كان الأخير أو ما قبل الأخير: «لم نجرؤ أن نصفيهم جميعاً عندما كان لدينا الفرصة، وعلينا أن نطلقهم في المستقبل، علينا استغلال الوقت لنحوّلهم إلى مجانين». كان صريحاً على الأقل، حقاً؟ صريح وسافل. لكن بشكل ما فهذه الوقاحة تضع الأصبع على الجرح، إنه فيهم، كلاب الصيد البشرية حيث هناك شيء جنوني، إنهم من استغلوا الوقت ليجنّوا. لكنهم ليسوا مجانين لطفاء، إنهم مجانين مشوهون، قبيحون لدرجة الاستحالة، مجانين، هذه حرفتهم وهي اختيارهم الحر، وهي الشكل الأكثر دناءة للجنون.

الآن حسناً، وبرغم أن مدير السجن قال ذلك قبل خمس سنوات، فأنا ما زلت متشبث بالكلمات التي بالإمكان استغلالها من ذلك البرنامج المثير للقشعريرة: «علينا إطلاقهم في المستقبل». لنقل بأنهم لم يتجرؤوا أن يصفّوا سانتياغو عندما كانت لديهم الفرصة لفعل ذلك، لكن، هل سيكون

هـو مـن بـين الـذين سـيطلقونهم قبـل أن يُجنـوا؟ آمـل ذلـك. لقـد اسـتطاع سـانتياغو أن يكوّن، أو ربمـا يكتـشف في داخلـه، حيويـة غريبـة مـن نوعهـا، فهبوطه إلى الجحيم لم يحولـه إلى رماد، لكـن ربما لـسعته النـار. أعتقـد أن التشبث بالاتزان مفيد أكثر من انتظار أمل ما! وهـو مـا زال متزنـاً. أضـرب على الخشب، وإذا كان هناك شك، (فمـثلاً هـذه الملعقـة مـن شـجر الزيتـون، التي بالإضافة هي هديـة مـن ليديا) ما زال متزنـاً لأنـه كـان قـد ألـزم نفسه بالمنطق.

وهـو يقّـنن جرعـة كرهـه بحـذر وفطنـة، هـذا في غايـة الأهميـة. إن الأحقاد تنشّط وتحرّض فقط إذا ما كان هناك مـن يـسيطر عليهـا، وتحطـم وتشوّش عندما تكون هـي مـن تحكمنـا. أعلـم أنـه مـن الـصعب امـتلاك حـس سـليم، عنـدما يكـون قـد مـرّ بالـذل والتعنـت والاشمئزاز مـن المـوت والخطـر بـدون هدنـة، كمـا الرعـب والعـذاب في مراحـل شـاقة. عقـب هـذه المسيرة، فالتشبث بالحكمة بإمكانه أن يكون شكل من الهذيان، هكذا فقـط بالإمكـان تفسير هذا الإصرار على الاتزان، وأيضاً من أجل المبادئ، بالطبع. لكـن كـان هناك أشخاص بقوة واتزان شديدين ومبادئ معلنة، لكنهم مع ذلك، ضـعفوا وشعروا بعد ذلك بـالقرف، أشـخاص لا أسـتطيع الحكم عليهم، فهـذا يبقـى ويبقـى لي غايـة في الوضـوح، لأن المـرء لا يعـرف حقيقـة مـن سـيتحول إلى رماد، ومـن سيكون غير قابل للاحتراق، إلا عنـدما يقـع في موقـد مـا! أقـول بكل صـراحة أن المبـادئ بالتأكيـد هـي عـاملاً رئيـسياً، لكنـها مجـرد عامـل واحد، والبـاقي بالتأكيـد احترام المـرء لنفسه، وفـاؤه للبـاقين، لاسـيما الكـثير مـن الإصـرار، الكـثير مـن العنـاد الـصرف، وأيـضاً، يحـضرني الآن، إزالـة تدريجية لقدسية الموت، لأن هذا بالتأكيد هو الحجة الأقوى والأشد قطعيـة الـتي يـستخدمونها: الإمكانيـة الحقيقيـة، بالحـضور الخـالص للمـوت، لكـن لـيس أي مـوت، وإنمـا المـوت الشخـصي. وفقـط تقزيمـه أمـام نفسه، تبديـد

رهبته فقط، بإمكان المرء عندها أن يربح المقاومة، بإقناع نفسه أن الموت بعد كل شيء ليس بهذا السوء، وأنه إذا ما مات فهذا شيء جيد، إذا ما مات بدون شبهات ضد نفسه. مع ذلك، فإنه يحدث (أنا الذي لم أمر أبداً في هذا الخطر) بأنه لا يمكن أن يكون سهلاً، لأن في مرحلة كهذه يكون المرء وحيداً بشكل مرعب، ولا حتى إن كان مصحوباً بحضور قذارة الحائط أو الجدران، ولا بالوجوه النجسة لمن يحطموه، إنه فقط مع قلنسوته، وردائه الخيشي.. وحده مع تسرّع دقات قلبه.. تقيؤاته.. اختناقه أو حزنه بدون نهاية. من الواضح، أنه عندما ينتهي هذا، عندما ينتهي هذا ويصبح مدركا بأنه ما زال على قيد الحياة، يجب أن يبقى له بقايا كرامة، وأيضاً بقايا ضغينة، شيء لا يمكنه أن يفقده أبداً، وعلى الرغم من أن المستقبل الغامض يقدم أماناً وثقة وحباً وخطىً واثقة، بقية من الضغينة بإمكانه أن يصبح مستوطناً، وحتى بالإمكان أن يفسد الأمان والثقة والحب والخطى الواثقة، ويمكن تحميلها إلى أكثر من فرد في المستقبل، أي أن هؤلاء الذين لا يرحمون، هؤلاء الخبراء في القسوة، هؤلاء آكلوا لحوم البشر الغير منتظرين، هؤلاء الأساتذة للنظام المقدس للخديعة، ليس فقط لديهم ذنب حالي، إنما أيضاً تجسيد، يلامس الحد اللا نهائي، لهذا الذنب. ليسوا فقط مسئولين عن كل ضغينة شخصية، أو مجموع من الأحقاد، وإنما أيضاً مسؤولون عن تعفن الأساسات القديمة لمجتمع بأكمله، عندما يعذبون رجل، يقتلونه أو لا، يحطمون أيضاً (حتى ولو لا يحبسونهم، وإنما يتركونهم مخذولين وحمقى في بيتهم المغتصب) زوجاتهم، آبائهم، أولادهم، علاقاتهم في الحياة. عندما يحطموا معارض (كما هو حال سانتياغو) ويدفعون عائلته إلى منفىً قسري، يمزقون الزمن، يغيرون التاريخ، لهذه الحدود الدنيا. أن يعاود المرء تنظيم نفسه في المنفى ليس كما يقال في الكثير من المرات، أن تبدأ من الصفر، وإنما من أربعة تحت الصفر أو عشرين أو مائة تحت الصفر،

فالذين لا يرحمون، من فازوا لشدة قسوتهم، هؤلاء الذين بدؤوا مدققين وأنتهوا بفاسدين، هؤلاء فتحوا قوسين كبيرين في ذلك المجتمع، قوسان سيقفلان ذات يوم بالتأكيد، عندما لن يكون أحد قادر على أن يصلي صلاواته القديمة المعتادة، مما يجب خلق صلاوات جديدة، إصلاح أخرى حيث لن تكون الكلمات هي نفسها (لأنه أيضاً كان هناك كلمات لطيفة للذين تعرضوا للتعذيب أو الإعدام أو المدرجين في قوائم المفقودين)، حيث الفاعل وحروف الجر والأفعال المتعدية، لن تصبح بعد اليوم نفسها. سيكون قد تغير النحو في هذا المجتمع، الذي لم يولد بعد، حيث ستظهر عندها مفردات ضعيفة،مترددة، حذرة بشكل مفرط، لكن مع الوقت ستأخذ بالتبلور، مخترعة قوانين جديدة واستثناءات جديدة، كلمات لامعة من رماد حُرق قبل أوانه، اقترانات عاطفية أنسب لتخدم كجسر بين أولئك الذين بقوا وأولئك الذين ذهبوا وسيعودون. لكن لا شيء بإمكانه أن يصبح مشابهاً لما قبل الثالثة والستين. للأفضل أو للأسوأ، لست متأكد! وأنا متأكد أقل من ذلك، إذا ما كان بإمكاني الاعتياد، إذا ما عدت ذات يوم، لهذا البلد المختلف الذي يتخمر الآن في الغرف الخلفية للممنوع. نعم، من المحتمل أن تكون العودة من المنفى بنفس قسوة المنفى، فالمجتمع الجديد لن يكون قد قام على أكتاف المحنَّكين مثلي، ولا حتى للشباب الناضجين مثل رولاندو أو غراثيللا، إننا الناجون، بالطبع، لكن أيضاً جرحى ومصابون.. هم ونحن.. هل ستقوم إذن على أكتاف من هم أطفال الآن؟ مثل حفيدتي؟ لا أدري، لا أدري. ربما العمال، الذين سيصنعون هذا البلد الواثق والخاص، الذين هم اليوم أطفال لكن ما زالوا موجودين في البلد .. ليس الشباب والشابات الذين سيجلبون في خيالاتهم ثلج من أوسلو أو غروبات من البحر الأبيض المتوسط أو أهرامات من تيوتيهواكان أو بكرات من فيا ابييا، أو سماوات سوداء من الشتاء السويدي. ولا أيضاً الشباب والشابات الذين يحضرون في الذاكرة

الأطفال المتسولين من الأميدا، أو متعاطوا المخدرات في الكوارتير لاتين، أو السكرات المعتادة لكاراكاس أو مدريد، أو أعمال الشغب النازية الجديدة للمعجزة الألمانية. بتلخيص بإمكانهم أن يساعدوا، أن يعطوا ما تعلموه، وأن يسألوا عما لم يتعلموه، أن يحاولوا التأقلم والتحمل. لكن مراهقوا اليوم هم من سيصنعون البلد الجديد والخاص للمدى المنظور، هذا الوطن الذي ما زال غامضاً، من كانوا وما زالوا هناك، الذين من خلال عدسة طفولية، لكن ليست فاقدة للذاكرة، رأوا جانباً كبيراً من المناوشات القاسية، مثل مراهقين آخرين، فقد كان جيل التاسع والستين والسبعين مخترقين كأعداء، وكما اعتقلوا آبائهم وأعمامهم وأحياناً أمهاتهم، وحتى أجدادهم، وكانوا يرونهم بعد فترة طويلة جداً، لكن من خلف القضبان أو من بعيد أو أيضاً من خلال تقارب مشغول من عدم التواصل والبعد. ورأوا ناساً يبكون، وبكوا هم أنفسهم بجانب توابيت كان ممنوعاً فتحها، ورأوا كيف أتى بعد ذلك الصمت، صاماً للآذان في الزوايا، ومقصات في الشعر وفي الحوار، كما الكثير من الروك والجوكي بوكس وماكنات اللعب حتى ينسوا ما لا يمكن نسيانه. لا أدري كيف أو متى؟! لكن الأطفال الباكين اليوم، هؤلاء سيصبحون الطليعة لوطن واقعي. وماذا عنا نحن المحنكين؟ نحن العربات القديمة، كما يقولون الجايتا؟ حسناً، الذين سيكونون ما زالوا بليغين، نحن العربات التي ستكون ما زالت تعمل، نحن سنساعدهم لتذكر ما رأوه. وأيضاً ما لم يروه.

المنافي

(الوحدة الساكنة)

في صوفيا، بلغاريا، انتهى مصير h. صحفي، مختص بالشؤون الدولية، مراسل لصحيفة بلغارية في مونتيفيديو، كان عليه اللجوء إلى الأرجنتين إثر العديد من الهجمات للنظام، حيث عاش سبعة أشهر، ولكن بعد اغتيال زيلمار ميتشيلنيى وغوتيرريز رويز، أيضاً أصبح المنفى الأرجنتيني غير صالح للسكن للاجئين الأوروغوايين، فخرج باتجاه كوبا تحت حماية الأمم المتحدة ومنها إلى بلغاريا.

كان يعيش وحيداً، بعيداً عن زوجته وأبنائه، لكن بالتأكيد كان قد أقام بعض الصداقات مع البلغار، أناس دافئون ومريحون، أصدقاء للمشروبات النبيلة والوجدانية، ولا بد أنه استمتع بالجادات الرائعة، بمشاتل الورود، المتواجدة على طول وعرض هذه الأرض الرائعة لديميتروف، طبعاً، لكن أيضاً لصديقي فاسيل بوبوف، الذي منذ أكثر من عشر سنوات، كان قد كتب ونشر قصة في غاية الحنان، حول التقائه بإثنين من الحزب المسلح توباماروس في مصعد فندق في هابانا.

نعم، لا بد أنه اعتاد على اللبن البلغاري وعلى القديسين الارثوذوكس، وعلى القهوة التركية، والتي تبدو لي لا تطاق، ولكن مع

ذلك لا بد أنه ما زال هناك شعور بالإذلال المقيت لأن يكون وحيداً، وأن ينظر إلى نفسه بشكل يومي في المرآة مع تعجب جديد وخضوع قديم.

عندما وصلت في منتصف عام 1977 إلى صوفيا لأحضر لقاء كتّاب من أجل السلام، كان h قبل عدة أيام أصبح خبراً بوصفه صحفي، كان قد وصل إلى شقته ككل مساء، وعلى الأغلب نام، فذهبوا إلى طرق بابه، وعندما لم يجدوا أي إجابة، أحضروا الشرطة لفتح الباب.

كان في سريره، على قيد الحياة، لكن بدون وعي، فقد أصيب بانهيار كان قد سبب له شلل جانبي، حيث كان في هذه الحالة منذ ثلاثة أيام على الأقل، ولم تنفع العناية المشددة في شيء.

في الواقع، لم يمت من الفالج، وإنما من الوحدة. أكدَّ الأطباء حينها أنهم لو وجدوه في وقتها، لكان قد بقي على قيد الحياة، فعندما وجده أصدقائه، كان قد فقد وعيه، لكن من المفترض أنه كان خلال الأربع وعشرين ساعة يعرف ما الذي يحصل له. من المحزن وضع نفسي في مكانه، متخيلاً أفكار رجل متجمد. لن أضع نفسي في مكانه، احتراماً، رغم أنني في وضع خاص لتقمص ما حصل.

عامان قبل هذا، في منفاي في بوينس ايرس، في شقتي في لاس هيراس وبويرريدون، واجهت شيئاً من هذا القبيل، كنت في شبه غيبوبة خلال يوم كامل، حيث كنت أسير لما يدعى بالربو السيئ، وعلى ما يبدو، اتصل بي بعض الأصدقاء، لكني لم أسمع شيء، برغم أن الهاتف كان بجانب السرير. حتماً اعتقدوا بأنني لم أكن في المنزل. في تلك الأشهر القاتمة لأرجنتين لوبيز ريغا، عندما كانت تظهر كل يوم عشر أو عشرون جثة في مكبّات القمامة، كنا قد اعتدنا في بعض

الليالي القلقة، أن ننام في منازل أصدقاء لنا، وهكذا كان في سلسلة مفاتيحي على الأقل ثلاثة مفاتيح.

استعدت في المساء الوعي بغموض، أجبت على مكالمة، فقط واحدة، ثم عدت وانتكست. تلك الإشارة الوحيدة استطاعت أن تنقذني. لم يملك h ولا حتى هذه الإمكانية، كانت الوحدة قد تركته بلا حراك.

الآخـر
(عنوان وملحق)

شعلة هي بياتريس، آه لو يراها سانتياغو، رولاندو يعرف أن ذلك هـو الامتحان الأصعب للأكول الشهير! سنوات بدون بياتريس، من يعرف كم! الآن هنالك أمل، لكن حتى ذلك الوقت، بالطبع سيكون قد أصاب سانتياغو المزيد من الحنين، وغراثيللا من بينها بالطبع، لكن الأكثر لا بد أن يكون بياتريس، لأنه عندما اعتُقل لم يكن قد قضى وقتاً طويلاً معها بعد، وليس كثيراً بالطبع، لأنها كانت سنوات صعبة، لكن على أية حال كان يفرّغ بعض الوقت لرؤيتها كل يومين أو ثلاثة، ويقودها إلى السرير ليلعب معها، ويجن لبرهة معها، فمنذ أن كانت صغيرة كانت غاية في الذكاء والنشاط. لقد كان سانتياغو أب حقيقي، ليس مثل رولاندو أسويرو، المعتاد على المواخير العادية في المقام الأول، وعلى مواخير أكثر أناقة فيما بعد. في الحقيقة لقد كانت السياسة هي التي قضت على أسلوبه في الحياة، يجب الانتباه بأنه في الأوقات الأخيرة حتى هذه المواخير كانت تُستخدم للاتصالات السرية للحزب. يا لها من طريقة لإضاعة الفرص، فلقد أصبح يشعر بالخزي لعدم نزع رداءه هناك، وكان عليه أن يحترم علاقاته الرفاقية. (لدينا تانغو يقول: لقد زججت بنفسي في هذا، يا للأحمق) في ذلك المرح للمحيط المحافظ. حسناً، بعض المرات كان المكان بحد ذاته أقوى من معناه الأصلي كماخور.

على آية حال فقد كان يبدو له دائماً بأنه استغلال للمسؤولية من جانب عدم مسؤولية المسؤولين، لأن الرفيقات كنّ بشكل عام جميلات وكان على المرء آن يحاول تركيز تفكيره في لوح من الثلج، أو حتى قمم ثلجية، ليصل آخيراً إلى آن يفقد التركيز على ما يجب، وما لا يجب فعله..

رائعة هي بياتريس، اليوم كان يتكلم معها لبرهة، بينما كانا كلاهما ينتظران غراثيللا. يحلو لرولاندو سماع حديث الطفلة وهي تتكلم عن الأم، وكيف تعرفها جيداً، وكيف تعرف نقاط ضعفها ونقاط قوتها، لكن الملفت آنها تقول ذلك بدون غرور، بدون مكابرة، بل بدقة علمية تقريباً، من الواضح بأن هذه الصرامة تتبخر عندما تبدأ بالحديث عن سانتياغو، لقد ألهّته. اليوم خوزقت رولاندو العم رولاندو (بالنسبة لها كل أصدقاء وصديقات غراثيللا هم أعمام) عندما سألته عن السجن، حول كيف يكون السجن؟ وما إذا كان صحيحاً بأنه بالإمكان رؤية السماء؟ (هو يقول نعم، لكن هي ترد بأنه يجيب هكذا ربما حتى لا نبكي غراثيللا وأنا)، وأنه لماذا كان سجيناً بالضبط إذا ما كانت غراثيللا مثله؟ ليؤكد العم رولاندو بأنه كان رجلاً طيباً جداً وأنه كان يحب وطنه، وهناك صمتت لبرهة لتسأله بعدها. بعينين شبه ضيقة، مركّزة في قلق لم يكن جديداً من دون شك، عمي ما هو وطني؟ أعرف أن وطنك هو الأوروغواي، لكن أنا أقول بأنه في حالتي حيث أتيت صغيرة من هناك، ها، قل لي عن جد، ما هو وطني؟ وعندما كانت تقول خاصتي، كانت تشير بسبابتها إلى صدرها، وهو كان يتنحنح. وحتى كان يمخّط ليعطي لنفسه وقت وليقول لها عندها بأنه من الممكن أن يكون هناك أشخاص، لاسيما أطفال لديهم وطنين. واحد عنوان والآخر ملحق، لكن اللعينة تصر عندها عن وطنها العنوان، وهو أنه واضح بأن وطنها العنوان هو الأوروغواي، بينما تضع اللعينة الأصبع على الجرح، فلماذا إذن لا أذكر شيئاً عن وطني العنوان؟ وبالمقابل نعم أذكر الكثير من

الأشياء عن وطني الملحق! وحمداً لله بأن في تلك اللحظة بالضبط كانت قد وصلت غراثيللا، وفتحت الباب (لأنهما كانا بالانتظار بجانب النافذة دون أن يقدرا على الدخول)، وذهبت لتغسل يديها وتسرح شعرها قليلاً. وآمرت بياتريس أن تغسل يديها أيضاً، لتجيب عليها بأنها قد غسلتهما عند منتصف النهار. لتصاب غراثيللا بالغضب عندها وتأخذها من ذراعها حتى المغسلة بشيء من القسوة وعدم الصبر، لتعود هائجة حيث كان رولاندو جالساً في الكرسي الهزاز، ناظرة إليه كما ولو كانت قد انتبهت للتو لحضوره، ولتقول له مرحباً بصوت متعب وعاجز. والذي كان يبدو فقط من بعيد بأنه صوتها.

بيـن الجـدران
(المنتجع)

لا أدري لماذا تذكرت طويلاً اليوم أيام الصيف في سوليس، كانت مزرعة لطيفة وقريبة جداً من الشاطئ. أحياناً، عندما أكون فاقداً للصبر وغاضباً، أفكر في الكثبان الرملية في الشاطئ لأهدأ. في تلك الأوقات الهادئة، المتشابهة كثيراً بالسعادة، من كان سيفكر أنه بعد ذلك سيأتي ما أتى؟ أذكر عندما صعدنا إلى السييرا، وتصادفنا مع سونيا وروبن، وعندما استأجرنا الأحصنة حيث لم تستطيعي أن تسيطري- بالرغم من أوامرك وجهودك- على المهر الراكض، و بقيت منهكة بعدها. مع ذلك، لا أذكر فقط هذه التفاصيل الساحلية - الريفية، أيضاً يحضرني نوع من الشعور بالانزعاج، والذي لم يتركني أستمتع بشكل كامل بتلك الأسابيع الثلاثة من الراحة، هل تذكرين أننا تكلمنا عنه عدة مرات، عندما كان ينزل الغروب فوق المزرعة لنبقى سوداويين وحتى حزينين؟ نعم، وهدوءنا كان صارماً بفظاعة، وراحتنا لم تكن مجانية ولم تكن متباهية، ومع ذلك فكرنا في من ليس لديهم شيء، لا عمل ولا خبز ولا مسكن، ولا حتى ساعة خاصة للأشواق لان مرارتهم كانت تستحوذ على وقتهم دون انقطاع. وهكذا كنا ننتهي بالصمت، دون حلول في الأفق، لكن كنا نشعر بالذنب بشدة. وبالطبع، في اليوم التالي، عندما كان يدخل الهواء النقي والمالح وشعاع

الشمس الأول المبكر إلى المزرعة، كنا نفقد عقلنا أمام هذا المنظر للطبيعة ونعود لنشعر بالإمتلاء والتفاؤل، وبينما كنتِ تجمعين الصدفات، وأنا على الدراجة، لأنك في تلك السنين كنتِ تسخرين من كرشي. وكما ترين، بعد عدة سنوات أخرى وأصبحت بلا كَرش، بالطبع نتيجة العلاج، الذي ربما ليس أفضل ما يُنصح به. وفي الأوقات الأخيرة، عندما كان يأتي الأصدقاء. (وهذا كان له جانب جيد وآخر سيء)، أليس كذلك؟ كان مسلياً آكثر. بالطبع، وكان ذلك محرضاً لمناقشات (بالرغم أنها أحياناً تكون طويلة) مجدية، فبالنسبة لي كان لها فائدة واضحة حيث ساعدتني على اكتشاف طريقة تفكيري في العديد من المسائل. لكن ذاك الصيف الجماعي أيضاً كان سيئاً، لأنه نزع منا شيئاً من الخصوصية، وضيّق من إمكانية الحوار (لنا نحن الاثنين)، وحصرها في السرير، حيث كان المعتاد استعمال أساليب تواصل أخرى. والى أي مصير انتهت تلك الشلة. أحدهم لم يعد موجوداً. أعتقد أن النساء في أوروبا (هل تتراسلين معهن؟). حسب ما فهمت. فأحد الشباب موجود هناك، هل ترينه أحياناً؟. عانقيه من طرفي، ماذا يفعل؟ هل يعمل؟ هل يدرس؟ هل ما زال زير نساء؟ أحتفظ بذكرى طيبة لولعه بالتانغو وطبيعته التصالحية. كيف هي سوليس؟ هل ما زال هناك التشاخا؟ كان لطيفاً تناول الغداء في الصالون المليء بشكل عام بانجليز. مهذبون ومتوحدون، كما دائماً. لماذا يحب الانجليز كثيرا هذا المنتجع؟ ربما كانوا يحبونه لنفس أسبابنا: فهناك ما يزال (على الأقل تلك السنوات) كان يُستعاد الشعور بالمحيط، كان بالإمكان رؤية الشاطئ، كشاطئ لا كمشروع تجاري برمال، وكان الإطار الطبيعي ما زال على قيد الحياة، والمنازل التي كانت ما تزال مزينة ببذخ لم تفسد المنظر. كان مدهشاً السير بجانب الضفة منذ الصباح الباكر، واستقبال تلك الموجات اللطيفة المتتالية فوق الأقدام، مانحة المرء الرغبة بالبقاء على قيد الحياة. أعتقد أن هذا كان

يعجبنا أيضاً، لأنه بشكل ما كان يرمز إلى الأوروغواي في ذلك الوقت، بلد الموجات الناعمة، وليست العواصف الهائجة التي أتت بعد ذلك. في أحد النهايات كان هناك صخوراً، ولكن ليس بمنحدرات ضخمة، كان المرء يجلس ببساطة، وتغزو المياه الأماكن بين صخرة وأخرى، تجول منظّفة تلك القنوات، واضعة السراطانات رأساً على عقب، وتفرّق بلح البحر نصفين، حيث كانت تجتمع مجدداً في زاوية صخرية ما. كان الإحساس عند الغروب مختلفاً، ربما مولّداً لطاقة وتفاؤل أقل، حاملة لهدوء لم أعد أختبره مجددا أبداً. كانت الشمس تبدأ بالاختفاء خلف كثبان جاوريغيلايرري، المتناثرة فوق الأمواج والطقطقة الإيقاعية لطيف الأمواج، مختلطاً بخوار معين وهو يبدو بعيداً جداً، وربما لهذا كانت تصبح صامتة وكئيبة. كنا في بعض الأيام نُصاب بعدوى هذا الحزن المؤقت، لكن كانت أحياناً تتحول لتصبح بشكل غير متوقع إلى خبز يومي، لأننا ببساطة لم يكن لدينا أسباب شخصية للوساوس المرضية، وعندها، برغم عيونك الخضراء كانت تبتل أحياناً، وأنا كانت تتشكل لي عقدة في الحنجرة، كنا دائماً واعين بأنه لم يكن هناك أسباب محددة للحزن، ما عدا الطبيعية، التي كانت مخصصة لمجرد العيش والموت، وكنا نعود سائرين ببطء، الآن متعانقين وبصمت، وفي راحة يدي اليمنى كنت أشعر بأن جلد خصرك العاري يرتعش، حتماً لأنه بدأت تلوح بوادر النسيم الليلي، ما كان ينقصنا هو الوصول للمزرعة، لنضع الكنزات، واحتساء الغرابا بالليمون وتحضير طبقاً من «الشورراسكو» مع البيض والسلطة، وتبادل القبلات بعض الشيء، ليس كثيراً، لان الأفضل سيأتي لاحقاً...

بياتريس

(كلمة ضخمة)

(حرية) هي كلمة ضخمة. فمثلاً، عندما تنتهي الحصص، يقال بأن التلميذة أصبحت حرة. وبينما تطول الحرية، تتمشى، تلعب، وليس عليها أن تدرس. يقال بأنه وطن حر عندما تفعل أي امرأة أو أي رجل ما يحلو له، لكن حتى الأوطان الحرة فيها أشياء ممنوعة كثيرة، كالقتل مثلاً. لكن طبعاً بالإمكان قتل الذباب والصراصير، وأيضاً البقر لصنع اللحم. ممنوع السرقة مثلاً، برغم أنه ليس خطيراً أن أحتفظ بشيء من الباقي عندما تكلفني غراثيللا، والتي هي أمي، بشراء أشياء. مثلاً، ممنوع التأخر عن المدرسة، برغم أنه في هذه الحالة يجب تقديم رسالة، أو بالأحرى على غراثيللا أن تفعل ذلك، مبررة ذلك، هكذا تقول المعلمة: (تبرير).

إن الحرية تريد قول أشياء كثيرة، فمثلاً، إن لم يكن الإنسان سجيناً، يقال أنها حر، لكن أبي سجين، ومع ذلك فهو حر، لأنه هكذا يسمى السجن حيث هو هناك منذ سنوات طويلة، وهذا ما يسميه العم رولاندو: (يا لها من سخرية)، فذات يوم أخبرت صديقتي أنجيليكا أن السجن حيث يوجد أبي يسمّى (حرية)، لكن العم رولاندو كان قد قال: يا للسخرية، فأُعجبت صديقتي أنجيليكا بهذه الكلمة، لدرجة أنه عندما

أهداها عرّابها جرواً، وضعت له الاسم سخرية! أبي سجين، لكن ليس لأنه قتل أو سرق أو وصل إلى المدرسة متأخراً. غراثيللا تقول بأن أبي حر، أي أنه سجين، بسبب أفكاره. يبدو أن أبي كان مشهوراً لأفكاره. أنا أيضاً لدي أفكار أحياناً، لكني لست مشهورة بعد، لذلك أنا لست في حالة حرية، بمعنى أني لست سجينة.

لو كنت سجينة، لوددت أن تكون معي اثنتان من دماي، توتي و مونيكا، سجينتان سياسيتان. لأني أحب أن أنام معانقة على الأقل توتي. ليس تماماً بالنسبة لمونيكا، لأنها عبوسة. أنا لا أضربها أبداً، لأني أريد أن أعطي لغراثيللا مثالاً جيداً.

فلقد ضربتني مرات قليلة، لكن عندما تفعل أود لو يكون لدي الكثير من الحرية. لكن عندما تضربني أو تنهرني أقول لها هي، لأنها لا تحب أن أدعوها هكذا، من الواضح أنه يجب أن أكون مجنونة لكي أدعوها هي. لأنه إذا مثلاً أتى جدي وسألني أين أمك، وأنا أجيبه هي هناك في المطبخ، عندها يعرف الجميع أنني مجنونة، لأنني عندما لا أكون مجنونة أقول غراثيللا في المطبخ. دائماً جدي يقول أنني الأكثر جنوناً في العائلة، وهذا يجعلني أحس بالسعادة. أيضاً غراثيللا لا تحب كثيراً أن أدعوها بغراثيللا، لكني أنا أناديها هكذا لأنه اسم لطيف. فقط عندما أحبها كثيراً، عندما أتودد وأقبلها وأحشرها وهي تقول لي أي ياصغيرتي لا تحشريني هكذا، عندها أناديها بأمي، وتتحرك مشاعر غراثيللا وتصبح حنونة جداً وتداعب شعري، وهكذا لن يكون جيداً لو قلت لها أمي لأي سبب سخيف.

أي أن الحرية هي كلمة ضخمة. غراثيللا تقول أن يكون المرء سجيناً سياسياً مثل أبي ليس أمراً معيباً، بل أنه يكاد يكون فخراً، لماذا يكاد؟ هل هو عيب أم فخر، هل سيعجبها إن قلت بأنه شبه معيب؟ أنا

فخورة، ليس تقريباً فخورة، وإنما فخورة بأبي، لأنه كان لديه الكثير من الأفكار، الكثير الكثير منها مما جعله يدخل السجن بسببها. أظن بأن أبي ستبقى لديه الكثير من الأفكار، أفكار هائلة، لكن من المؤكد تقريباً بأنه لا يحكيها لأحد، لأنه لو قالها، عندما يخرج من حالة الحرية ليعيش حراً، بإمكانهم أن يدخلوه مجدداً في حالة الحرية.. هل ترون كم هي ضخمة؟

منافي
(المسكن ما قبل الأخير)

إن موت صديق (وأكثر عندما يتعلق الأمر بشخص محبوب جداً مثل لوفيس بيديمونتيي) لهو فاطر للقلب،ممزق. لكن عندما يحقق الموت حصاره في المنفى، بل عندما يحدث في جو أخوي مثل هذا، فإن للتمزق آثاراً أخرى، معانٍ أخرى.

هذه النتيجة الطبيعية، هذه النهاية القسرية وهو الموت، له دائماً شيء من العودة. عودة إلى الأرض الراعية.. عودة إلى التراب.. ترابنا، حيث لن يكون أبداً مشابهاً لتراب آخر في العالم. إن الموت في المنفى هو بوضوح رفض العودة، وربما هذا أكثر جوانبها إظلاماً.

لهذا، خلال الفترة الطويلة للمرض المؤلم للوفيس، كان من الصعب رؤيته متشجعاً، مبتسماً، يقوم بمشاريع، و الأكثر صعوبة هو دخولنا في هذه اللعبة، تسمية مستقبل يحتوي عليه. تخيل أو فهم أنه سيعود ليتنفس هواء الشوارع، لرؤية الشاطئ، هذا القلب المضيئ لليوم الموتيفيديانو، والاستمتاع بالعنب، الخوخ، وهي كماليات الفقير.

كيف الحديث عن الأشياء الجيدة البسيطة التي تعطي طعماً للحياة وكانت تعطي معنى لحياته. لو كنا نعرف بأن الموت كان يقتفي أثره وبأنه لم يكن ممكناً لأحد أن يخبئه ولا أن يخفيه، ولا أن يموت من

اجله، أو حتى على الأقل إقناع مقتفي أثره أن يتركه، لكنا ذرفنا ما استطعنا من الدمع ليبقى حياً بيننا.

لقد كان المنفى في الأوقات الأولى، بين أشياء أخرى، المرارة القاسية للعيش بعيداً. الآن هناك أيضاً مرارة الموت بعيداً. هناك في القائمة خمسة أو ستة أسماء. الوحدة، الأمراض أو الطلقات، قضت عليهم ومن يعلم كم عددهم الآن هناك، ومن يدري كم عددهم في المنفى؟!

تكون الجرعة أكثر مرارة إذا ما فكرنا بأن الموت، بسبب المنفى هو الإشارة بأن ليس فقط لوفيس، وانما جميعاً، كان قد نزع منا بشكل خاطف هذا الحق الأعلى لترك القطار في المحطة حيث بدأت الرحلة، نزع منا موتنا في مكاننا الطبيعي.. ببساطة موتنا، هذا الموت الذي يعرف على أي جانب ننام، من أي أحلام تتغذى سهراتنا.

لذلك عندما قبلنا بأن لوفيس، الصديق الحبيب كقلة، سيذهب دون أن يعود. وعدناه بأن نناضل ليس فقط من أجل تغيير الحياة، إنما أيضاً الحفاظ على الموت، هذا الموت الذي هو أصل وولادة، الموت في ترابنا.

لقد كان لوفيس صحافياً ممتازاً، عضواً ثورياً، صديقاً مخلصاً، معجباً متحمساً للثورة الكوبية، لكن هل بإمكاننا أن نلخّص كل هذه الأسباب لنقول بأنه كان رجلاً استثنائياً، مع سمات البساطة والتواضع، للعاطفة والكرم، قدرة على العمل، فرح وقيمة، فعالية ومسؤولية، بشكل ما يشكّل رمزا للصفوة من شعبنا.

كان لديه صفتين متكاملتين، حيث نادراً ما تتعايش في المنفى، من جانب، النظر والسمع المنتبهة إلى العذابات والنضالات، إلى الإشاعات والصور، للوطن البعيد. ومن جانب آخر، قدرته العالية لكي

يكون نافعاً في خدمة تكامله المثمر في كوبا، الثورة التي كان يفهمها، يدافع عنها وكان يحبها كما لو كانت ثورته، ويعلم بشكل من الأشكال أنها ثورته.. أنها ثورتنا.

مع كل إحباطاته ومراراته، لم يكن المنفى ذريعة أبداً، للوحدة والانعزال. لقد كان يعرف أن الوسيلة الأفضل ضد سياط المنفى هو الإندماج في مجتمع يرحب بالمنفي، وهكذا، حازماً في قناعته، عمل بجرأة وسعادة، ككوبي آخر تقريباً، دون أن يغفل كونه أوروغوايياً كاملاً.

نذكر بأنه ما بين الأماكن المشتركة، حيث في العالم الرأسمالي، تطوف أعمال الموت، تتكرر كثيراً «مشاركة المنزل الأخيرة». مع ذلك، فلصديق مثل لوفيس، اليوم حيث نتركه ستكون فقط ما قبل الأخيرة، فالمشاركة الأخيرة ستكون دائماً بيننا، في عاطفتنا، في ذاكرتنا.. وسيكون مسكن بأبواب وشبابيك مصاحَبَة بسماء.

فقط هكذا سنهزم هذا الموت الذي يبدو بدون عودة، وسنهزمه لأنه لا أحد يشك بأن لوفيس سيعود معنا نحن الذين سنعود ذات يوم إلى مسقط الرأس، سيعود في قلوبنا، في ذاكرتنا، في حياتنا، فالقلوب، الذاكرات والحيوات ستكون أفضل كثيراً لمجرد العودة مع رجل مثله، شريف ومخلص، وقور جداً وكريم، بسيط جداً وصادق، إنه رجل الشعب...

جـرحـى ومصـابـون

(حقيقة وتهديد)

ذهبت لترى حماها في ساعة متأخرة من بعد الظهر، لم تزره منذ حوالي خمسة عشر يوم، حيث كانت المشكلة الوحيدة بأن أوقاتهم لا تتطابق. «تبأ، تبأ» قال السيد رافائيل بعد أن قبّلها، شيء خطير يجب أن يكون قد حدث لتأتي لرؤيتي.

- لم تقول هذا؟ أنت تعرف جيداً بأنني أحب الحديث معك.

- أنا أيضاً أحب الحديث معك، لكنك تأتين فقط عندما يكون لديكِ مشاكل.

- ربما، وأطلب منك الاعتذار.

- لا تتحامقي، تعالي متى أحببتِ، بمشاكل أو بدون، لكن أين حفيدتي؟

- أصيبت بالزكام، لكنها جيدة بشكل عام. إنها تحصل على علامات جيدة في المدرسة في الأشهر الأخيرة.

- إنها ذكية، لكنها أيضاً لمّاحة، لنقل أنها تشبه جدها. لم تحضريها بسبب الزكام؟

- نوعاً ما بسبب هذا، ولكن كنت أريد التحدث معك على إنفراد أيضاً.

- لقد أخبرتك، أترين؟ حسناً، ما هي المشكلة؟

جلست غراثيللا في الأريكة الخضراء، رمت بنفسها فوقها، نظرت ببطء، وتفحصت ذلك المكان الغير مرتب، تلك الشقة لعجوز وحيد، وأبتسمت بفتور.

- يبدو لي من الصعب البدء، لأنه قبل كل شيء أنت، ولكن مع ذلك فإنك الوحيد الذي أريد أن أحدثه.

- سانتياغو؟

- نعم. أو بالأحرى: نعم ولا، القضية الجانبية هي سانتياغو، لكن المركزية هي أنا.

- أنظري، كم هن أنانيات النساء..!

- ليس فقط النساء. لكن جدياً، رافائيل، الموضوع صارم، ربما يكون: سانتياغو وأنا.

جلس رافائيل أيضاً، لكن في الكرسي الهزاز، أظلمت عيناه قليلاً، لكن قبل أن يتكلم هز نفسه لمرتين.

- ما المشكلة؟

- المشكلة لدي...

كان يبدو على الحمى أنه سيختصر الطريق.

- ألم تعودي تحبينه؟

بكل وضوح، لم تكن غراثيللا جاهزة للدخول بهذه السرعة في هكذا مسألة، تلعثمت، ثم تنهدت.

- اهدئي يا امرأة.

- لا أستطيع، أنظر كيف ترتجف يداي!

- إذا كان هذا يفيدك، سأقول لك بأنني كنت متوقعاً هذا منذ عدة أشهر، وهكذا لن أفزع من شيء.

- كنت تتوقعه؟ هل يلاحظ علي إذن؟

- لا يا شابة، لا يلاحظ عليك هكذا، عامة. ببساطة، ألاحظه أنا عليك، فأنا أعرفك منذ سنوات عديدة وبالإضافة إلى أنني والد سانتياغو.

كان أمام غراثيللا نسخة للمدخن، لسيزان، كانت قد رأت مئات المرات تلك الصورة الساكنة، لكنها أحست فجأة بأنها لم تستطع إحتمال تلك النظرة، حيث بدا لها أنها مائلة، في أمسيات أخرى وفي ظلال أخرى، كانت نظرة المدخن تبدو لها تائهة في الشرود، لكنها الآن بالمقابل تخيلت بأنها تنظر إليها، ربما أتى كل شيء من هذا الغليون، مسنود بالفم بشكل مشابه جداً لما كان سانتياغو يفعله، هكذا أزاحت النظر ونظرت من جديد إلى حماها.

- سيبدو الأمر لك كجنون، غباء. سأخبرك سلفاً بأن هذا ما يبدو لي أيضاً...

- لا شيء في عمري يبدو جنوناً، يأخذ المرء بالاعتياد على التعابير الجافة، للإنفجارات، للهواجس، بادئاً بنفسه.

بدت غراثيللا متشجعة، فتحت الحقيبة، أخرجت سيجارة وأشعلتها، وعرضت العلبة على السيد رافائيل.

- شكراً، لكن لا، فمنذ ستة أشهر وأنا لا أدخن، ألم تنتبهي لذلك؟

- لماذا؟

- مشاكل في الدورة الدموية، لكن لا شيء جاد. أتى ذلك لصالحي بعد كل شيء، كنت قانطاً في البداية، لاسيما بعد الوجبات، أما الآن فقد اعتدت.

تنشقت غراثيللا الدخان، وقد أعطاها هذا شجاعة على ما يبدو.

- لقد سألتني إن لم أعد أحب سانتياغو، إذا أجبتك بنعم أو بلا، سأكون أشوّه الحقيقة.

- يبدو أن الأمر معقد، ها؟

- شيئاً ما! من الواضح أنني من جانب ما زلت أحبه، ذلك أن سانتياغو لم يفعل شيئاً لأكف عن حبه، أنت تعرف أكثر من أي أحد كيف كان سلوكه، وليس فقط في إخلاصه السياسي، في عضويته، أيضاً فيما هو شخصي. كان رائعاً دائماً معي.

- وإذن؟

- إذن ما زلت أحبه كما يمكن أن أحب صديقاً رائعاً، لرفيق في مسيرة لا تشوبها شائبة، من جانب آخر، هو ليس أقل من كونه والد بياتريس.

- لكن...

- لكن أنا، كإمرأة، لم أعد أحبه. في هذا الاتجاه، حيث لست بحاجة إليه، أتفهمني؟

- من الواضح أني أفهمك، لست بهيمة لهذه الدرجة! بالإضافة إلى أنك تقولين ذلك بوضوح، وبكثير من الإقناع.

- كيف بإمكاني الاختصار؟ ربما بأن أقولها بفظاظة، وآمل أن تسامحني. لم أعد أرغب بالنوم معه مجدداً، هذا يبدو لك فظيعاً، صحيح؟

- لا، لا يبدو لي فظيعاً. يبدو لي حزيناً، ربما، لكن الحقيقة بأن العالم مؤخراً ليس مبهجاً.

- لو لم يكن سانتياغو سجيناً، لما كان الأمر بهذه الشدة، لكان بكل بساطة ما يحدث للكثير من الناس، كان بإمكاننا الحديث حوله، مناقشته، أنا واثقة بأن سانتياغو سيفهمه في النهاية، حتى لو كان قراري يسبب له المرارة أو اليأس، لكنه في السجن.

- نعم، إنه في السجن...

- وهذا يجعلني أشعر بأنني محاصرة بسياج، هو مسجون هناك، لكنني أنا أيضاً مسجونة هنا.

رن الهاتف، قامت غراثيللا بحركة مشيرة على انزعاجها، فلقد دمر الجرس جو التواصل، خرب المناجاة، ترك الحمى الكرسي الهزاز ورفع السماعة.

- لا، أنا الآن لست وحيداً، لكن بإمكانك المجئ غداً، لدي رغبة برؤيتك، نعم، حقاً، لست وحدي، لكن ليس عندي من يمكن أن يزعجك حضوره، حسناً، أنتظرك في المساء، في السابعة هل هذا جيداً؟ وداعاً.

أقفل الحمى وعاد ليجلس في الكرسي الهزاز، نظر إلى غراثيللا، تفحص تعبيرها المتفاجئ، ولم يجد بداً من أن يبتسم.

- حسناً، أنا عجوز لكن ليس كثيراً، بالإضافة إلى أن الوحدة الكاملة هي في غاية السوء.

- تفاجئت قليلاً، لكن أنا سعيدة لك يا رافائيل، أيضاً أشعرني ذلك بشيء من الخجل، فالمرء دائماً منتبه أكثر مما يجب لأموره، ويبدو له أن مشاكله الخاصة هي وحدها المهمة، بينما لا ينتبه دائماً إلى أن الآخرين أيضاً يعانون من أشياءهم.

- سأقول لك بأن ما يخصني لا أستطيع تسميته مشكلة بالضبط، ليست شابة، تعلمين؟ برغم أنها أكثر شباباً مني، هذا دائماً يحفز، بالإضافة، إلى أنها امرأة طيبة. لا أدري بعد، كم سيطول الحال بنا، لكن حتى الآن كل شيء على ما يرام. اعتراف باعتراف، سأقول لك أني أشعر أكثر بالأمان، أكثر تفاؤلاً، برغبة أشد بمواصلة العيش.

- حقا أنا سعيدة لذلك.

- نعم، أنا أعلم بأنك صريحة.

مد الحمى ذراعاً حتى باب للمكتبة، فتحه واخرج زجاجة وكأسين.

- هل ترغبين بجرعة؟

- نعم سيساعدني ذلك.

نظر كل منهما إلى الآخر قبل أن يشربا، وابتسمت غراثيللا.

- بقصتك الغير متوقعة، كنت على وشك نسيان قصتي.

- لا أظن..!

- أقولها على سبيل المزاح، كيف سأنساها؟

- هل هذا ببساطة يا غراثيللا؟ أن لا تتامي مجدداً مع سانتياغو، عندما يخرج ذات يوم من السجن؟ هل هذا كل شيء أو هناك شيء آخر؟

- في البداية لم يكن هناك، كان فقط البعد، في الحقيقة بعدي، واستبعاد علاقة زوجية مستقبلية مع سانتياغو.

- والآن؟

- الآن الأمر مختلف، أعتقد بأنني بدأت أقع في الحب.

- أهه...!

- قلت أني أعتقد بأنني بدأت.

- أنظري، إذا اعترفت بأنك بدأت، هذا يعني أنك تحبين.

- ممكن! لكني لست متأكدة! أنت تعرفه، إنه رولاندو.

- وهو؟

- أيضاً بالنسبة له الأمر صعب، لقد كان هو وسانتياغو أصدقاء دائماً، لا تظن بأنني لم أنتبه إلى أن هذا تعقيد إضافي.

- بحثت عن أكثرها صعوبة، ها؟

- أظن ذلك، كثيراً.

- وماذا ستفعلين؟ أو ماذا فعلت حتى الآن؟ هل كتبت لسانتياغو؟

- هذا هو السبب الرئيسي لمجيئي لرؤيتك. لا أدري ما أفعل! فمن جانب، ما زال سانتياغو يكتب لي رسائل مليئة بالحب، أعلم بأنه صريح، وأنا أشعر بأني مخطئة في محاولة إجابته في هذا الاتجاه، ومن جانب آخر، يبدو لي ذلك مفزعاً، بأن يستلم هناك بين أربعة جدران ذات يوم رسالة مني (أنا واثقة

بأن وحشية السجانين ستدفعهم لتسليمها له على الفور) حيث أخبره فيها بأني لم أعد أريد أن أصبح امرأته، وما هو أسوأ... أنني واقعة في غرام أحد أفضل أصدقائه. هنالك أيام حيث أفهم أنه، برغم كل شيء، من الضروري أن أكتب له هذا أخيراً، وأيام أخرى حيث أقول لنفسي بأن هذه ستكون قسوة لا تحتمل...

- إنه محزن، أليس كذلك؟

- نعم.

- أرى بأن مجرد قول هذا له سيكون كما عبرت عنه في النهاية: قسوة لا تحتمل، فأنت وبياتريس بالنسبة لسانتياغو أسبابه للعيش.

- وأنت؟

- أنا والده. إنه شيء آخر، فالآباء يأتون كما الهدية، لا أحد يختارهم، أما الزوجة والأولاد بالإمكان امتلاكهم بفعل إرادي، ولقرار شخصي. إن سانتياغو يحبني، بالطبع، وأنا أحبه، ولكن دائماً كان هناك بيننا مسافة، كان الأمر مختلفاً مع أمه، فقد استطاعت هي أن تحقق تواصلاً جيداً، وموتها كان بالنسبة لسانتياغو كارثة من الصعب الخروج منها، آنذاك كان له من العمر خمسة عشر عاماً. لكن، كما قلت لك الآن، بالنسبة له وهناك حيث هو، أنت وبياتريس مستقبله، القريب أو الفوري، لا يهم. هو يفكر بأنه ذات يوم سيلتقي بكما وكل شيء سيبدأ من جديد.

- نعم، هذا ما يفكر به.

- الآن حسناً، كما قلت أنت، لو لم يكن في السجن لكان كل هذا حزيناً لكن أكثر طبيعية، فقطيعة بين زوجين ليست أمراً مستحباً، لكن استمرارية ذلك مكرهة، بإمكانها أن تصبح أكثر سوءاً أحياناً.

- بماذا تنصحني يا رافائيل؟

يشرب الحمى وينتهي من كأس الويسكي الذي كان قد صبه، الآن هو من يتنهد...

- التدخل في حياة الآخرين هو دائماً عدم تبصر.

- لكن سانتياغو هو ابنك.

- وأنتِ أيضاً نوعاً ما ابنتي.

- أنا هكذا أشعر.

- أعلم، لذلك فالأمر أكثر تعقيداً.

يرن الهاتف مرة أخرى، لكن لا يرفع الحمى السماعة.

- لا تقلقي، إنها ليست ليديا، هل قلت لك اسمها؟ من يتصل دائماً في هذه الساعة شخص ثقيل الدم، إنه طالب يسألني دائما أسئلة لا تنتهي حول علم المكتبات.

على ما يبدو أن الطالب مواظب أو عنيد، أو كلاهما، لأن الهاتف ما يزال يرن. يعود ليصمت أخيراً.

- بما أنك تسأليني، أحبذ بأن لا تكتبي له حول الموضوع، أي بمعنى أن تظلي تتظاهري. أعلم بأن هذا سيجعلك تشعرين بالحزن، لكن خذي بعين الاعتبار أنك أنت طليقة، لديك أسباب تهمك و عاطفة، وهو بالمقابل لديه أربعة جدران وبعض القضبان، وقول الحقيقة له سيحطمه، وأنا لا أرغب بأن يتحطم ابني الآن بالذات، بعد أن استطاع أن ينجو من الكثير من المصائب. ذات يوم، عندما يخرج (أعلم بأنه سيخرج) بإمكانك إخباره بكل الطرق، وأيضاً مواجهة كل المرارة، وعندما تأتي هذه الفرصة، سأسمح لك بأن تقولي له بأنني أنا من نصحك بالصمت. في البداية سيوّجه لك كثيراً من التوبيخات، سينفجر كما في أفضل أوقاته، ربما سيبكي، سيعتقد بأن العالم يسقط فوقه، لكن حينها لن يكون بين أربعة جدران، سيكون بعيداً عن القضبان، وأيضاً سيكون له، كما أنت الآن، أشياء أخرى تهمه وتحرك عواطفه. حسناً، هذا هو رأيي، أنتِ طلبت ذلك...

- نعم، أنا طلبته منك.

- وما رأيك؟

يبدو الآن الحمى أكثر توجساً وعصبية منها، عندما أمال الزجاجة من جديد، انتبه إلى أن اليد التي تمسك بالكأس ارتعشت قليلاً، انتبهت غراثيللا لذلك أيضاً.

- هدئ من روعك قالت، مازحة. إرتخى عندها وضحك، بدون الكثير من الرغبة.

- ربما هذا الخيار الأفضل، أو على الأقل الأكثر ذكاء!

- أفهم بأن أي حل لن يكون مقبولاً تماماً. هل تعلمين لماذا؟ لأن الشيء الحقيقي الغير مقبول هو الوضع الذي يعيشه سانتياغو.

- أعتقد أني سأتبع نصيحتك، سأتابع بالتظاهر.

- بالإضافة، فإن المستقبل ممكن أن يطرح مفاجآتٍ للجميع، وهكذا فاليوم أنت لست بحاجة إليه، ربما تحتاجينه مستقبلاً.

- تعتقد بأني غير مستقرة بالمرة، صحيح يا رافائيل؟

- لا. أعتقد بأننا جميعاً، نحن الذين هنا والذين هناك في أجزاء أخرى، نعيش في حيرة. والبعض أكثر، البعض أقل، نحاول جهدنا لننظم أنفسنا، ولنبدأ من جديد، ولنضع شيئاً من النظام في مشاعرنا، في علاقاتنا، في أشواقنا. لكن ما أن نهمل الأمور، لتظهر الفوضى، وكل وقعة في الفوضى (عذرا للحشو) ستكون محيّرة أكثر.

أغلقت غراثيللا عينيها لفترة. نظر إليها الحمى بكيد، ربما خاف من أن تجهش بالبكاء، لكنها عادت وفتحتهما وكانتا مبتلتين قليلاً، أو ربما مشعتين قليلاً. نظرت بعناية إلى الكأس الفارغ الذي ما زال في يدها، ومدته إلى السيد رافائيل.

- هل تصب لي جرعة أخرى؟

السيد رافائيل
(أخبار عن إيميليو)

أشعر كأني مسحوق، كتائه، كلاهث، لكن بدون تعب. مثل تجربة بائسة لأن تصبح أباً للمرة الأولى. كما لو كنت أرى نفسي من بعيد في واجهة محل (تقريباً فقدت العادة بأن أقول زجاج) وصورتي كما ولو أنها دمية، والذي يجعلها أكثر سخفاً، أنهم وضعوا لها فقط ربطة عنق. لحسن الحظ، يبدو أني أقنعت غراثيللا، لكن هل أنا نفسي مقتنع؟ إن النفاق معيب، ولكني لست متأكداً بأن الصراحة دائماً هي فضيلة! أريد أن أكون واقعياً، أريد أن أكون واسع النظرة، أريد أن أكون مرناً، وأريد أن أكون حديثاً.. اللعنة بالإضافة لذلك أني أب. بمعنى أنه عندما يخرج سانتياغو أخيراً من سجنه (لقد أرسل لي المحامي للتو رسالة تحمل الكثير من الأمل)، فهنا ينتظره سجن آخر... رؤية غراثيللا من خلال القضبان لحب غريب، إخراج بياتريس في عطل نهاية الأسبوع وأخذها إلى حديقة الحيوانات والحدائق، وبعض الأحيان إلى السينما، وسؤالها قليلاً عن أشياء ملزمة، لأن كل جواب، مهما كان صريحاً، سيسبب لها اضطراباً، سيجعلها تقوم بعملية حسابية. ثم بعد التعامل من جديد مع رولاندو، مثل ماذا؟ كالرفيق القديم، أو الرفيق في الزنزانة، أو كالرجل الذي ينام مع امرأته؟ ماذا حدث أيها السادة مع ابني؟ أعلم ماذا يملك وحتى ما يفيض عنه، لكن سؤال اليوم هو

ما الذي يحدث مع ابني؟ ما هو الأمر المفقود في قصته؟ لا يكلفني تخيل الأسباب التي تجعل الناس تحبه، لكني أصرح بأني أستسلم ولا أفهم الأسباب التي تقوده إلى الحسرة والفشل في الحب. ما هو الشيء الذي ورثه مني أو من والدته؟ علي أن أجده. علي أن أجد هذا الابن الحقيقي والذي ربما ما زلت لا أدري من هو! اليوم بالتحديد نفضت الغبار عن الرسالة الخفية، الوحيدة حتى الآن (التي ما زلت أجهل الطريقة الغير عادية المرسلة عن طريقها) التي كان بإمكانه أن يرسلها بضمان كامل دون أن تمر على رقابة السجن، والغريب أن تلك الرسالة الخاصة كانت لي وليست لغراثيللا! «أنظر، أيها العجوز، أنا كنت واثقاً من هذا البريد الذي دبرّته لأقول لك الأشياء المتهورة التي ستقرأ»، كان علي أن أكلم أحداً عن هذا القفر، ومن سيكون إن لم تكن أنت. علي أن أبوح بها حتى لا أختنق، حتى لا أتقطع لقطع. لا تحزن: إنها استعارة. لكنها بشكل ما تترجم شعوراً، أليس كذلك؟ لنضع الأمور بوضوح: لا تخف أن أتكلم، أو أن أشي بأحد، فهذا مستحيل. هناك بعض الأشياء التي علمتني إياها، وهذه أحدها. آه، لكني أيضاً لست بطلاً. ستتفاجئ إذا ما قلت لك بأن صمتي كان نتيجة قناعة، أو لحسابات؟ نعم، لحسابات. راقبت دائماً بأنك بينما تنفي كل شيء، أن ترفض بعناد وتقول لا، ليس بالرأس أو باليد، بالشفاه، بالعيون، بالحنجرة، هؤلاء ربما لا يعيروك انتباهاً بالطبع، لكن أحياناً ستلاحظ بأنه في العمق سيشتبهون بأنك تقول الحقيقة، أي بأنك لا تعرف شيء من شيء. آه لكن بالمقابل إذا ضعفت وقلت شيئاً ولو بسيطاً. شيء سخيف ربما لن يفيدهم في شيء، وحيث لن تسيئ إلى أحد، عندها يتغير موقفهم، لأنه منذ هذه اللحظة سيعتقدون بأنك تعرف أكثر بكثير، وعندها سيعجنوك، سيغضبون معك، وإذا أنكرت بشكل دائم، سيحطمونك. هذا منطقي، لكنه أيضاً من الممكن بدءاً من يوم معين أن يدعوك لشأنك، لأنهم ربما يقتنعوا بأنك لا تعرف

شيئا بالضبط، لكن إن قلت شيئاً، معلومة صغيرة، عندها لن يدعوك وشأنك أبداً، ربما يتركونك لبعض الوقت، لكن سيعودون مرة أخرى، وسيكون هاجسهم انتزاع الباقي منك، ومن هنا أكرر لك بأني لا أعرف أن صمتٌ لقناعة أو لحسابات، ربما يكون من أجل هذا الأخير، لكن في العمق هي دفاعات يصنعها المرء. على أية حال أنا راضي، لأنه لم يقع أحد بضعف مني، لكن ليس هذا ما أريد أن أكلمك عنه. هل تعلم ماذا كانت دائماً توجيهات المحامي: قل لم أقتل أحداً، هل أنت معي؟ لكني قتلت، لا تصيبك الجلطة، ها؟ هذا لا يعرفه لا المحامي ولا رفقائي ولا غراثيللا ولا أحد. فقط أنت تعرفه الآن، وأنا أريدك أن تعرفه لأني أريد أن أزيحه عن ظهري. كما ترى كيف أخاطر -واضعاً له هنا بالأبيض والأسود، لأنه خطر- مهما كانت الضمانات في هذا البريد، ومع ذلك فأنا أفعل لأنني لا أستطيع أن أحتفظ به لنفسي. حسناً سأخبرك: كنت مختبئاً لعشرة أيام في أحد مخابئي (وهي كثيرة)، كنت قد قضيت اليومين الأخيرين لوحدي، دون أن أخرج إلى الشارع، مقتصراً على تناول المعلبات، قارئاً رواية بوليسية ما، سامعاً الراديو لكن فقط بسماعات الرأس، لكي لا ألفت الانتباه. كانت الستائر مغلقة في النهار، وفي الليل أيضاً، طبعاً، لكن بدون ضوء، فكان يجب المحافظة على شكل البيت الغير مسكون، وكانت الميزة الأكبر لهذا المخبأ بأن كان له مخرج إلى شارعين مختلفين، وكان هذا يمنحني شيء من الأمان، لأن المخرج الثاني كان خفي، وفي نهاية ممر يطل على عدة شقق أغلبها فارغة، وهكذا كانت الحركة قليلة وهذا أيضاً كان يساعد، بينما كنت أنام بعين مفتوحة، وذات ليلة حصلت بعض الاحتكاكات الخفيفة والحركات التي بالكاد تُدرك، مما جعلني أفتح العين الثانية، كان يبدو لي أنها صادرة من الحديقة في المقابل، نظرت من بين الستائر ورأيت ظلاً كان بالكاد يهتز، ولكني لم أستطع أن أفرّق إذا ما كان ظلاً لشخص ما، أو

لشجرة صنوبر قزمة في المحجر الثاني! بقيت ثابتاً، لكن كان لدي حدس ما فجأة بأن أحداً سيتحرك في داخل المنزل. أفكر الآن في ذلك، أعتقد بأنهم كانوا واثقين أنه لم يكن هناك أحد، مما جعلهم يهملون قواعد السلامة شيئاً ما. بالإضافة، لدي الانطباع بأنهم كانوا قلة، ثلاثة أو أربعة، وأنهم اقتربوا إلى البيت ليس لأنهم عرفوا شيئاً محدداً، وإنما لأنهم كانوا يشكون في أي شيء بشكل عام، وعندها أضاءني مصباح ومرت دقيقة، حيث كانت بالنسبة لي لا منتهية، وقال لي صوت خافت: سانتياغو، ماذا تفعل أنت هنا؟! فكرت في البداية بأنه أحد الرفقاء، ولكن لا يمكن لأنهم كانوا ينادوني بشكل أخر! لكن عندها أزاح قليلاً المصباح الذي كان يبهرني، واستطعت أن أرى اللباس في البداية، ثم السلاح الذي يمتطيه، وأخيراً الوجه. هل تعرف من كان؟ تمالك نفسك أيها العجوز، كان إيميلو، نعم، إنه من تفكر فيه، إبن العمة، إبن أختك! لا تعلم موكب الصور التي تمر بالرأس في لحظة كهذه، كان لدي هامش صغير لأخذ قرارات، لاسيما أنه كان هو من بإمكانه السيطرة على الموقف، لأني لم أكن في وضع يسمح برفع سلاحي، وكان في الحديقة خطوات، ضجة. عاد هو ليتكلم: سانتياغو، استسلم، إنه الأفضل، لم أكن أعلم أنك هنا لكن استسلم، ونظر إلى السلاح، ليس سلاحه وإنما سلاحي، الذي لم يكن بإمكاني الوصول إليه. أنا أيضاً لم أعرف أنك هنا ايميليو. كلانا كنا نتحدث بهمس. «سنوات طويلة دون أن نرى بعض» همهم، «لحظة سيئة للقاء، ها؟» همست. وفجأة اتخذت قراراً فوري. جمعت قبضتيَّ معاً، كما ولو أنني أعطيه ذراعيَّ ليكبلهما. حسناً، استسلم. ووثق هو، ما كان ليثق بأي شخص آخر، تركني أقترب، وحتى أنه بدا لي أنه أخفض سلاحه قليلاً، حينها هجمت عليه، لا أعرف الآن ما هي الحركات السريعة التي قمت بها، لكن الحقيقة أني بعد ذلك بثلاث ثوانٍ، وبيديَّ اللتين كانتا ستكبلان، ضغطت على عنقه، واستمريت بذلك حتى توقف عن الحركة، لا أدري كيف حصل كل هذا

بصمت مطبق. كانت الظلال ما تزال تتحرك في الحديقة، لكن دون أن تتكلم، وكان من المفهوم، أنه لم يكن بإمكانهم الكشف عن حضورهم بكل بساطة. أنا كنت حافي القدمين ولكن مرتدياً ملابساً، دائماً كنت أنام هكذا. مشيت بأسرع ما يمكنني باتجاه المخرج الثاني، آخذاً معي حذاءاً من القنب كان فوق كرسي، وصلت إلى باب للشارع الآخر، والذي كان يطل على ممر البولينثيتوس. لم تكن هناك أي شمسيات في النافذة ولا فتحة للباب، أي أنه بكل بساطة كان علي أن أخاطر، وخاطرت وخرجت ولم يكن هناك أحد، كانت الثالثة فجراً. تقدمت عشرة أمتار، دون ركض، وفجأة رأيت ما لم يكن بإمكاني أن أصدقه: حافلات صغيرة كانت تتقدم ببطء، بمسافرين فقط، أحد تلك الحافلات بباب مفتوح، ولجت بقفزة واحدة، هبطت في ساحة الاستقلال بعد نصف ساعة. لن تذكر أبداً الصحف هذه العملية الصغيرة المحبطة، ولا اسم إيميلو، سيظهر كأحد الأسماء لضحية نبيلة لمعارضي الحكم القتلة، فقط الإشعار الجنائزي. وحتى كنا نحن (أنت، أنا، غراثيللا، الخ.) بين الأقرباء والمشاركين في الإشعار حزنهم العميق. ربما كنت أنت موجوداً، أما أنا لا، طبعاً، برغم أني بلحظة ما كانت لدي الرغبة، لكن عند هذا الحد كنت مرهقاً جداً، وبعد عام من ذلك، عندما أمسكوا بنا في الحملة في فيللا مونيز، أخضعوني لمئات التحقيقات، سألوني مطولاً، لكن لم يسألوني حول هذا أبداً. لماذا لم يعيروا الانتباه لهذا الحدث؟ لن أعرفه أبداً. في الحقيقة لم يعرف أحد في العائلة بأن إميليو كان سجاناً، لكن إذا ما كانت مهنته بكل ذلك الغموض، لماذا كان يلبس لباساً عادياً؟ ستسأل لماذا أقص عليك كل هذا؟ أحدثك عنه لأني لم أتحرر أبداً من هذا الفعل، وقد كان إجبارياً بالنسبة لي. وهم برجوازي صغير؟ ربما. إنه موتي الوحيد، يا للسخرية! كانوا على وشك أن يقتلوني في عدة مواجهات وفي عدة مناسبات، وأنا أيضاً كنت على وشك أن أخلّص على أحدهم، لكن يبدو أن قدرتي على

القنص ليست شيء أحسد عليه، ليس هنالك موت آخر في رصيدي أو ربما أنه كان مصيري؟ ما هي المشكلة؟ بأن ابن العمة لا ينمحي لدي. ولا تنمحي يداي الحانقتان ضاغطة عنقه، أحلم به مرتين أو ثلاث في الشهر، لكن ليس أبداً أثناء فعل القتل، إنها ليست كوابيس، إنما أحلم بزمن بعيد، عندما كنا طفلين (هو أكبر مني بعام، أليس كذلك؟) وكنا نلعب كرة القدم في الملعب الذي كان خلف الكنيسة، أو عندما في شهور الإجازات كنا نذهب إلى البرادو في ساعات القيلولة، بينما كنتم أنتم البالغون تخضعون لسباتكم، ونحن كنا نشعر بالحرية بينما نفترش العشب ونشرد ونشرد، ونصنع مشاريعنا، حيث نكون دائماً معاً ونسافر لكن في سفينة، فالطائرات كانت تخيفنا، وبالإضافة - هكذا كان يقول إيميليو- بإمكاننا اللعب على سطح السفينة، أما في الطائرات فذلك ممنوع من قبل المضيفات، وكنا نواصل الشرود، هو كان يريد أن يصبح مهندساً، «لأني أحب قانون الثلاث كومبويستا» كان يقول، وأنا كنت أريد أن أصبح موسيقياً، لأني كنت أحب أن أعزف لا كومبارسيتا نافخاً في ورقة تدخين من خلال مشط، وأيضاً كنا نتحدث عنكم أنتم الكهول، وهو كان يفتي: «إنهم لا يفهموننا لكنهم يحبوننا»، وكان من المقرر لدينا بأن حدود الرابعة عشر، هو موعد الهروب بشكل نهائي من منزله ومن منزلي، والبدء هكذا بفصل المغامرات، والتي كنا قد بنيناها شفهياً. إنني أحلم بهذا الإيميليو، ولهذا ليس لدي كوابيس، فالكابوس يأتي عندما أستيقظ، وعندها أرى يدايّ تضغطان على عنقه، حيث لم يكن ناعماً ورقيقاً كما كان عندما كان لنا من العمر ثماني أو تسع أو عشر سنوات، وإنما قصيراً ورخواً، أو ربما بدا لي هكذا نتيجة ياقة القميص. خرج اسمه إلى الملأ في عدة مناسبات، هنا في السجن أو قبل في المخبأ، ولم يكن أحد يعرف بأنه ابن عمتي، وكان الجميع متفقين بأنه جلاد، قاسٍ، حقير، حيث كان يستمتع، بوضع القضيب في مؤخرة السجين، أو في عضوه. البعض يعرف أنه قد مات منذ فترة، لكنهم

يجهلون تلك الظروف، وأنا لا أوضح شيئاً عندما يذكر أحدهم بأنه يتمنى أن لا يكون قد مات ميتة طبيعية، أن يكون قد هشّم أحدهم رأس ابن العاهرة هذا، السادي القميئ وأوصاف أخرى... بمعنى أنه ليس شعور بالذنب هو الذي أحياناً يهيّجني، وإنما التفكير بأن في ذلك الفجر وبشكل ما... ذبحت طفولتي! وربما أتذكّر نظرة الثقة التي منحني إياها عندما عرضت عليه قبضتيَّ، كما ولو أعرضهما عليه ليكبل يدايَّ، وربما أفكر اليوم بأنه عندها تكلم بهمس لسبب ما، ربما لأنه اعتقد بأني لست وحيداً في المنزل، ولم يكن مسيطراً على الموقف، برغم أنه كان واعياً بأني لم أكن أستطيع التقاط سلاحي، أو ربما حتى لا يقتلني الآخرون لتعصّب أو قسوة محضة، لأنه قبل كل شيء أنا كنت إبن الخال سانتياغو، وكان من الأفضل الإبقاء علي حياً، وأن لا يأخذني كجثة، وأنه ذات يوم ستعلم العائلة بهكذا إنقاذ، أو ربما لأنه هو أيضاً حَضَرَته فجأة كل صور الماضي المشترك بشروداتنا فوق العشب وسرير الأوراق، وهذا شوشّه، وجعله غير يقظ بما فيه الكفاية. أو ربما لم تهاجم عقله بسرعة مثلي، الفروقات الأيديولوجية العميقة، والتي جعلتنا نشتبك في حرب بدون معسكر وبدون أبناء خال، لكني ما كنت لأقتل أحداً، أيها العجوز، وأظن بأن هذه هي الندبة الوحيدة التي ستلازمني للأبد، ربما هذا ما ينضح بأني ضعيف، برغم أني كنت قوياً في حالات أخرى، وأقول لك أكثر: أعتقد بأني ما كنت سأشعر هكذا لو كنت قتلته رمياً بالرصاص في مواجهة، فأنا أشعر هكذا لأني قتلته بهذه الطريقة الأخرى، كما أقول لك، بسفالة، بخسة ما ربما، ومستخدماً ومستغلاً لذهوله، والذي كان (إذا ما كنت أريد أن أكون صريحاً، لا أستطيع منع التفكير هكذا) ذهول فعّال. وبرغم أني أعلم الآن بأنني تحولت إلى شخص كارثي، شخص دموي بدون تردد، والجميع يقولون، وأنا أيضاً أقول لنفسي، بأنه لمن الأفضل أن يكون ميتاً. الحقيقة أنني عندما ضغطت على عنقه بيديَّ المتشنجتين، كنت أجهل ذلك،

ولقد قتلته ببساطة لأبقى على قيد الحياة، هو الذي كان قد طاف معي فوق سرير من الأوراق وكان قد صنع معي مشاريع مشتركة لهروبات من بيته وبيتي، وبرحلات في سفينة لنلعب معاً، إنها، كما أقول لك، قيمتان مختلفتان، هويتان مختلفتان، إثنان إميليو ونقيضين. هل تفهمني أيها العجوز؟ لن أذكر هذا لغراثيللا، ولن أذكره لها لأنها لن تفهمه، ولأنها تميل إلى تبسيط الأشياء، ستقول لي بأني حسناً فعلت، جلاد أقل..! أو ستقول لي: كيف استطعت أن تفعل هذا لابن عمتك؟ و المسألة لا هذه ولا الأخرى، إنها أكثر تعقيداً، أيها العجوز، أشد تعقيداً. الآن هناك شيء، خذ بعين الاعتبار بأن هذه الرسالة هي فرصة وحيدة (ذات يوم آمل أن أخبرك كيف شاءت الصدف وجمعتني به) حيث بالتأكيد لن تتكرر مجدداً أبداً، من المستحيل أن تجيبني بهذه الطريقة أو بأخرى، حيث بالإمكان الوثوق بها. مع ذلك عليك أن تجيبني. حقاً؟ أيها العجوز، حقاً ستجيبني؟ عليك أن تفعلها بالطريقة العادية، التي تمر من خلال رقابة السجن، يجب أن يقتصر الأمر على إجابتين محتملتين فقط، برغم أننا نعرف جيداً الفرق الشاسع بين واحدة وأخرى، خذ ملاحظة، إذن، إذا ما تفهمت الأمر - لا أقول إذا كنت توافق أو تبرر- لكن إذا ما كنت على الأقل تتفهمه، فضع كلمة أفهم سطرين ما قبل التحية النهائية، أما إذا كنت بالمقابل تراه أمراً دنيئاً أو غير مقبول، إذن اكتب لا أفهم. موافق؟ وداعاً أيها العجوز.» قرأت تلك الرسالة حوالي عشر مرات، واستغرق الأمر يومين قبل أن أبدأ بالكتابة. انتهت رسالتي هكذا: «حفيدتي، كأولوية ثانية هي أيضاً ابنتك، لذيذة وفطنة كما دائماً، بدأت بدراسة الفرنسية، ما رأيك؟ أحياناً، عندما تأتي لرؤيتي، تعرض علي درس الفرنسي الأخير، لكن ربما أكون نصف أطرش (فالسنوات لا تمضي عبثاً) أو ربما بالذاكرة، مع أني تقريباً أفهمها عندما تقول لي، بلهجة «إلليانس» في أحد قصص «بييراولت». وداعاً يا بني».

الآخر

(منذهل وكل شيء)

إنه شعور جديد بالنسبة له، وهو ليس أمراً غير مريح، ماذا بإمكانه أن يكون؟ لكن الحقيقة هي أنه أدخل نفسه في مستنقع، فلم يحصل له هذا أبداً مع أي امرأة، دائماً كان هو، رولاندو أسويرو، صاحب المبادرة، الذي كان يتحكم بمقاليد كل علاقة، انتهت أو لا في السرير. لقد كانت مسألة مبدأ: بأن تكون مؤقتة، بكل البيانات والمقاصد، وفي غاية الوضوح، شفافة مثل h2o وبدون أن يضعه أحد في الزاوية لوعد لم يتحقق، كما قيل في الإنجيل: حتى لا تخرق العهود، فمن الأفضل أن لا تمنحها. لحسن الحظ، وهذا يجب أن يعترف به، فقد كان يجد دائماً نساء خبيرات ومستعدات، كنّ يوافقن منذ البدء على قوانين اللعبة، وبأنه بعد ذلك، عندما كان ينتهي هذا، يتبخرن بوداع ودّي وتمنيات سعيدة. من جانب آخر، فللسيدات أو العبدات، أي زوجات في النهاية، للأصدقاء المقربين، كان يعاملهن كأخوات، وإذا ما كان من فترة لأخرى يوجه لهن نظرات من نوع خاص، فإنه لم يذهب أبعد من الملاطفات المازحة والرفاقية، على الرغم من التحريض في كثير من الأحيان بالغنج الفطري المشار إليه. نظرات المحارم لم تكن قد قلّت في الأيام الغابرة لغراثييلا، هناك في سوليس، منتجع محض، كانت عندما تضع مايوهها الأزرق بقطعتين خفيفتين (لم يكن بيكيني، فلم يصل التحرر

الليـبيرالي لـسانتياغو حتـى هنـا)، عارضـة رسـومات في المـايوه أو جـسداً تفـصيلياً، حقيقـة جديرة بالاهتمـام والنـشوة، آه لكنـه لم يتعـدى أبـداً الحد الفاصـل المتواضـع للتنهيـدة أو للإعجـاب المرئـي الـصارخ خلـف النظـارات المظلمـة. علـى فكـرة، في بعـض المناسـبات كانـت تحفزهـا بعـض التعليقـات لسانتياغو نفسه، عنـد رؤيتـها راكضة باتجـاه المـاء كإعلانـات التلفزيـون في مساء بأمواج مثلاً، كان يهمس كما ولـو أنـه يهمـس لنفسه لكنـه في الحقيقـة كـان للثلاثـة الآخـرين، إنهـا جميلـة الرفيعـة هـا؟ مـسبباً النكـات الغامـضة للضحكات الرجولية. حسناً هكذا يقول، للمتزوجين الآخـرين وللعـازب الغير نادم الوحيد أي هو، رولاندو أسويرو في «خدمة حضرتك وزوجتك»، العبـارة الشهيرة وليست ساذجة أبداً، كان هو يكررها في عمله، منذ زمن، لمدير عـام الـشركة، والـذي كـان قـد قـرر هـذا أن يحوّلـه إلى أمـين صـندوق قـديم علـى الفور.

لكن غراثيللا الآن شيء آخر، وهو أيضاً تغير، كيف لا؟! ففـي البدايـة كانـت المرحلـة الـسياسية، بتلـك الـسنتين الـتي سـبقت الانقـلاب، حيـث كانتـا فظيعـتين. مـن هـو، لـيس جنـسياً؟ سـؤال جميـل ولذيـذ لـسؤاله لأبـو الهـول، لجـدة جـدة أنـور الـسادات آه. لكـن مـن الـصعب أن تـصبح ببـساطة مُثـاراً جنسياً في فترة لا تُنسى لـوطن في حالـة ثـورة. في العـامين الـصعبين لم يكـن من السهولة إيجاد مكان مناسـب للنـوم أو لتخيـل أشـياء أخـرى. ثـم الـسجن اللعين، بفصول من الانتظار والمعاناة والعذابات وملذات أخـرى، هنـاك حيـث الرجل هو من يحتمل.

تصنع أمنيات، كيف لا؟ لأنك بعد ذلك لن تـذكر شيئاً، لأنـه عنـدما يحـل المـساء، عنـدما لـن يحـضر ذلـك شـاهداً ولا حتـى الـصرصار، كـل يـوم، تُدخل الرأس في ثنايا الوسـادة، وتأخـذ بالبكـاء حتـى تجـف مـن شـدة البكـاء يقول: مجنون أنا في حزني، آه نعم لقد كنت ضعيفاً، نعـم كنـت أعمـى). نعـم،

إن غراثيللا الآن هي شيء آخر. ففي البداية، هي امرأة أكثر، وثانياً، أكثر تشوشاً، ربما نتيجة لهذا النضج، كجسد (وكروح أيضاً، دعونا لا نكون كلاسيكيين) لقد نضجت بشكل ملفت ورائع، ورؤيتها مثلاً تقترب ببطء من شارع الزهور الذي يقودها إلى شقتها (وهو، كما في الكثير من المرات، منتظراً لها عند البوابة) يولّد توقعات لطيفة ليست دائماً مؤكدة. إنها مشوشة قليلاً، هذا صحيح، بالرغم من أنه ربما الأكثر صحة القول بأنها محتارة، وفي منتصف الفوضى: هناك سانتياغو! سانتياغو في السجن، لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو الهجوم، وحيداً مع كآبته وتراثه الثقافي، يا له من استخدام للمصطلح ها! لكن إضافة إلى ذلك فيا له من وضع! لقد توصل رولاندو لتشخيص تمهيدي، وهو أن غراثيللا هي امرأة لا تنسجم مع البعد، وهنا حيث، بدون أن يقصد ذلك أحد، يفقد سانتياغو المسكين نقاط، لكن من يستطيع استيعاب بأنه هو، رولاندو أسويرو، له دور في هذه القصة؟ لا يعرف.. لا يعرف بعد! برغم أنه شيئاً فشيئاً أخذ يعرفه، فغراثيللا تعجبه، لماذا يتهرب أو يفنّد؟ وهو يعترف، بأنه في عدة مناسبات، عندما كانت تكلمه عن ظروفها، أو لمعنوياتها التي تتناوبها الشجاعة واليأس، كان قد أحرز تقدماً رصيناً، كان قد أسقط بعض العبارات، كان قد عرض مساعدة، لنقل أخوية، وشيئاً فشيئاً، ربما دون أن يقترح عليها، كان قد أخذ يترك تلميحات محددة على اهتمامه المؤثر بها، أو ما هو أفضل بعض الجاذبية التي كانت عندها تجاهه. أيضاً، في هذه المرحلة الغامضة، بمشاعرها وعواطفها التي أخذت بالتشكك بها واستعراضها، لهذا كانت غراثييلا مستقبلة كإسفنجة إغريقية، وبالتأكيد كانت قد التقطت هذه الحركات الحذرة والحكيمة، وذات يوم، فجأة، في منتصف أحد تلك الدردشات المبهمة، لبهلوان، خرجت هي بذلك، بأنها لم تعد بحاجة لسانتياغو: لقد تركني، وهو متفهماً: لا يا غراثيللا لم يتركك، وإنما اقتادوه،

وهي: إنه لأمر سخيف، سخيف... أو ربما المنفى حولني لأخرى، وهو: هل ربما لم تعودي تشاركين سانتياغو المواقف السياسية، وهي: بالتأكيد لا إنها مواقفي أيضاً، وهو أخيراً سؤال العشرة ملايين: ربما تحلمين برجال آخرين. وهي: هل تقصد الحلم نائمة أو مستيقظة. وهو: كلتا الحالتين. وهي: عندما أنام لا أحلم مع أي رجل، وهو: ومستيقظة؟ وهي: حسناً مستيقظة نعم أحلم، ستضحك، وهناك توقفت... ليست وقفة مسرحية وإنما بالكاد صمت موجز لتأخذ نَفَس ولتقيّم وزن كل ما هي على وشك إضافته: أحلم بك. بقي هو كالمغفل، أحس بخجل مفاجئ في أذنيه، هو الذي ليس بأقل من دون جوان وزير نساء، كان قد عض شفته حتى سال منها الدم بدون أن ينتبه حتى ساعات بعد ذلك، وبينما هي متشنجة قبالته، بانتظار شيء، لم تعرف ما هو بالضبط، لكن غير واثقة تماماً، لأنه بين أشياء أخرى خمّنت بأنه هو سيتعلق في هذه اللحظة بالكلمة (وفاء)، وفاء للصديق في وحدته، في زنزانة، وفاء لماضٍ ثقيل، وأخلاقية غير توضيحية، لكن صالحة، ونقاشات طويلة حتى الفجر حيث كان هناك دائماً سيلفيو الذي لم يعد موجود، وكان مانولو الذي يعمل الآن كتقني الكتروني في غوتيمبرغ، والزوجات شبه المهمشات من الرجولية - اللينينية للذكور اللامعين لكن مشاركات أحياناً باعتراضات واضحة، وأكثر من أي شيء محضّرات لسلطات اللحم الميلانية بالفطر الحلوة، ثم تنظيف الأطباق بينما كانوا هم يأخذون غفوة براحة. ظل كالمصعوق، هو، الكازانوفا والفاجر جداً، بجبينه المتعرق كما لو كان كمبتدئ تغويه امرأة خبيرة، ومع لذعة في الكاحل الأيسر نتيجة رد فعل تحسسي تجاه المستقبل الذي يلوح في الأفق، منذهل، وكل شيء كان قد استطاع أن يقول غرا... غراثيللا لا تلعبي بالنا... نار، وحتى حاول أن يقود الحوار إلى أرض سخيفة، مثل أننا من لحم ويجب عدم الطمع في لحم جارك، كل هذا لأخذ نفس قصير ليتفهم الموقف، آه لكن

حافظت هي على تعبير جديتها الممتلئة بالرهبة. «أنظر أنا لا أمزح، إن هذا شيء صعب للغاية لي»، وهو يقول: آسف غراثيللا إنها المفاجأة أتعرفين، وانطلاقاً من هذه الجملة الثانية لم يعد يتلعثم وتوقف عن أن يصبح في حالة ذهول، ليصبح قادراً في النهاية على الإفحام ولكن مع ذلك بهمس، إنه لمن المؤسف أنني لا أستطيع أن أجيبك بأن لا تقولي أشياء مجنونة، لأنني أرى في عينيك أنك تتحدثين بجدية حقيقية، وأيضاً إنه لمن المؤسف أنني لا أستطيع القول أن هذا لا يتماشى معي، لأنه حقيقة يتماشى. ولم يتلفظ جيداً بهذه الكلمة يتماشى، فلقد فكر بأنه كان صريحاً وكان مزعجاً، صريح لأنه كان شعوراً عابراً ذلك الذي كان قد بدأ يخرج من سباته العميق، ومزعج لأنه لم ينسَ بأن تلك الـ (يتماشى) المتهورة نسبياً، كانت شيء من قبيل المقطع الأول من جحيمه الشخصي، لكنه كان قد بدأ بالكلام واضعاً النقاط على الحروف، وغراثيللا التي كانت شاحبة بشدة أخذت تتلون فجأة، وتنهدت كما ولو كانت تدخل إلى دكان زهور فاخر، واعتبر هو بأنه يجب الآن مد يده تجاهها، وفعلها من فوق الطاولة، متهرباً بخفة من المزهرية الفارغة من القرنفل وصحن السجائر الممتلئ بالأعقاب، وهي كانت لبرهة أي لأربع دقائق مترددة ثم مدت أيضاً، يدها الرفيعة التي كانت تبدو لعازفة بيانو، لكنها كانت لضاربة آلة كاتبة، وليصبح هذا الاختبار معبراً، لأن هذه اللمسة كانت بعد كل شيء مؤشراً كافياً، ونظر كل منهما للأخر كما ولو كانا يكتشفان بعضهما البعض. أتى بعد ذلك تحليلاً مطولاً، لتطوف مرة أخرى كلمة إخلاص من فوق إناء الزهور بدون زهور ومنفضة السجائر الملأى بالأعقاب، متوقفة أحياناً عند مفاصل أصابعه القاسية وأحياناً أخرى في عنقها العبق، وغراثييلا، حيث هي الآن، متعذبة أكثر مما هي سعيدة، أنا أفهم بأنه موقف غير عادل، لكن عند هذا الحد ليس بإمكاني الكذب على نفسي، وأعرف جيداً ما أنا مدينة به لسانتياغو، لكن

بكل وضوح هذه القناعة ليس تأميناً على الحياة ضد الانفصال الزوجي، ورولاندو من جهته، حتى الآن مرتبكاً أكثر من سعيد، لنتعامل بصفاء مع الأمر، لنأخذه كما ولو كان سانتياغو حاضراً في هذا الحوار، لاسيما أنه جزء لا يمكن إقصاءه من هذا الموقف، لنتعامل معه كما ولو كان بإمكانه حقاً أن يفهمه، ولاسيما أن نفهمه في المقام الأول نحن أنفسنا . وهكذا تكلما ودخنّا خلال ساعتين، دون أن يلمسا بعضهما تقريباً، طارحين حلول وقرارات، متطرقين، لكن بحذر إلى موضوع بياتريس، دون أن يتجرآا على تفتيت أو التخطيط للمستقبل، مانحين أنفسهما وقتا ليعتادا على الفكرة، واعدين أنفسهم كذلك أن لا يقوما بعمل أشياء مجنونة، ولا احترازات مبالغ فيها . رلاندو كان منتشياً من العيون الخضراء والساقين والخصر، وغراثييلا كانت قلقة بوضوح من ردة الفعل هذه، التي بالرغم من ذلك كانت تريد وكانت تنتظر. بينما بدأ رولاندو بالوقوع في غرام هذا الارتباك، وغراثيللا أطلقت بكاءً مباغتاً فجأة، لم يكن مدروساً، وبالتالي كان مقنعاً لندرته. أخذ وجهها بين كلتا يديه وعندها فقط لاحظ، في الالتقاء العذب بشفتيها، بأنه كان ينزف من شفته عندما عضّها قبل ذلك بساعة لما قالت غراثيللا أنها تحلم به...

بياتريس
(التلوث)

قال العم رولاندو بأن هذه المدينة أخذت تصبح «إمبانكابلي» من كثرة التلوث الذي فيها، أنا لم أقل شيئاً حتى لا أبدو كحمارة، لكن من كل الجملة فقط فهمت كلمة مدينة. ثم ذهبت إلى القاموس وبحثت عن الكلمة «امبانكابلي» ولم تكن موجودة، وعندما ذهبت الأحد لزيارة جدي سألته ماذا يراد القول بامبانكابلي؟ فضحك وشرح لي بشكل سهل أن المقصود بها (لا يطاق). عندها فهمت المعنى لأن غراثييلا، أي أمي، تقول لي في بعض الأحيان، أو ربما كل الأيام تقريباً، رجاءً بياتريس، رجاءً أحياناً تصبحين حقيقة لا تطاقين. تحديداً هذا الأحد مساءً قالتها لي، برغم أن هذه المرة كررت ثلاث مرات رجاءً، رجاءً، رجاءً يا بياتريس تصبحين حقيقة لا تطاقين، فقلت لها بهدوء: هل كنت تريدين القول امبانكابلي؟ «وهذا جعلها تفرح، ليس كثيراً، ولكنها نزعت شيئاً من الحدة، وهذا كان مهماً جداً. الكلمة الأخرى، تلوث، إنها أصعب بكثير، لكنها موجودة في القاموس الذي يقول، تلوث: يصب المني. ماذا عساه يكون الصب؟ وما عساه يكون المني؟ بحثت عن الصب فكانت: صب سائل. أيضاً ركزت في المني فوجدت: بذرة، سائل يفيد في التكاثر. أي بمعنى أن ما قاله العم رولاندو يريد أن يقول التالي: هذه المدينة أخذت تصبح غير مطاقة نتيجة صب الكثير من المني.

أيضاً لم أفهم، وهكذا عندما التقيت للمرة الأولى مع صديقتي روسيتا، قلت لها مشكلتي الضخمة وكل ما قاله القاموس، فقالت لي: لدي الانطباع بأن المني هي كلمة جنسيّة، لكني لا أعلم ما تريد القول! عندها وعدتني بأن تستشير ابنة عمها ساندرا، لأنها كبيرة ويعطون في مدرستها دروس تعليم جنسي، أتت الخميس لتراني وهي غامضة جداً، أنا أعرفها عندما يكون لديها شيء غامض فيتجعد أنفها عندها، وبما أن غراثييللا كانت موجودة، انتظرت بكثير من الصبر حتى ذهبت إلى المطبخ لتحضّر الطعام، لتقول لي، لقد عرفت، مني هي شيء يملكه الرجال الكبار، ليس الأطفال، وأنا: إذن نحن ليس لدينا مني بعد؟ فقالت: لا تكوني جلفة لا الآن ولا أبداً، مني فقط يمتلكها الرجال عندما يكونون مسنّين مثل أبي، أو أبيك السجين، الطفلات ليس لديهم مني، ولا حتى عندما نكون جدات. أنا: «ياللغرابة.. ها!»، وهي: ساندرا تقول بأننا جميعاً نحن الأطفال والطفلات أتينا من المني، لأن هذا السائل فيه حيوانات، تسمى حيوانات منوية، وكانت ساندرا سعيدة لأن في درس البارحة كانت قد تعلمت كتابة ب ز. عندما ذهبت روسيتا بقيت أفكر، وبدا لي بان العم رولاندو ربما أراد أن يقول بأن المدينة كانت لا تطاق من شدة الحيوانات المنوية التي بها، وهكذا ذهبت مرة أخرى إلى جدي، لأنه دائماً يفهمني ويساعدني، برغم أنه ليس بشكل مبالغ فيه، وعندما أخبرته ما قاله العم رولاندو، وسألته إذا ما كان صحيحاً أن المدينة كانت لا تطاق لأن كان بها الكثير من الحيوانات المنوية، كان جدي على وشك الاختناق من شدة الضحك، فاضطررت لأن أحضر له كأساً من الماء، وتلون وجهه، وأنا خفت أن يغمى عليه، حيث سأكون وحيدة في هكذا موقف مروع. لحسن الحظ شيئاً فشيئاً أخذ بالهدوء، وعندما استطاع الكلام قال لي، بين سعلة وأخرى، بأن ما قاله العم رولاندو كان يعني التلوث الجوي. أنا شعرت بجلافة أكثر، لكنه شرح لي على الفور بأن «الموفيرا» هو الهواء، وبما أنه

هناك في هذه المدينة الكثير من المصانع والسيارات، فكل هذا الدخان يوّسخ الهواء، وهذا هو التلوث اللعين وليس المني الذي يقول عنه القاموس، وليس علينا أن نستنشقها لكن بما أننا نستنشقها سنموت بأية حال، ليس لدينا حل سوى استنشاق هذه الزبالة. أنا قلت للجد بأنني استنتج أن أبي لديه إذن ميزة هناك حيث هو مسجون، لأنه في ذلك المكان ليس هناك الكثير من المصانع، ولا الكثير من السيارات، لأن أهالي المعتقلين السياسيين هم فقراء وليس لديهم سيارات. والجد قال نعم، بأنني محقة كثيراً، وبأنه يجب دائماً إيجاد الجانب الجيد للأشياء. عندها أعطيته قبلة كبيرة جداً ووخزتني اللحية أكثر من مرات أخرى. خرجت راكضة باحثة عن روسيتا، وبما أنه أمها التي تدعى أسونثيون تماماً كعاصمة البارغواي كانت في المنزل، انتظرنا بفارغ الصبر نحن الاثنتان حتى تذهب لتروي الزرع، وعندها أنا كنت غامضة جداً، «ستقولين من طرفي لابنة عمك ساندرا بأنها حمارة أكثر مني ومنك، لأني اكتشفت كل شيء ونحن لم نأتِ من المني وإنما من الموفيرا».

منافي

(صوت أصداء «ابيداوروس 1»)

إذا ما وُجه ضربة في ابيداورو
فسيُسمع بعيداً، بين الأشجار
في الهواء.

روبيرتو فيرنانديز ريتامار

كنا في ابيداوروس خمسة وعشرون عاماً بعد روبيرتو
وأيضاً استمعنا من الأعلى في المدرجات
شحذ عود الثقاب هناك في الأسفل
تشعلها المرشدة البدينة

بأنه ما بين معبد ومزار
بين نقود في حقبة سقراط وحفنة من مدينة تيرموبيلاس
كانت المرشدة قد قصت كيف نياراشوس كان يدبر نفسه ليدفع
بالكاد تسعة الاف من الدراخمات..
لنقل ما يقابل ثلاثمائة دولار من الضرائب في السنة

وبطريقتها الشابة كانت قد أخبرتنا
أمام دهشة خمسة من مواطنيي..!
الانتصار المقبل والأكيد للاشتراكي باباندريو..
كنا إذن في ايبيداوروس نتنشق الهواء الشفاف والجاف
نراقب المروج الخضراء القديمة الغنية
بالأشجار التي أعطت وتعطي ظهرها للمسرح
ووجهاً للمنخفضات الشاحبة
خضراء وهواء ربما مشابه
للذي كان قد راقبها وتنشقها الشاب بوليكلايتو..!
عندما كان يجري حساباته في خلوده وغموضه
وأيضاً هبطت إلى المركز السحري للمدرج
حتى يتسنى أن تلتقط لي صورة على أكمل وجه
في المكان الرائع والاحتفالي وذاكرة خالدة..
ومن هناك أحببت أن أجرب الصدى الرائع..
وهمست مرحباً ليبر.. مرحبًا هكتور.. مرحباً راؤول.. مرحباً خايمي..
ببطء كمن يشحذ عود ثقاب أو يجعلك ورقة..
وهكذا استطعت التأكد بأن الصدى كان في أفضل حالاته..
بما أن التحيات المنخفضة لم تُسمع فقط في المدرجات
وإنما أعلى من ذلك في الهواء حيث كان طائرٌ وحيدٌ
وعبرت هذه التحيات إلى ما هو أبعد من ذلك..
حتى وصلت إلى البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والشوق..
وأخيرا تسللت الى
ما بين القضبان
كنسمة عليلة وجافة...

بيـن الجـدران

(مجرد احتمال)

البارحة حضر المحامي، وجعلني أفهم بأن الأمور تسير على ما يرام، وأنه هناك أملاً ليس بغير المحتمل! وبأنه ربما! هو مجرد احتمال، أعرف. لكن علي الاعتراف بأنه سبب لي اضطراباً، حتى أني أعتقد أن دقات قلبي تسارعت، لا يعني هذا أنني فقدت الأمل ذات مرة، كنت دائماً أعرف أنني سألتقي بكم مجدداً ذات يوم، لكن أن تخمّن بأنه لكي يحدث هذا يجب أن تنقضي بعض سنوات فهذا شيء، وشيء آخر مختلف تماماً بأن هذه الإمكانية تدخل فجأة في حقل الممكن. لا أريد أن أمنّي نفسي بالأمل، ومع ذلك، أفعلها، لا أستطيع تجنب ذلك، وهذا مفهوم، ألا تعتقدين؟ قبل البارحة فقط اعترفت بأنه من الممكن أن أبقى هنا لعدة سنوات أخرى، وحتى لقد اخترعت فعل عقلي لاعتاد على هذا الوضع. الآن، بالمقابل، عندما يكون هناك إمكانية بأنه ممكن، وربما، أنه ممكن عام أو أقل، من الفضول بأن هذا الامتداد الممكن قياسه تماماً من حيث القدرة على التحمل، يبدو لي بالرغم من ذلك أكثر صعوبة من ذلك الآخر، مكثف، لا منتهي تقريباً، والذي بشكل ما كنت قد تخليت عنه. إننا معقدون، أليس كذلك؟ وأنت والعجوز، ما رأيكما بهذا؟ لا تقولي شيئاً الآن للطفلة، حتى لا تبدأ بعقد الآمال وينتهي كل شيء في النهاية بإحباط، مما قد يسبب لها

صدمة في عمرها، فقط لمجرد تخيُل أنني لربما أراها قريباً، أقصد في فترة قريبة، فقط هذا يصيبني بالقشعريرة. أراك أنت.. أرى العجوز، إنه شيء آخر، تَخَيلي إذا ما كنت أريد أن أراكم وأعانقكم، أن أتكلم طويلاً معكم، يا له من حفل، يا الهي. لكن بياتريس هي من تجعلني أقشعر، خمس سنوات بدون رؤية ابن، لاسيما إذا ما كان طفلاً، تعني شيئاً لا منتهي، أما خمس سنوات دون رؤية شخص بالغ، مهما كان عزيزاً، إنها ببساطة خمس سنوات بالرغم من أن ذلك فظيع! أنا مثلاً ستجدوني بدون أي كرش، وبشعر أقل (لا أقصد الأسباب الواضحة لمصفف الشعر المحلي هنا، وإنما بشعر أقل لا علاقة له بهكذا أسلوب). وأيضاً هناك ثقوب وشواغر في الأسنان. ماذا أيضاً؟ حسناً، بعض النمشات الجديدة، الشامات الجديدة، وندبة جديدة. كما ترين، أعرف نفسي عن ظهر قلب. ما يحدث أنه، في ظرف كالذي أعيشه، تقريباً كزاهد، يتحول الجسد إلى مفتاح للعقدة بشكل لا مناص منه، وليس لنرجسية، وإنما لأنه خلال ساعات وساعات ليس هنالك على المرء أي إشارة جديدة لحياة. من جانبي، أعلم بأن العجوز سيكون لديه مزيد من الشيب، لكن ليس مزيد من التجاعيد، لأن هذا العجوز المكّار وُلد مجعداً، أذكر أنني عندما كنت طفلاً، دائماً ما كانت تدهشني الثنيات والأخاديد التي كانت بجانب عينيه، في الجبين، الخ. وعلى ما يبدو فإن هذا لم يمنع من أن يكون ناجحاً في شد انتباه النساء، وأعتقد أنه حتى في حياة زوجته كان يشحذ أسنانه مع النساء. وكيف سأجدك أنت؟ أكثر نضجاً، طبعاً، ولهذا أكثر جمالاً. أحياناً تترك المعاناة بعض علائم العبوس، هكذا كتب على الأقل روائيو بدايات القرن. أما كتّاب الآن لا يعملوا التفافات مبتذلة، آه لكن العبوسات بالمقابل ما زالت رائجة، ربما لأن العذابات ما زالت مسيطرة، لكني أعرف بأنه ليس لديكِ هذه العبوسات، وإذا ما كانت لديك فلا يهم، أنا سأعالجك منها. كما على الأغلب أن تكوني أكثر جدية،

لا تضحكين بصخب، أصيلة تماماً وربيعية كما قبل، لكن بالتأكيد أيضاً أنك حافظت وأغنيت قدرتك على الفرح، ميلك إلى الفعالية. إذا تحقق ما ألمح إليه المحامي، فليس لدي أدنى فكرة كيف بإمكاني الاجتماع بكم، أريد القول: أجهل إذا ما كان في هذه الحالة بإمكاني الخروج من البلد. أعرف بما فيه الكفاية أنه في هذا الشأن سيكون الأمر معقداً، لكن دائماً سيكون من الأفضل السفر. في هذه اللحظة، لا أدري إذا ما كان غير عادل، تافه أو مُستحق، لكني أفضّل السفر، بالطبع، فهنا أي عائلة تلك بقيت لي؟ فقط هناك العمة وأنا، إثر موت اميليو. لكني لا أعتقد بأن لدي رغبة شديدة برؤيتها، فبعد كل شيء، لم تحاول أبداً زيارتي، يقولون بأنها أكثر هرماً من المعتاد، ربما من أجل هذا! أما بالنسبة لأبناء العمة الثلاثة الآخرين، ليس بإمكانهم رؤيتي لأسباب واضحة، ولا أعتقد حتى إذا ما خرجت، أنه بإمكاني رؤيتهم. الحصول على عمل هنا سيكون صعباً جداً، لأسباب عديدة. لذلك أصر بأن على أن السفر أفضل، لكن من السابق لأوانه الحكم على (فقط على ضوء ما لّمح إليه المحامي) شيء ما حول الأمر. أثناء ذلك، أفكر، وحول أشياء محددة، أمام هذا الاحتمال الجديد، فجأة توقفت عن التوهمات، من الاختباء خلف رداء الذكريات، لمعاودة بناء التماسات للمنتجع، أو للبيت، التعرف على أشكال ووجوه في البقع الرطبة للجدران. الآن أضع انتباهي في شؤون محددة: عمل، دراسة، حياة عائلية، مشاريع لأصناف مختلفة، فكرة معقولة أن أكمل دراستي، لماذا لا تبدئين بالاستعلام هناك، في الجامعة، ما هي المواد التي علي أن أثبتّها، وما هي التي علي أن أقدمها من جديد؟ في حالتي، أتعرفين؟ أو بالعمل؟ أعرف أن لديك عمل جيد، لكني أريد أن أعمل في أقرب فرصة، ولا أعتقد أن للأمر علاقة بالذكورية، فببساطة عليكِ أن تفهمي بأني في كل حياتي عملت ودرست، يمكنك القول أني اعتدته، بالإضافة إلى أني أحبه. لماذا لا تحاولي أنتِ

والعجوز، بحث إمكانية ما بهذا الخصوص؟ أنتما تعرفان جيداً ما هي مؤهلاتي، ولكن في هذه الظروف لن أطمح أن يلائم العمل لمعارفي أو إلى مهاراتي. بإمكاني القيام بأي شيء، أتفهمين؟ أي شيء. جسدياً أنا بخير، وبالتأكيد أني سأصبح على أكمل وجه هناك، دائماً سأبقى محافظاً على أن لا يعود الكرش، بالطبع. يسيل لعابي عند تخيل أنه بإمكاني استرجاع حياة طبيعية، حياة معك ومع بياتريس والعجوز. منذ حوالي خمسة عشر يوماً هناك مرة أخرى شخص يشاركني الفضاء، لنقل شريك غرفة، وهو شخص طيب، كما أننا على علاقة رائعة. بالرغم من ذلك، فأنا لا أتجرأ للحديث معه حول توقعاتي، بكل بساطة لأنه ليس لديه إمكانية للخروج، على الأقل هذه الفترة، وإذا ما أطلقت العنان لجموحي (دائماً مع الاشتباه بحميمية وحتمية عدم الثقة من المعاناة للتفاؤل الحاد) أخشى أن أحرّض فيه، بشكل غير مباشر، فقدان أمل حزن محقق. كلنا كريمون، على الأقل تعلمنا هنا أن نكون كذلك، لاسيما عندما تصبح في الخلف المرحلة الأولى التي عادة ما تكون أنانية، مركزة، متوحدة، وحتى وسواسية، لكن أيضاً الكرم له حدود، متاخمة وفياضة. أذكر جيداً أنه قبل أكثر من عام، عندما خرج ج.، أنا نفسي اختبرت مشاعر كنت قد وجدتها، كيف لا تشعر بالسعادة أمام حقيقة بأنه هو بالذات، هو الشخص الاستثنائي، بإمكانه الاجتماع بزوجته وأمه والعمل مجدداً وليشعر مجدداً بأنه إنسان؟ وبالرغم من ذلك فإن غيابه أيضاً آلمني، من جانب لأن ج. شخص مميز لمشاركته الأربع وعشرين ساعة، ومن جهة لأن ذهابه أظهر لي قسوة وحزن في مكوثي. لمن الفضول الاستماع إلى أحاديث بعضنا، لكن الرفقة الحسنة لا تتعلق فقط بالحديث والاستماع، أن نقص على بعضنا الحياة والموت، الحب والكره، أن نقص على بعض روايات كنا قد قرأناها منذ زمن وليست الآن بين أيدينا، بالنقاش حول الفلسفة ونواحيها، باستخراج استنتاجات لتجارب سابقة، بالتحليل،

وتحليل أنفسنا بشكل أيديولوجي، بالتشارك في الطفولة، أو عندما يكون بالإمكان، لعب الشطرنج. إن العلاقة الرفاقية الجيدة تتألف في الكثير من المرات من الصمت، في احترام عزلة الآخر، في فهم بأن هذا ما يحتاجه الآخر في هذه اللحظة المحددة والمظلمة، وأن ندثرها إذن بصمتنا، وأن نتركه يدثرنا بنفسه. لكن، وهذه اللكن هي رئيسية، دون أن يطلبه أي منا الاثنان أو يصر عليه، وإنما يفهمه الآخر من تلقاء نفسه، في تضامن عفوي. أحياناً علاقة جيدة لحبس في الدير أو في عزلة، علاقة بإمكانها أن تتوطد لتصبح صداقة مدى الحياة، بالإمكان بنائها بشكل أفضل بالصمت الأنسب من الاعترافات التي تأتي في غير وقتها . هنالك من الناس من يعتبرون بأنهم مجبرين على تبادل المغامرات، على النحو المطلوب للسير الذاتية، حتى لدرجة أنهم يخترعونها، ولا يتعلق الأمر دائماً بمبالغين أو كاذبين، حيث يوجد هنالك أيضاً، أحياناً من يخترع فصل كاختلاف، كشكل من أشكال الأدب تجاه رفيقه، معتقداً أنه بذلك بإمكانه تسليته، أو يجعله ينسى خذلانه، أو ليخرجه من بئر من الكرب، أو يحفز به الحنين وتضيئ عندها الذاكرة، وحتى أنه يصاب بفيروس الذاكرة - (الخيال). إن الإنسان حيوان غريب عندما يكون معاقباً بوحدته الخاصة، أو عندما تكون العقوبة هي المقارنة اليومية مع الوحدة المتعلقة بشخص أو اثنان أو ثلاثة متجاورين دون أن يختار أي منهم ذلك. لا أعتقد (ولا حتى بعد هذه السنوات الأخيرة والقاسية) في ما كانت تقوله الوجودية المكفهرة حول أن الجحيم هو الآخرون، لكن بالمقابل بإمكاني الاعتراف بأنه في الكثير من المرات فالآخرين ليسوا الجنة بالضبط.

جـرحـى ومصابـون
(النائم)

كـان الـصمت مـسيطراً في الخـارج والـداخل في الـساعات الأولى للمساء،. تعرف غراثيللا ما ستجد إذا ما قررت النظر من النافذة. ليس فقط طريق الزهور سيكون قاحلاً، إنما أيضاً كل ما حوله: المحاجر، الشوارع الداخلية مجمع المباني، النوافذ، الشرفات الصغيرة للبناء ب.

المتجولون الوحيدون في هذه الساعة هم نحل طنان غريب يقترب ضارباً المنخل، دون أن يتمكن من الدخول، بعيداً، بعيداً جداً، يُسمع من حين لآخر، كما في موجات غير مدركة، صيحات وضحكات مدرسة مختلطة على بعد إثني عشر أو خمسة عشر مربعاً.

إذن... لماذا تنهض وترى من خلال النافذة إذا كانت تعرف ما الذي ستجده؟ هذا الخارج هو روتين، وبالمقابل في الداخل، مثلاً، هناك شيء جديد.

تطفئ غراثيللا السيجارة في منفضة سجائر على طاولة المساء، تعتدل نصف اعتدال، مرتكزة على كوعها، تتفحص عريها وتشعر بقشعريرة، لكنها لا تحاول جذب الشرشف المتكّوم عند حافة السرير.

ما زالت تنظر باتجاه النافذة، لكن دون أن تعير انتباهها لشيء، ربما هي طريقة لتعطي ظهرها لباقي السرير، لكن ليس كرفض، وإنما كتأجيل

للمتعة، وعندها، قبل أن تستدير، قبل أن تنظر، تحرك يدها ببطء حتى تحط فوق جسد النائم.

يهتز جسد النائم قليلاً، بطريقة الخيول عندما تحاول إفزاع الذباب، لا تستسلم اليد وتبقى هناك، عنيدة، حتى يعود الهدوء لذلك الجسد.

ثم تحرك غراثيللا جسدها بنصف اعتدال لغاية مواجهته تماماً مع النائم، وبدون أن تترك العضو المنمش الذي يملأ راحة يدها، تنظر له من أعلى إلى أسفل وبالعكس، متوقفة عند كل النقاط، الزوايا، الاراضي المختصرة، والتي في الساعات الأخيرة كان قد كسب أفضلية وأفقدها رصانتها.

وتستغرق مثلاً في الكتف الضخمة التي كانت داعبته قبل ساعات بأذنها وخدها، وصدره قليل الشعر، وفي السّرة الغريبة، التي هي كسّرة طفل، والتي تنظر إليها بعين الإعجاب، وهو يتحرك بشكل مباشر من خلال الإيقاع التنفسي. وفي الندبة العميقة في مفصل الورك، تلك التي صنعوها له في أحد الثكنات والتي لم يذكرها أبداً، وفي الشعر المنكوش والأحمر للمثلث في الأسفل، وفي العضو السحري الذي هو في حالة راحة الآن بعد كل ذلك التعب، وفي الخصيتين الغير متوازنتين، لأن اليسرى لم تعد إلى مكانها الطبيعي بعد كل تلك الحركات، وفي السيقان التي وكأنها لعدّاء قديم للثمانمائة متر حواجز. وفي الأقدام الغليظة والكبيرة، لأصابع كبيرة وطويلة وملتوية قليلاً وأظفر غائر في اللحم.

تسحب غراثيللا راحة يدها من الشكل الجبلي وتقرّب فمها من الفم الآخر، في تلك اللحظة بالذات، رسم هو ابتسامة، وهي تقرر عندها الابتعاد لتراه أفضل، لتتخيله أفضل، حتى تتغير الابتسامة إلى تنهيدة أو نفخة أو لهاث ولتتلاشى وتصبح مرة أخرى مجرد فم شبه مفتوح، فتبعد هي فمها، ذو الشفاه الضاغطة.

تتمدد الآن على ظهرها، ويداها خلف رأسها ناظرة إلى السقف الأملس، ومن الخارج ما زال الصمت يخترق الموقف، وأيضاً إصرار النحل، ولكن لم تعد تسمع صيحات وضحكات المدرسة المختلطة.

هذه ليست مدرسة بياتريس وليس لها نفس التوقيت، لكن ترفع غراثيللا ذراعها لتستطيع رؤية الوقت في الساعة الرقمية، وهي هدية من حماها، وتعود لتضع يدها خلف رأسها، وبصوت ناعم، حتى لا ينتفض النائم بعجلة، تقول:

- رولاندو.

يتحرك النائم بالكاد، يمدد رجله ببطء، وبدون أن يفتح عينيه يودع يداً فوق البطن الأملس للمرأة المستيقظة.

- رولاندو... انهض... في غضون ساعة تصل بياتريس.

الآخـر
(ظلال وأضواء خلفتة)

الأسوأ كان ترك الوقت يعدو دون الوصول إلى اتفاق حول المستقبل، لأنه لم تكن مهمة الساعات التي قضياها يتكلمان حول الموضوع ولا حتى المرات في المناقشات. كل الحجج والحجج المضادة تنتهي بالتهدم عندما هو، رولاندو أسويرو، عاد ليكرر اللفتة التي أصبحت كلاسيكية، حول اليوم الأول للخلق، أي اليوم الذي أخذ وجهها بكلتا يديه وقبلها، مع القناعة بأنه في كل اختبار جديد ستتضح اللمسة وتعتدل لتترك حميمية أكثر.. وعندما كان هو ينزع ملابسها بنفس المسؤولية ونفس المتعة للمناسبة الأولى، وكانت هي تترك نفسها تُداعب وتداعِب بنفس السعادة الجسدية، والتي عند إضاءتها، كانت تحولها بسرعة من امرأة مُثارة إلى مثيرة. عندها كانت تنتهي كل المهانة وتقلبات الضمير ووضعها في مكان غائب بشكل تعسفي. لم يفعلاه أبداً في الليل، لأن غراثيللا لم تكن تريد أن تعلم بياتريس بالأمر قبل أن يعلم به سانتياغو، ولم تكن غراثيللا تريد أن تثير انتباه الابنة، بنظرتها الوحيدة المندهشة أو بسمعها اليقظ وبدون قصد، وأن يقودها فضولها لفك شفرات غامضة، لذلك كانا يقومان بذلك بعد الظهر، وكان هو موافقاً، فبينما كانت المدينة تستمتع بقيلولتها، كل ما كان يسمع طنين بضع نحلات تجوب الزقاق المليء بالأزهار، أو بجانب النافذة.

قالت له غراثيللا بأن هذه الساعة الإجبارية كانت قد أنهت داخلها ضرراً قديماً، مترسخا في عاداتها أكثر بكثير مما كانت تفكر وتعتقد. فمع سانتياغو لم تكن تمارس الحب في مثل هذه الساعات، لأنها كانت ترغب بظلام دامس للاحتفال، ولم تكن ترغب بشيء أن يُنغّص عليها الملمس، لأن الشعور بالملمس كان بالنسبة لها شعور أصيل بوحدة الحب. وسانتياغو الذي لم يكن يتفق مع هذه الأهمية والتعصب للملمس، كان يوافق على مضض، ودائماً بعصبية على هذا المطلب، والذي كان ينسبهُ إلى تحفظ وتزمت سيئ، لاسيما لتلقي تعليمها في مدارس دينية، فضد السماء لا يمكن فعل شيء، كان سانتياغو يقول ذلك لتبرير الطابع الحتمي لانصياعه، ولكن غراثيللا كانت دائماً تؤكد بوضوح أن الأمر لا يتعلق على أية حال بالمدارس، وإنما يكمن فيها، وفي حياء مظلم لديها لا تفتخر به. من جانبه، فرولاندو كان يمارس دور المتفهم والمتعالي، لكنه في الحقيقة لم يكن يحب هذه الذكريات لتلك الليالي العارية الحميمة، وفقط انتقاماً لهذا الشعور، كان وباعتدال يسألها كيف كانت الأمور قبل سانتياغو، ولم تكن هي تشعر بالسخط، وإنما كانت تخجل أن تعترف له بأن قبل سانتياغو لم يكن هناك شيء، ومرة أخرى كانت تُدخل نفسها في فوضى من الظلال والأضواء الخافتة، والدليل هو ما يحصل الآن، فعل ذلك كما نفعله نحن في ساعة القيلولة ومع وجود الستائر مغلقة وهناك بصيص ضوء قوي، قوي جداً لدرجة أنه بالإمكان رؤية كل شيء، ومع ذلك كانت رغبتها في الجسد الآخر قوية، ورغبتها الحميمة بالانصهار مع جسده، لدرجة أنها لم تذكر في أي لحظة رغبتها بالظلام التي عفا عليها الزمن، وليس فقط أنها صرفت النظر عن الملمس، وإنما أيضاً كانت قد اكتشفته، تقريباً بالرغم منها. فعندما كانت تضيف إلى هذا قراراً بالنظر إلى الجسد الآخر بكل مناوراته وحركاته وإجراءاته الجديدة، وعندما كانت تضيف إلى الملمس رؤية الاشياء بكل وديانها وتلالها وطحالبها. فقط بعد المتعة والاسترخاء،

عندما كان رولاندو يشعل سيجارة له وأخرى لها، فقط عندها أو ربما بعد ذلك بقليل، عندما تعود من الحمام لتلتصق به، كانت مسألة الشخص الغائب تعود لتظهر بينهما، بين جسدين مستمتعين ومسترخيين...

كانت تتكلم وتتكلم، تعيد وتكرر الموضوع، ووصلت لأن تقول بأنها لم تشعر أبداً بجسدها كما تشعر به الآن، لم تكن قد استخدمت جسدها بهذا الشكل من قبل، ليس فقط جسدي، وإنما روحي أيضاً، لعمل هو بعد كل شيء ليس فيه متغيرات كثيرة (في هذا لم يكن رولاندو متفق تماماً، ولكن كان يقتصر على ابتسامة). ومع ذلك فهذه الثقة لم تدفعه لإجراء مقارنات، لأنه لم يكن يريد الإساءة لذكرى سانتياغو، ولا حتى لذكرى جسده (هنا توقف رولاندو عن الابتسام)، لم يكن يريد بأي حال من الأحوال تشويه صورته، إضافة إلى أنه لم يكن يمتلك الحق في أن يفعل ذلك، لأنه لم ينسَ أنه عندما كانت هي وسانتياغو تمارسانه، كانا صغيرين عندها، ومجبرين على حيوية أكبر، (هنا يقطب رولاندو جبينه) ولكن أيضاً بخبرة شبه معدومة، وبعد كل شيء، فإن ما تعرضوا له من معاناة في حياتهم، وفي كل هذه السنوات التي حولتهم إلى أشخاص أكثر قسوة وبنفس الوقت أكثر حناناً، فالرجال والنساء أصبحوا أكثر واقعية وفي نفس الوقت أكثر لا واقعية محددة أكثر، ومع ذلك أكثر ليونة للخيال. وكل هذا، كل هذا الانهيار للطقوس والقواعد، كل هذا التناقض بين الماضي والحاضر، بين الحاضر والمستقبل، كل هذه الموضوعية الملتهبة، نفايات للأبراج (ابتسامة من رولاندو، أضاف إليها تنهيدة) وأحزان، لتتحول وتصبح الميزة الوحيدة لقصة حزينة: أن نصبح أقل كذباً في التعامل المتبادل. أن نكون أقل ظلماً في العلاقة المتبادلة، أن نصبح منتسبين أكثر لطبقة ثالثة، لأن المنتسبين للطبقة الأولى والثانية لم يكونوا موجودين، أو لم يظلوا هم أنفسهم، أو ربما كانوا ينتمون لطبقات من الخيال والخداع.

حتى عندما فعلوها هذه المرة الجديدة، كان قد استأنفت هي أبانا الذي في السماوات، أطفأ رولاندو السيجارة ونزع سيجارتها، وأطفأها أيضاً، وأخذ منها بضع شعرات كانت متدلية من رأسها، ومددها جسدها برفق، وتسلق ببطء ذلك الجسد المندهش والمهتز. وإثر تقبيلها بجانب الأذن، قال ببساطة: غراثيللا لا تبدئي من جديد، أنت وأنا نعرف القصة كاملة، لمن ستقصيها إذن؟ هو زوجك وأنا صديقه، بالإضافة إلى أنه رجل رائع، لكننا لا نستطيع مواصلة اللعب على البينغ بونغ للضمير، هل تفهمين؟ علينا أن نقرر، وعلى ما يبدو أننا قد قررنا، لقد وجدنا شيئاً يجمعنا كثيراً، مما سيجعلنا نبقى معاً، مع كل المشاكل والتعقيدات التي تتضمنها . إن الفصول القادمة ستكون قاسية، لكننا سنبقى معاً، أنت تعرفين ذلك وأنا أيضاً . فلندع إذن مسالة سانتياغو حتى يأتي اليوم الذي يكون هو في ظروف تسمح له بأن يعرف، وأن يتأقلم مع الحقيقة الجديدة. أنتِ والسيد رافائيل قررتما عدم قول شيء بينما ما زال هو في السجن، أنا لست متأكداً أن هذا هو الخيار الأفضل، لا تنسي بأنني أنا أيضاً كنت في السجن، وأعتقد بأنني أعرف كيف تُقيّم هذه الأشياء من هناك، لكني أقبل به بالرغم من ذلك، وأيضاً أقبل بمسؤوليتي في النسيان. نعم، بالرغم من كل شيء، فأنتِ ما زلت تحترمين سانتياغو، وأنا أيضاً ما زلت أحترمه، لذلك لا يمكننا مواصلة الحديث بهاجسية عنه كلما مارسنا الحب. أنت ستبقين تفكرين، بالطبع، وأنا سأواصل التفكير، كل على طريقته، توقف قليلاً، عاد ليقبلها، وعندما كان على وشك التأهب للإثارة من جديد، أضاف ما تيسر له: إن بساطة عدم التطرق للمسألة بكلمات مكررة ومنهكة لنا، هذا الصمت البسيط سيساعدنا، سيساعدنا أن نحب أنفسنا كما نحن في الحقيقة، وليس كما يفرض الالتزام الهش بأن نكون.

منافي

(وداعا ومرحبا)

هولوييد هو حي في كولونيا، في الجمهورية الفدرالية الألمانية. من الأفضل ان نسميه كولن، حتى لا نخلطه بشيء موجود في الإنجيل. في هولوييد، استقرت (بشكل مؤقت حيث كان لها هناك سبع سنوات) عائلة اوروغوايية، أولغا وابنائها الثلاثة، في عام 1974 كانوا اطفال، أما الآن فهم مراهقين. عائلة غير مكتملة، بما ان الأب، دافيد كامبورا، كان سجيناً في الأوروغواي منذ 1971، وعند تحقيق حريته عام 1980، كان الدور الذي لعبته المدرسة التي كان يدرس فيها الشبان الثلاثة: اربيل، سيلفيا، بابلو، دوراً حاسماً.

وحسب عائلة كامبورا فإن «هولوييد هو حي عمالي، لفئة من الشعب الألماني، هناك يوجد كل شيء، انس مجتهدون في عملهم، ومهمشون اجتماعياً، ساحات رياضية، اعمال صغيرة، عجائز لطيفات، وعجائز ثرثارات، عدة كنائس، اثنان من البنوك، مدرسة نموذجية متطورة للغاية، أناس بسطاء في النهاية».

«المدرسة افتتحت»، تحدثني أولغا، «عندما بلغ الأطفال سن الدخول إلى المدرسة. الآن اصبح فيها نحو الف ومئتي طالب. في النشاط الذي اقيم من أجل حرية دافيد شارك اباء، معلمون، طلاب،

مديرة المدرسة وحتى وزير التعليم بذات نفسه، والذي أشار إلى أنه بالنسبة لهذه المدرسة، فحقوق الإنسان هي أكثر من درس نظري. أُنشئت لجنة وكنا نجتمع كل خمسة عشر يوماً لنبحث في أشياء جديدة علينا فعلها، كنا نفكر أحياناً بأنه لم يكن بإمكاننا فعل شيء أكثر، لكن دائما كانت تظهر فكرة جديدة».

نُفذت عدة احتفالات من أجل الأوروغواي. دعت المدرسة بدايةً هيئة الآباء لتعلمهم حول وضع دافيد ولتتشاور معهم حول ما يمكنهم فعله. «انتظرنا حضور حوالي ثلاثين شخص»، تقول أولغا، «لكن أمام مفاجأتنا»، حضر خمسمائة، ومن هنا برزت فكرة التظاهرة أمام السفارة الأوروغوايية. تعاقدوا مع حافلات، جمعوا تبرعات، وحتى كان يجب دفع تأمين على الأطفال، لأن المظاهرة كانت تقتضي أخذهم من كولن ونقلهم إلى بون. كان هناك أطفال ساهموا في التمويل بجزء من مصروفهم الشهري، فكان المجموع العام 4.000 مارك وشارك أكثر من 800 شخص، وهذا يعني الكثير هنا، لا سيما إذا ما أُخذ بعين الاعتبار أن الأطفال الأصغر كان عليهم أن يذهبوا برفقة آبائهم أو إحضار موافقة خطية، وهكذا بدأت تتغذى مجموعة من النشاطات. أُرسلت إلى الحكومة الاوروغوايية 20.000 رسالة، وتوقيعات أخرى، واستطعنا تحقيق مشاركة ثلاثة عشر مدرسة في المدينة. نُشرت مقالات في الصحف، لتصبح قضية كامبورا معروفة، وفي الوقت نفسه مواجهة شيء خاص. أمهات طيبات لعائلات لم يكن قد وزعن أي منشور، أصبحن الآن يجمعن تواقيع في الشارع، وهن يشرحن ما يحصل في الأوروغواي. كان هناك قلة منهن يقلن «إذا ما كان سجيناً، فمن أجل شيء»، لكن كن يشكلن استثناء.

ذلك التجمع التضامني مع العائلة ترافق مع كل الاحتمالات،

لآمال الخروج، كما للسلبيات الحازمة للديكتاتورية. «أخيراً، وقبل أن يعلم دافيد نفسه، عرفنا بأنه سُيطلق سراحه بشكل فوري. استشارتنا مديرة المدرسة لرؤية ما يمكن فعله عندما يصل، وبما أن الكثير من الآباء كانوا يودون انتظاره في المطار، وسبب هذا كان واضحاً، فمن فعل الكثير من الأشياء من أجل حريته كان له كل الحق أن يشاركنا سعادتنا. كنت سأذهب حتى فرانكفورت لاستقبال دافيد، الذي لأسباب معروفة، كان يجهل ضخامة ما تَرَتَّب بعد ذلك، ففي مطار كولن، كان بانتظاره 300 شخص، أطفال برسومات، ورود وتفاحات كهدايا، وأيضاً كثير من الدموع.»

حَلّت إذن مسألة إقامة حفل في المدرسة، فهكذا «كان بإمكان الجميع رؤية ومصافحة دافيد، الذي كان إنجازهم، نتيجة لعملهم التضامني. وبالتأكيد، كان قبل ذلك يجب إعادة تهيئته».

كان في الحفل جانبه الخطابي. تكلمت الدكتورة فوكي، 65 عام، للجيل القديم من الاشتراكية الديمقراطية، بشكل ما، هي شيء ككفالة أخلاقية لدافيد في ألمانيا. «في الحقيقة»، تقول أولغا، «إنها عّرابتنا الحارسة». أيضاً تكلمت مديرة المدرسة، وناطق باسم الآباء («عامل بناء، وأحد أفضل الأصدقاء الذين لدينا هنا»)، وطالب («كان قد أصبح سياسياً لامعاً») ونائبة عن الأساتذة. ثم كان على دافيد أن يشكر في خمس دقائق فقط، لكن بالترجمة (التي عملتها سيلفيا، ابنته) لتصبح ثمانية. وأخيراً تكلم كل من نائب رئيس البلدية للمدينة و (كما أيضاً دعيت المجموعات المختلفة العاملة من أجل أمريكا اللاتينية) نائبة عن ف د ر السلفادوري. «وعندها بدأ الرقص باوركسترا يديرها عمال إيطاليون. أخيراً، مع طعام، شراب، بكاء، الخ...»

هذه هي الكلمات التي تلفظ بها دافيد كامبورا في الـ 20 من آذار

لعام 1981: «إن لهذه الليلة معنى خاص. بشكل حميم وغريب أتينا لنودع بعض، وأيضاً لنرحب ببعض، إننا نودع بعض، بدون حزن، لرجل كان سجيناً لتسع سنوات، كان سجيناً لأنه رفض ان يقف صامتاً عندما عانى شعبه من الجوع، الم وظلم. كما أننا نودع بعض، دون نسيان، لتجربة صعبة جداً، طويلة بعض الشيء، لكنها ثمينة بشدة. كل سجين سياسي عليه أن يشكر سجانيه الذين أكدوا له في الممارسة، على صحة معتقداته ومبررات خطواته، وأن يكون رجل أكثر من واثق مما يفعله، عندما لا يستطيع الألم المتواصل ان ينزع منه نفسه وأن يهزمه. إننا نودع وضعاً، لكننا نحافظ فيه على ذاكرة مسهبة. اليوم أيضاً نرحب بأب في هذه المدرسة. ثلاثة ابناء وزوجة أحضروني من يدي، يريدون إظهار الروعة المختزنة لدى البشر. رجال ونساء للشعب قادرين على التقديم والتضحية. إنه أب متأثر، يشعر انه في بيته، الذي اليوم بإمكانه ان يقول لكم مرحباً وأسألكم إلى اين سنذهب معاً؟ أشعر بداخلي أن هذا الحفل هو شيء خاص، مختلف كثيراً عن كل شيء، شيء جديد وهام، هام لكنه مهم جداً، حيث لست قادراً على قول الكلمات المحددة التي علي أن اقولها. جديدة لكن جديدة جداً، كما دائماً يتضح بأن حرارة الناس المتحمسة باتجاه الخارج، للناس الذين أخذوا يحبون الآخرين. أيضاً هناك عظمة هذه الليلة. هناك حاجة متغطرسة ليتابع عاملاً، ليتابع محاولاً. حاجة تنبت مما أنجزه، لأنكم استطعتم، استطعتم أكثر من قسوة ديكتاتورية، أكثر من إصرار وحقد السجانين، أكثر من الكسل وراحة الحياة لنفسها، لقد استطعتم، وأنا هنا كدليل على قدرتكم. دليل، لكن غير مقاس، لأنه ليس هنالك قياس بإمكانه الإحاطة بإمكانية أشخاص كرسوا نفسهم للقدرة. أتجرأ اليوم لأتكلم بالنيابة عن إخوتي السجناء، أن أمثلهم بالكامل، لأقول لكم: جزيل الشكر لأنكم لم

تتركونا وحدنا، شكراً جزيلاً لأنكم أحببتمونا بشدة، لأطلب منكم إصرار تضامنكم تجاه أميركا اللاتينية، قارة تشتري بدمها حقها لأن تصبح حرة. بإمكاننا الحديث هذه الليلة عن السجن والموت دون فقدان الفرحة. لأن فرحتنا هي بانتصار المطالبين بالحق، لأن فرحتنا هي لهذه الجهود المبذولة. نحن سعداء لأننا نعرف أن نأخذ على عاتقنا ألم الآخرين. ما أعطيتموني إياه، ليس هنالك طريقة لشكره، أنا مدين لكم بالهواء الحر، والضوء، الشوارع والأصوات، الحلم والكتب. لقد أعدتم لي أبنائي وزوجتي: المكان الذي يمنحني الحب، حناني الدائم. أخجل من أن أقص عليكم أشياء، الأمر الوحيد الذي يمكنني نقله لكم هو إيماني بالإنسان، ومعرفتي المظلمة كسجين. تحديدا لكم، إصرار أناس طيبون، حيث حققتم المستحيل، أنتم تعرفون وتستطيعون. إن الحفل لكم، إن التكريم هو لكم، وأنا من يجب أن أصفق لكم وأحضنكم».

بكى الألمان، واللاتينيون أكثر. كما تذكر أولغا (لأن دافيد شديد الرصانة) «حضنته شابة ومسّدت ظهره خلال وقت طويل، شاكرة له الكثير الذي أعطاها» بعد كل شيء، فالشابة كانت محقة. دون أن يعرفه ولا حتى عرضه، كان دافيد قد شرب مع هذه المجموعة نخب الفرصة الاستثنائية لتعبّر عن نفسها بأفضل طريقة.

السيد رافائيل
(وطن يدعى ليديا)

هل أنا أجنبي؟ هنالك أيام أكون فيها متأكد بأني كذلك، وأخرى حيث لا أوليها أدنى أهمية، وأخيراً أيام أخرى (من الأفضل القول أنها ليالي) بحيث لا أعترف بأي شكل من الأشكال أمام نفسي بهذه الأجنبية. هل يكون وضع الأجنبي هو حالة معنويات؟ ربما إذا ما كنت في فنلندا أو في جزر كابو فيردي، أو في الفاتياكان أو في دالاس، لكنت سأشعر بكوني أجنبياً بدون رحمة، ومع ذلك، فمن يدري؟ بالمناسبة، فلماذا نبدأ دائماً بفنلندا عندما نريد ذكر شيء في غاية البعد؟ مَن وَضَع هذا المفهوم في عقولنا؟ الحديث عن أحد موجود في فنلندا كان دائماً يعني لنا كما ولو أنه في الجحيم الخامس، وإن لم يكن بإمكاننا استيعاب هذين المعنيين فلأننا لم نرَ في حياتنا الجحيم الخامس بالكثير من الجليد والثلوج. فقبل كل شيء، ما الذي نعرفه عن الفنلنديين؟ ما عدا الكاليفيلا والنوبل لسيللامبا (Sillampaa)، ذلك الذي له أربع نقاط فوق الحرفين الأخيرين، كما أنه حتى أولمبيادات عام 1952 كانت صحف الكونو الجنوبي تكتب هلسنسكي، ب س قبل ك، لكن بعد وقت صارت تُكتب هلسنكي. ماذا كان عساه يحصل في الألعاب الاولمبية حتى تفقد هلسنكي أل س الثانية؟ لكني لست في هلسنكي وإنما هنا، وهنا، هل أنا أجنبي؟ ليس منذ وقت طويل، قرأت في

عمل جميل لكاتب ألماني لهذه الأيام المتناقضة: «لمن الفضول أن يتعلم الأجانب أولاً الشتائم والتعبيرات الوقحة العامية واللباس في البلد الذي يعيشون به، (الشابة التي مضى عليها فقط بضعة أشهر في بلد تصرخ بألم بالفرنسية وتقول: أي بدلا من آو).» حسب هذا التعريف فأنا لست أجنبياً لأني ما زلت أشتم كما كنت أفعل في أرضي الأرجوانية، وعندما يكون لدي ألم حاد لا أتلفظ بأي هتاف، لا مستورد ولا محلي، ببساطة لأني أصدر صوتاً غريباً بإمكانه أن يصبح محدداً كأصوات الحيوانات، برغم أن القاموس يمنح ثلاثة أمثلة لأصوات الحيوانات (مياو، جلوجلو، كاتابلون) حيث بالطبع وللحظ ليس لها أي علاقة بالهمهمة أو الزنخرة، حيث أنا معتاد أن أعملها في المناسبات التي تصيبني فيها الوخزات...

ماذا كنت سأفكر عن نفسي إذا ما مثلاً (كما في التاسع من الشهر الماضي، بالتحديد يوم الأربعاء)، عندما ضغط الأستاذ اوردونيز على إصبعي بباب سيارته الفولكس فاجن، كان بإمكاني أن أصرخ جلوجلو أو كاتابلون؟ لكن بالمقابل صوت حلقي المتواضع، المرافق بنظرة حادة، بالتأكيد لم يكن قد ترك للمسكين اوردونييز أقل شك حول كرهي العفوي، كره من جانب آخر غير عادل، بالإضافة إلى أنه تلقائي، بما أنه حطم لي سبابتي فقط بسبب شرود الفكر الذي لا يُغفر، وليس بسبب عنصرية حزبية، وأعترف مع ذلك، أنه بالنسبة لي عندما لم يقم لي أي عزاء للتخفيف من ألمي، فكرت أنه بإمكان هذا الأحمق بلا شك أن يحطم بكل رباطة الجأش وبكل الحماقة، إصبعاً لأي من مواطنيه الأعزاء، وبرغم أن ذلك يبدو كذباً فقد سبّب لي متعة، لأنه كان علينا أن نكون خلال بعض دقائق «وجهين شاحبين» (لحسن الحظ لم يظهر أي مواطن أصلي في الأفق)، فيما كنت على وشك أن يغمى علي.أثناء الصرير الحلقي، واوردونييز أيضاً، مع فرق وحيد، هو أن الإصبع كان إصبعي. الآن حسناً، هذا الكره التلقائي، والذي

أعترف بأنه غير عادل، الذي جربته تجاه زميلي، حيث كنت ما زلت على وشك الإنهيار، هل أحس به، بنفس الدرجة، إذا ما كان صاحب الفولكس فاجن شرقياً من الباسو موليو، من تامبوريس أو بالميتاس؟ لدي شكوك حول هذا الأمر، لكن بما أن الشكل الوحيد للخروج منه سيكون باكتشاي في أنه مواطن للباسو مولينو، لتامبوريس أو لبالميتاس، لو كان هرس لي الأصبع بباب الفولكس فاجن (باه، بإمكان الاسم أن يكون آخر) ليس لدي أي اعتراض، ليس لدي أي مشكلة بالمحافظة على نفسي في حقل الاستقرار والراحة للشك الفلسفي. على أية حال، إذا ما كان حقدي الآني تجاه ثقيل الدم اوردونييز لها دلالات كونية، أو على الأقل ما بين دول أميركا اللاتينية، حالتي لن تكون مسألة عنصرية وإنما بالعكس تماماً.

إن الزرع القسري في بلد آخر لشيء قاس في أي عمر، وهذا ما عانيته في حياتي الخاصة. لكن ربما الشباب هم من يشعرون أنهم الأكثر عقاباً. ولا أقوله متكلماً عن غراثيللا، أو رولاندو، أو حتى سانتياغو نفسه عندما يكون حراً ذات يوم. أفكر في الشباب الذين كانوا لا يزالون أطفالاً عندما حلّت الفوضى، بالنسبة لهم كان شبه مستحيل تصور هذه الفترة من حياتهم كشيء عابر، كإحباط على المدى الطويل. والخطر هو أن شعورا كهذا من الممكن أن يصنع منهم ضحايا لتآكل لا رجعة فيه.

كم رأينا من قبل هؤلاء الناشطين الحزبيين في التيخا، أو في المالفين، أو في اندوستريااليس، واليوم نراهم في باريس، بجانب الساكري - كوير، أو في البونتي فيتشيو فلورينتينو، أو في الراسترو في مدريد، مستلقين بجانب بضائع يدوية، كانوا هم أنفسهم قد صنعوها أو حاكوها. كم من هؤلاء الشبان والشابات، بابتسامات غامضة ونظرات بعيدة، لم يروا، لشهور أو سنوات مضت، كيف سقط بجانبهم الرفاق الأحب لديهم، أو لم يكونوا قد سمعوا صراخات مفجعة من الزنزانة المقززة والمتاخمة؟ كيف بالإمكان

محاكمة هؤلاء المتشائمين الجدد بعدل، لهؤلاء المشككين السابقين لأوانهم، إن لم يكونوا قد بدأوا بفهم أن آمالهم كانت مشوّهة بوعورة؟ كيف بالإمكان حذف حالة هؤلاء الشباب، الذين أُقصوا عن بيئتهم، عن أسرهم، عن أصدقائهم، عن مدارسهم، كان قد أُسقط حقهم الإنساني للتمرد كشباب، للقتال كشباب؟ فقط تُرك لهم الحق بأن يموتون شباناً.

أحياناً يمتلك الشبان قيمة أثناء الضرورة، ومع ذلك فهم لا يمتلكون معنويات لتخطي الإحباطات. فلو كان بإمكاننا على الأقل أنا ومحاربون قدامى، أن نستطيع إقناعهم بأن واجبهم هو البقاء شباب، وأن لا يعجزوا من شدة الحنين، من الملل أو الامتعاض، وإنما البقاء شباباً، حتى عندما تأتي ساعة العودة يرجعون شباباً، وليس نفايات تمرّدات ماضية، كشباب... أي كحياة.

بعد هذا العرض أعتقد بأنه لدي الحق أن أتنفس بعمق. قطعاً، عندما أكون جاداً بإمكاني أن أصبح غير مطاق، لكن أيضاً من الممكن بأن رافائيل اغييرري الحقيقي أن يكون هكذا، الذي لا يطاق، الثقيل، البليغ، وأنه بالمقابل فإن رافائيل اغييرري الآخر، الذي يستمتع بصنع كالألعاب كلمات والسخرية بعض الشيء من الآخرين، وكثيراً من نفسه، وأن يكون بالفعل قناعاً للآخر.

ربما يكون أحد أشكال عدم الانتظام، الشاذ، لأجيب على سؤالي نفسه: هل أنا أجنبي؟ وأجيب نفسي هكذا، بيد، اليمنى، في الكفن، وأخرى، الشمال، راسماً شمساً والتي آمل أن تصبح تلقائية ومضئية كالتي ترسمها حفيدتي بألوان غير عادية ووقحة، لإنني لا أستطيع تصميم شمس خضراء وغيوم وردية كما تفعل هي، بدون سفسطة. في النهاية أعتقد أنه بداخلي فالشمس أكثر سطوة (برغم أنها بصرامة صفراء وبرتقالية) من الكفن.

الوحيد الذي بإمكانه أن يخلّص عجوز بأن يشعر أنه شاب- قلت

شاب وليس بنفس خضراء، انتبه-، لا أن يصطنع ذلك، لابساً ألوان فاقعة أو مستمعاً لتلك الزبالة في الديسكوتيهات (آه البيتلز الذين لا يقارنوا بأحد في فترة ما قبل شيخوختي، تلك ميشيل أو يستردي أو ايليانور ريغبي)، وإنما أن أشعر، في المصاعب والقلاقل، أنني عجوز شاب.

ربما كان هذا أول ما فهمته ليديا، وربما كان هذا (أقصد: الفعل (فهمته). أول ما أعجبني فيها. وبدون أن أختلق الكثير من الآمال، ربما حصل بهذا الشكل لأنها من هنا، لنقول لأنها ليست بنت بلدي، فلا أحد بإمكانه، ولا أحد يريد أن ينزع أشواقه، لكن المنفى ليس عليه أن يتحول إلى إحباط، فالعمل والارتباط بأناس بلدك، كما ولو كانوا أناسنا، إنها الطريقة الأمثل لنشعر أننا صالحين، وليس هناك أفضل من ترياق ضد الإحباط من هذا الإحساس بالصلاحية.

الارتباط بأناس بلدك. حسناً، أنا ارتبطت بليديا، كما أحياناً أقولها: بعد كل شيء، كما ترون، أنني ليدياندو، وأشعر أفضل، لتصبح محاكاة العكاز شيئاً بعيداً، ومن أجل هذا أيضاً لا أشعر كوني أجنبي، لأنها ليست أجنبيتي، وإنما شيئاً قريباً، كما لو كانت امرأتي. لديها القليل من الدم الهندي، مبارك، أو ربما لديها من دم أسود، أيضاً مبارك. لنقل بأن جلدها الناعم أغمق من بشرة غراثيللا أو بياتريس، وأشد غمقاً مني (وبشرتها أقل تجعيداً) من بشرتي.

ربما ارتبطت ببلد يدعى ليديا، وهو رابط مختلف عن كل النساء السابقات، تنقص بعض العناصر التقليدية: طارئ، شغف، ضيق في الصدر، ولا حتى أتجرأ القول بأني عاشق، لكن ربما أتجرأ التفكير به، من الواضح بأني إذا ما ارتكبت خطأ النظر إلى المرأة، لامتلأت بسلامة العقل أوتوماتيكياً، فليس هنالك (وربما غير موجود) زواج، لكن ما لا يمكنني نكرانه، أنه إذا ما كانت ليديا ليست من قريتي، فهي بالمقابل من طائفتي،

من قبيلتي، فارتباطي ببلد ليديا ليس مجازياً ببساطة، لأنها كانت هي من قدمني للأشياء، (ليس لفظاً، ها) التعابير المحلية، ليس فقط اللانهائية، وإنما أيضاً العابرة، كعندما يقول زوج أخت ليديا أنه يرغب بأن يحرك الشارب، وهنا يقصد أنه يريد أن يأكل.

مع ذلك، ما زلت ألتقي بأبناء بلدي، هناك مجموعة أمور فقط بالإمكان الحديث فيها معهم، أريد القول الحديث معهم بامتلاء، مع معرفة بالأسباب، برغم أنه ليس مع معرفة بالمؤثرات. فعمل التوازن المعقد للماضي، أكثر صعوبة عندما يكون أقرب، أو كما يقول الرائع فالدس (طب عام وقصبات) بتشويهه المحترف: يجب سماع البلد، يا سادة، وضع الأذن على الظهر لتشعر كيف يتنفس وعندها آمره، قل ثلاثة وثلاثون، قل لو سمحت ثلاثة وثلاثون اورينتالس.

لكن عند هذه المواصيل هذا لا يكفيني. لا أستطيع العيش هنا وهكذا، مع هاجس أنه غداً أو تشرين الأول القادم أو خلال عامين، سأقطع الحبال وأبدأ برحلة العودة، العودة الأسطورية، لأن الأسلوب المؤقت لا يمنح أبداً الامتلاء. إذن عليَّ أن أدخل في بلد ليديا، وهذا أكثر بكثير من رمز جنسي (دون الخوف من أن يكون الولوج فيه هناك جميل)، إنه أيضاً أن أعرف ما يعرفه أناس البلد المدعو ليديا... إنه استماع إلى نشرات أخبار الراديو والتلفزيون من الجلدة للجلدة، وليس فقط عندما يكون دور الأخبار العالمية، في انتظار يومي بأن يأتي أخيراً شيء جيد من هناك! لكن يحصل أحياناً أن يذكر بأنه اختفى أربعة آخرين، أو مات ثلاثة في السجن، وليس دائماً عن رئيس مخادع يدعّي «الصرامة والإصرار في اللقاءات»، وإنما ببساطة لمجرد التعب والتغدق في السجن. وأن يُذكر أنه كان هناك تمشيطات أخرى ووقع خمسمائة، ثم أطلقوا أربعمائة وعشرون كما كان متوقع، لكن من سيكونون الثمانين المتبقين، وماذا سيفعلون بهم؟

إننا نخسر العادة الصحية للأمل، وتقريباً لم نعد نفهم أن هناك مجتمعات أخرى ما زالت تولّدها. أذكر فجر يوم الثلاثين من تشرين الثاني، لقد قلت لليديا ألا تأتي، فقد كنت أريد البقاء وحيداً مع شكوكي، فلم أؤمن بالاستفتاء، كان يبدو لي فخاً سخيفاً، لكن في الثالثة فجراً استيقظت وتملكني هاجس أن أشعل الراديو، وأتى الخبر مخلوطاً بحلمي (حيث لم يكن بالضبط محفزاً) *واللا* الرافضة، كانت قد اكتسحت اقتراح العسكريين، وفقط عندما أقنعت نفسي بأن هذا لم يكن ملحقاً لحلمي، وإنما خبراً حقيقياً، فقط عندها قفزت من السرير وصرخت كما ولو كنت في ملعب وانتبهت فجأة إلى أنني كنت أبكي بدون أي خجل وحتى بنشيج، وهذا البكاء لم يكن مصطنعاً ولا سخيفاً وتفاجئت أنا نفسي من انفجاري، وكنت أريد أن أذكر متى بكيت هكذا آخر مرة؟ وكان علي العودة حتى تشرين أول 1967، في مونتيفيديو، أيضاً لوحدي وفي المساء، عندما محطة أخرى أعلنت الخبر الحزين لفيديل حول موت التشي غيفارا.

لكن في تشرين الثاني عام 1980، تركني الناس في بلد ليديا أبكي لوحدي وشكرت لهم هذا، وفي اليوم التالي فقط جاؤوا ليعانقوني، بعد أن تيقنوا بأن عيوني كانت قد نشفت، ولكي أشرح لهم ما لا يمكن شرحه، وعندها أخذت أقول لهم بينما كنت أحاول إقناع نفسي: قررت الديكتاتورية أن تفتح، ليس باباً، وإنما فجوة، وفجوة صغيرة جداً لدرجة أن بإمكان كلمة واحدة الدخول منها، ورأى عندها الناس ذلك الشق وبدون أن يفكروا لمرتين، وضعوا هناك المقطع لا! من المحتمل بأنه غداً يصفقون الباب، يقفلون مرة أخرى الحصن الذي كانوا قد اعتقدوا بأنه منيع، لكن سيكون متأخراً، المقطع الحازم كان قد بقي في الداخل، سيكون من المستحيل عليهم أن يتخلصوا منه، في هذا العصر للقنابل النيوترونية والرؤوس النووية، إنه لأمر مدهش ما بإمكانه فعل مقطع لفظي فقير رافض هو لا.

وحضرت ليديا، طبعاً (ليس الوطن ليديا، وإنما ليديا فقط وروحها) ولم تقل لي شيئاً وأيضاً شكرتها، وبعد أن كانت قد تأكدت هي أيضاً بأن عيوني أصبحت جافة تماماً، جلست على الأرض بجانبي (أنا كنت كما دائماً في الكرسي الهزاز، فتوقفت عن الهز) وأسندت رأسها الأسمر على ركبتي، وداعبت شعرها الأسود.

بياتريس

(العفو)

العفو: هي كلمة صعبة، أو كما يقول الجد رافائيل (شديدة المعضلة)، لأن فيها م و ن، وتكونان دائما معاً. والعفو هي عندما تغفر لشخص ما عقوبة، مثلاً إذا أتيت أنا من المدرسة بملابسي متسخة، فتعاقبني غراثيللا أي أمي بالبقاء لأسبوع بدون حلويات، فإذا ما قعدت عاقلة وبعد ثلاثة أيام أحضرت علامات جيدة في الحساب، عندها تمنحني عفواً، وبإمكاني أن أعود لأكل البوظة من تلك التي تدعى (كانوا) وفيها ثلاث طابات، واحدة فانيللا، وأخرى من شوكولاته، وأخرى من فريز، وهي ما يدعوه الجد رافائيل فاكهة.

أيضاً كما في مرة أخرى، عندما كنا أنا وتيريسيتا نتعارك، عندما لطمتني بالطين، وأمضينا بعدها أسبوعين دون أن نوجه أي كلمة لبعضنا، ولا نتبادل فرشاة الأسنان،، ورأيت فجأة أن المسكينة تشعر بالندم، ولم تكن تستطيع العيش بدون محبتي، وانتبهتُ إلى أن تنفسها يصبح قوياً عندما كنت أمر بقربها، وصرت أخاف أن تنتحر كما في التلفزيون، وهكذا ناديت عليها، وقلت لها: «انظري يا تيريسيتا... أنا أعفو عنك»، لكنها اعتقدت عندها بأن ندائي لها ليس لأكثر من شتمها، فأخذت بالبكاء أكثر فأكثر، فلم يكن بيدي إلا أن أقول لها: «تيريسيتا، لا تكوني حماره أنا أعفو عنك

تعني أنني أسامحك»، وعندها بدأت بالبكاء مجدداً، ولكن بطريقة مختلفة، لأن بكاءها هذه المرة كان من شدة الانفعال.

وأيضاً اليوم رأيت في التلفاز حلقة مصارعة ثيران، حيث بدا ذلك كما ولو أنه في ملعب، وكان هناك رجل يمسك بشرشف أحمر وثور يلعب دور الغاضب لكنه كان فظيعاً، وبعد ساعات طويلة من اللعب، ملّ الرجل وقال لا أريد مزيداً من اللعب مع هذا الحيوان الذي يفتعل الغضب، لكن الثور كان يريد متابعة اللعب، وعندها صار الرجل غاضباً، وبما أنه كان شديد البلاهة، فقد هنا في عنق سيف طويل، والثور الذي كان على وشك أن يطلب العفو نظر إلى الرجل بعينين حزينتين... حزينتين جداً، ثم بعدها غاب عن الوعي في منتصف الملعب، دون أن يعطيه أحدٌ العفو، فشعرت بالكثير من الشفقة على الثور، وأخرجت زفيراً طويلاً.. طويلاً، وتلك الليلة حلمت بأنني كنت أمسّد الثور (تشيتشو تشيتشو) كما كنت أفعل لساركاسمو كلب انجيليكا، بينما يحرّك ذيله سعيداً جداً، لكن في الحلم لم يكن الثور يحرك ذيله، لأنه كان ما زال مغمى عليه في منتصف الملعب، وأنا كنت أمنحه العفو، لكن هذا الأمر لا يجدي في الأحلام.

يقول القاموس بأن العفو هو نسيان الجرائم السياسية، ففكرت بأنه لربما يمنحون العفو لوالدي، لكني أيضاً أشعر بالخوف من أن يكون للجنرال الذي سجن أبي ذاكرة جيدة، ولا ينسى الجرائم. طبعاً بما أن أبي طيب، طيب جداً حتى أنه يعرف كنس الزنازين، فلربما يغض الجنرال (الذي وضعه كسجين سياسي) النظر عنه كما يفعل جدي معي، كما ولو أنه نسي كل الجرائم، برغم أنه حقيقة لا ينساها، ولربما ذات ليلة يقوم الجنرال الذي وضعه كسجين سياسي بمنحه العفو هكذا فجأة ودون أن يقول له شيء يترك له الباب مفتوحاً حتى يخرج أبي على أطراف أصابعه، ويطل بصمت على الشارع، ويأخذ تاكسي، ويخبر سائق التاكسي فرحاً بأنهم قد

منحوه العفو للتو، ليأخذه هكذا على الفور إلى المطار لأنه يريد الحضور ليرانا .. غراثيللا وأنا. «وعليك أن تعرف بأنه لدي (سيقول لسائق التاكسي) إبنة لم أرها منذ زمن طويل، لكني أعرف أنها جميلة ولطيفة جداً»، وسيقول له سائق التاكسي: «يا لك من رجل جيد يا سيد، أنا أيضاً لدي طفلة»، وسيتابعان الحديث، ويتابعان لأنه هناك كيلومترات مهولة للوصول إلى المطار، وعندما يصلون سيكون مساءاً، ووالدي سيقول له أن المشكلة هي بما أنه كان سجيناً سياسياً فليس لديه مال ليدفع له، ويقول له سائق التاكسي: «لا تهتم يا سيد، إنها بالكاد ثمان وثلاثون مليون، وبإمكانك أن تدفع لي عندما يكون باستطاعتك، وعندما تؤمّن عملاً»، وأبي يقول: «يا لك من رجل طيب، لك جزيل الشكر»، وسائق التاكسي: «عفواً، أوصل تحياتي إلى زوجتك، والى طفلتك الرائعة والجميلة، رحلة سعيدة وأهنئك بالعفو».

أنجيليكا بالمقابل، حقودة جداً، فعندما يعضها ساركاسمو قليلاً، ليس كثيراً لأن أسنانه صغيرة، ولا يفعلها لشيء سيئ، فهي تضربه وتضربه ومن بعدها لا تكلمه لثلاثة أيام، وأنا أعلم بأن ساركاسمو يموت من الحزن، وبالرغم من ذلك لا تعفو عنه أبداً. بالنسبة لي فساركاسميتو يثير لدي الشفقة، وأود لو آخذه معي إلى البيت، لكن غراثيللا دائماً تقول لي بأنه في المنفى لا يجب أن يكون بحوزتنا حيوانات، لأنه من الممكن الوقوع في حبهم، وفجأة ذات يوم علينا أن نعود إلى مونتيفيديو، ولن نأخذ معنا الكلب أو القطة لأنهم يبولون في الطائرات.

عندما يأتي العفو سنرقص تانغو. إن التانغو موسيقا حزينة، حيث يرقص الإنسان عليها عندما يكون سعيداً، وهكذا يعود حزيناً. عندما يأتي العفو ستشتري لي غراثيللا لعبة جديدة، لأن مونيكا صار عليها أن تتقاعد. عندما يأتي العفو لن يكون هناك حلقات ثيران، ولن تعود لتظهر لي

حبيبات، والجد رافائيل سيشتري لي ساعة معصم، عندما يأتي العفو سينتهي فقدان الذاكرة. العفو كالعطلة ستتبعثر على طول البلاد، ستصل الطائرات والبواخر ملأى بالسياح الأغنياء، الذين سيذهبون لرؤية العفو، وستكون الطائرات ملأى كثيراً، لدرجة أن الناس سيكونوا واقفين في الممرات، والسيدات سيقلن للأسياد الجالسين: «آه، حضرتك أيضاً سترى العفو!؟»، وهنا لن يكون للسيد من بد سوى أن يعطيها مقعده. عندما يأتي العفو سيكون هناك ملاعق وقمصان ومنافض سجائر بكلمة عفو، وأيضاً دمى، حيث عندما تضغط لهم بطنهم سيقولون ع - ف - و، ثم يعزفون موسيقى. عندما يأتي العفو ستنتهي جداول الضرب، لاسيما الثمانية والتسعة لأنها زبالة. أتخيل بأنه عندما يأتي أبي ذات يوم، سيمضي عاماً وهو يتكلم دائماً عن العفو. تيريسيتا تقول بأن ساندرو قال أنه في البلاد الشديدة البرودة هناك عفو أقل، لكن أنا أظن أنه لا بد أنه ليس مهماً كثيراً هناك، لأنه إذا كانت تُثلج في الخارج، وتهوج ريح متجمدة، فإن السجناء السياسيين لن يرغبوا أن يُطلقوا، لأن الزنزانات ستكون أكثر حرارة. أحياناً أفكر بأن العفو تأخر كثيراً، لدرجة أنه عندما يأتي ربما أكون كبيرة مثل غراثيللا، وسأعمل في ناطحة سحاب، وحتى بإمكاني أن أستطيع عبور الشارع والشارة حمراء كما يفعل دائما الكبار. عندما يأتي العفو ستكون غراثييلا قادرة على أن تقول للعم رولاندو، حسناً وداعاً.

الآخـر

(ضع الجسد)

فهكذا أنت تراني غريباً؟ ربما، يا رولاندو ربما! بالإضافة إلى أننا منذ فترة لم نرَ بعضنا، مع ذلك، كان علي أن أكون سعيداً، ولربما كنت سعيداً..! وهذا بالضبط ما يجعلني أصبح غريباً. هل يبدو لك ذلك مستحيلاً؟ إننا معتادون على الموت، بحيث إذا ما حصلت ولادة، تراه يتشبث بنا بشكل مباغت، كما كان يقول هاوي محلي للبيسبول (كما ترى كيف أندمج): «أخذتنا على حين غرة». بالتأكيد أنك تسأل نفسك ما الذي حدث؟ ولن تتنازل عن الاعتقاد بأن ما حدث شيء محفّز..! لا تثق، ها؟ أنا أيضاً أصبحت غير واثق، ومع ذلك فإن الموضوع الجديد خبر جيد: أطلقوا سراح كلاوديا، وأصبحت الآن في السويد، لم تكن تتخيل ذلك، ها؟ نعم لقد أطلقوا سراحها، وصارت الآن في السويد، وكتبت لي وكتبتُ لها، ما رأيك؟ ست سنوات هي مدة طويلة، لاسيما إذا ما أخذت بعين الاعتبار أنني استطعت أن أنجو، بالكاد... لكني استطعت، وهي لا. هي كان عليها أن تبتلع تلك السنوات الست القذرة، من الإذلال والتعفن والهذيان. والآن، قل لي، كيف كنت سأستمتع بحريتي؟ كيف كنت سأستمتع بعملي؟ (أخيراً باستطاعتي أن أفعل شيئاً أحبه، شيئاً يناسب مهاراتي)، لمجرد القول بصوتٍ عالٍ ما أشتهيه، كيف كنت سأستمتع بحياتي إذا ما كنت أعرف بأن

كلاوديا هناك، منفجرة، متشجعة لكن جريحة، مخلصة لكن ممتلئة بالهواجس بفظاعة؟ لدي اثنين وثلاثين عاماً، كما أني شخص قوي، وجنسياً صحيح بكامل قواي. أنت تعرف بأنه في هذا العمر، إذا كنت طبيعياً، فمن المستحيل قضاء ست سنوات دون أن يكون لديك امرأة بين الفينة والأخرى. أنا أعرف ذلك، وكلاوديا تعرفه، وهي في رسائلها كانت تقترحه بشكل مباشر وغير مباشر، كانت تبعث وتقوله لي بدون التفافات: «لا تخلق مشاكل لنفسك يا أنجيل، أنا أحبك أكثر من أي وقت، ومع ذلك لا أستطيع مطالبتك بشيء كهذا، إنك رجل شاب، كما أنك في الخارج لا تستطيع أن ترفض ما يطلبه جسدك... إنه جسدك، أنا لن اشعر بالاهانة... أبداً. أقولها لك بكل جدية، أرجوك، صدقني، ثم عندما أخرج، سنرى ما يحدث. نعم، ما زلت أحبك كما دائماً، لكن لا تبقى بدون امرأة، ولا تحكم على نفسك بالعيش دون جسد امرأة، أنا أعرف أكثر من أي أحد كم أنت بحاجة لذلك». ودائماً هكذا... كان ينقصها فقط أن تذكر لي تلك الأبيات لفاييخو: «سيأتي اليوم... ضع الجسد». كان وكأنه هاجس في رسائلها، أما أنا فأجبتها بأن لا تقلق، وأنه ربما قريباً، لكني الآن ليس لدي رغبة ولا حاجة ولا شيء، بينما كانت تصر من جديد، وهكذا حتى أخيراً سنحت فرصة لم أبحث عنها، شيء أتى بشكل طبيعي، وقررت أن أضع الجسد، أي أنني ذهبت إلى السرير مع شابة رائعة، وفعلنا ذلك، بالطبع، لكن من جانب آخر كان فاشلاً، أنا كنت أنظر إلى عضوي، تعرف؟ كما ولو كان لآخر! الأعضاء تتفاعل، طبعاً، بالاحتكاك بلحم جميل ملاصق، بإمكانهما التصرف، يهتاجان، الوصول بأنفسهم لذروة، لكني كنت كغريب في هذه المتعة! أنا كنت هناك، في زنزانة بعيدة، مثرثراً بتأبيد لامرأة بعيدة ولي، معزياً لها، دون أن ألمسها، لجروح لن تشفى أبداً، قائلاً لها كلاماً، وكلمات منفصلة، لكن بالنسبة لنا كان لها معنى ترتيلي، لأنها مثل كلمات

طقوسٍ في تاريخنا الخاص! ستقول لي بأن هذا يحدث مع كل الأزواج! آه، لكن في حالتنا فواحد كان هنا، حرٌ، لكن كان يشعر بإحساس فظيع بالذنب لحريته، والأخرى كانت هناك، محبوسة في عزلة مُصاحَبة ووحيدة، تفكر ربما بي، وبأنني أشعر بفظاعة الذنب لحريتي! والشابة التي كانت في حضني فهمت فجأة وبوضوح كل الوضع، وفهمته برغم أنها من هنا، أو ربما من أجل هذا بالتحديد، وعندما كنا مستلقين وبصمت، ننظر إلى السقف، سندت يدها بقدمي، وقالت: «لا تحزن، هذا يحدث لك لأنك شخص طيب»، ثم نهضت ولبست وذهبت بدون زيادة، بعد أن طبعت قبلة في خدي. فتخيل إذن إذا ما كان سيكون خبر جيد لي معرفة، أنه بعد ست سنوات، ستكون الأخرى، أي الوحيدة، المعاقبة، المُخلصة، طليقة حرة في السويد... ومع أصدقاء! هذه هي القصة... حتى الآن! لقد كتبنا لبعض، وتكلمنا تليفونياً، لكني أؤكد لك بأن التليفون لم يكن الواسطة المناسبة للتواصل، لأن كلانا بكى، وفي النهاية كلفنا ذلك الكثير من المال، ليس لأكثر من سماع- خلال ربع ساعة- ثلاث كلمات وأربع شهقات بكاء. منذ اللحظة الأولى كتبتُ لها بأن تأتي على الفور واشتريت لها بطاقة الطائرة، مفتوحة، لكي تسافر متى أحبت ومتى استطاعت، لكن لاحظتُ في إجابتها بعض التكتم، وبدأت أتخيل أشياء سخيفة. تخيّل الحرية التي لدى المرء، عندما يبدأ بتخيل أشياء سخيفة! أم الأسباب المنطقية لها علاقة بأذون، إقامات، جوازات سفر.. الخ.. لكن أنا اخترت الطريقة الأخرى، على الأقل بعضها، وعددتها في رسالتي الجديدة، واليوم استلمت للتو جوابها، تقول هكذا، سأقرأها لك: «أنت ما زلت تفكر بكلاوديا التي توقفت عن رؤيتها منذ ست سنوات، لكن في هذه السنوات الست حدثت أشياء كثيرة، وحتى الوجوه تتغير، وهذا التحول له إيقاع مختلف عن مرور الزمن البسيط. أعرف بأنك، مثلاً، لك نفس الشكل، فقط أصبحت بست سنوات أكثر، وهذا الطبيعي،

أليس كذلك؟ لكن أنا لا يا حبيبي، فليس لدي نفس الوجه، هذا هو التكتم الذي لاحظته أنت في رسالتي، وبما أنك تخيلت الكثير من الفظائع، فلقد اتخذت قراراً: التقطت بعض الصور، وأعترف لك برغم أنك لن تصدّق، اخترت أفضلها، وحسناً، ها أنا أرسلها لك. أنجيل، أريدك قبل أن تقرر إذا ما كان علي أن أذهب إليك، أو أن أبقى هنا، أن ترى كيف أصبحت. أن ترى كيف مضت هذه السنوات الست في عينيَّ، فمي، أنفي، أذناي، جبهتي، شعري، وأريد (أنت تعرف بأنني كاثوليكية، لهذا أطلبه منك من أجل محبة اللّه) أنه إذا كنت حقيقة تحبني وتحترمني، أن تكون صريحاً بشدة معي».

هل انتبهت يا رولاندو، إلى كل ما تقوله هذه الرسالة؟ بإمكانك قراءة كل ما بين السطور مثلي؟ لهذا كنت أقول لك قبل برهة بأنه ربما أنا سعيد، وهذا ما يجعلني أشعر بالغرابة! أن تكون سعيداً، ومع ذلك أن لا تكونه. آه، لكن لم أتخيل أبداً أنه أن تصبح سعيداً يتضمن، (هل تعرف؟) كل هذا الحزن...!

جـرحـى ومصابـون

(حيلة عاهة)

- وما الذي شـعرت بـه عنـدما قـرأ لـك الرسـالة، عنـدما قـص عليـك فيما يخص الصورة؟

- حيرة... حقيقة! أعتقد بأني شعرت بالحيرة...!

- محتار ومذنب؟

- لا ، مذنب لا ..

- ولماذا إذن حضرت بهذا الوجه المتعب من السهر؟

- لأن هذه البلبلة لا تتناسب مع إقامة حفل...

- عندما تقول بلبلة، هل تقصد ما يخصنا؟

- نعم، عما سيكون إذن؟!

- أنا لا أراه كبلبلة...

- آه، لا؟ لكنه كذلك.

- هل أنت نادم؟

- لا . لكنه ليس حفلاً...

- ها قد قلتها، أيضاً ما يخصهم ليس حفلاً...

- ما يخص كلاوديا وأنخيل؟ أيضاً لأ ، لكن على الأقل هو شفاف، ألم شفاف.. حب شفاف..

- خلافاً عن ما يخصنا، حيث هو مظلم...

- لم أقل هذا...

- لكنك توحي به، كل ما لا تقوله، برغم من ذلك فأنت تقوله، ألا تعتقد بأني لا أقول هذا لنفسي؟

- أنتِ تعلمين أنه بالنسبة لي فالشيء الوحيد الغير شفاف، أننا لم نخبر سانتياغو بذلك، أما الباقي، فلا. حقيقة أنا أحبك، يا غراثيللا وهذا ليس قاتماً.

- لماذا العودة إلى هذا؟ تكلمت حول هذا مع رافائيل، وهو أقنعني، وما زلت أعتقد بأنه كان محقاً، فذلك سيكون أشد من قاسٍ على سانتياغو... أن يعلم هذا، وأن يعلمه هناك... بين أربعة جدران...

- حسنا، لكنه الآن سيأتي.

- نعم، وأنا سعيدة لأنه سيأتي.

- سعيدة من أجل هذا، فهذا يعني القول نادمة حول الآخر؟

- لا، يا رولاندو، أنا أيضاً لست نادمة، بل سعيدة تعني (سعيدة).. لا أكثر، وسعيدة لأنه سيكون طليقاً، وهو يستحق الحرية كثيراً. وأيضاً لأنه بإمكاني أن أخبره أخيراً.

- هل ستستطيعين؟

- نعم يا رولاندو، أستطيع. أنا أقوى بكثير مما تعتقد، بالإضافة إلى أنني متأكدة، فالآن أنا أعرف بثقة بأن علاقتنا (أنا وهو) لن تمضي جيداً، كما أنني أحترم سانتياغو بما فيه الكفاية كي لا أستمر في الكذب عليه.

- يا للحياة العاهرة، أليس كذلك؟ أن يخرج بعد سنوات عديدة، فيما ينتظره هذا! أقصد: ننتظره نحن بهذا الخبر.

- لا أعرف، لكن بعد كل شيء (كما يقول رافائيل) فمن الأفضل أن يعرف هنا، بمنظور مختلف.

- أيضاً سيعلم الآخرون... الأصدقاء، هل لربما أخبرك بهذا عزيزك رافائيل؟
- لا. لكني أعرف ذلك تماماً.
- لا أعتقد أنهم سيكونون من طرفنا.
- احتمال لا، فجميعهم يحبون سانتياغو، سيكون من الصعب ذلك.
- كيف ستقولينه له؟
- لا أعرف يا رولاندو... لا أعرف...
- هل تفضلين أن نتحدث نحن الاثنان؟
- انظر، لا أعرف كيف سأقوله له! ربما سأرتجل! لكن بالمقابل أعرف بأني أريد أن أقوله له على انفراد، ولدي هذا الحق، أليس كذلك؟
- لك كل الحق، لكن ماذا عن بياتريس؟
- إنها كما ولو كانت بعيدة، وهذا أيضاً يقلقني.
- هل تعلم بأن أباها سيصل خلال خمسة عشر يوماً؟
- تعرف ذلك منذ الأحد، فالبرغم من تنبيه سانتياغو، لكني أخبرتها. هل تعلم لماذا فعلت؟ لأنني فكرت بأنه بشكل غريب ما كانت تعرف أو حدست بذلك، وأنه لربما تصرفها المبتعد ناتج عن أنني لم أكن قد أخبرتها من قبل، لكن بعد أن قلته لها، عادت مثلما كانت.
- إنها فطنة جداً اللعينة! من المؤكد أنها تشك بموضوعنا..
- هذا ما أعتقده!
- بعد كل شيء، إنها ردة فعل لا يمكن تفاديها.
- ممكن، لكنه يقلقني.
- والآن لماذا تبكين؟
- لأنه الحق معك.
- نعم، بالطبع، لكن فيما؟
- فيما قلت قبل قليل حياة عاهرة....

منـافـي
(الفخوورن بـ الألامار)

عشت لأكثر من عامين في الألامار، منطقة موجودة على بعد خمسة عشر كيلومتر من الهافانا، ممتلئة بشكل رئيسي بكتل من المساكن، شيدتها فرق من العمال من المدينة بدون توقف. إنها أحد الطرق التي وجدها الكوبيون لمحاولة معالجة مشكلتهم الاعتيادية العسيرة، بدون أن يؤثر ذلك على الإنتاج. في كل مصنع أو مكتب أو معمل، يتشكل واحد أو أكثر من الفرق من 33 عامل كل واحدة، وبما أنهم بشكل عام ليسوا عمال بناء، فإنهم يبدؤون بكورس عام، ثم يُكرَّسون لإقامة أبنية من خمس أو إثني عشر طابق، لتصبح فيما بعد مشغولة بزملائهم (أو ربما هم أنفسهم) الذين بحاجة ماسة لمنزل. الفراغ العملي الذي تتركه كل فرقة في مركز عملها يعوّض بساعات إضافية يقوم بها الآخرون. بدايةً، أتت الفكرة من قبل العمال، وما كان على الحكومة إلا أن تعطي الإمكانية لذلك.

لكن هناك تفصيل إضافي يتعلق بنا مباشرة، ففي كل واحد من هذه الأبنية، تمنح الفرق شقة (إذا ما كان من خمس طوابق) أو أربعة (إذا ما كان من إثني عشر) لعائلات لاجئة من أميركا اللاتينية، وتستلمه تلك الأسر مفروشاً، مع ثلاجة، راديو، تيليفيزيون، غاز، وحتى شراشف وأطباق، كلها مجاناً.

من هنا، فالكثير من اللاتينين متمركزين تحديداً في أل الامار. الأطفال والمراهقون الأوروغوايون من المعتاد أن يكونوا هناك، إن لم يمتلكوا لغتين، فعلى الأقل يعزفون الموسيقى. عندما يلعبون ويجرون في الشوارع مع أصحابهم المحليين، يتكلمون بلهجة كوبية. لكن عندما يدخلون منازلهم، حيث الآباء ما زالوا يتكلمون بعند وبوعي لهجتهم الخاصة، يعود الأطفال اللطفاء إلى رعونتهم اللغوية.

إن الامار مكان جميل، ربما بحافلات وأشجار أقل مما يجب، لكن بهواء خفيف، و بملوحة البحر عند متناول اليد، وتآخي بدون ضجيج.

يوم 30 تشرين الثاني عام 1980، يوم الاستفتاء، عرقلة كانت قد فعلتها الديكتاتورية الأوروغوايية لنفسها، أنا كنت قد غادرت حينها الامار، إلى إسبانيا. هذا الفجر، بينما كانت أخبار النجاح الشعبي الساحق تكتب بالمانشيتات العريضة للأخبار العالمية، فكرت بأشياء كثيرة، بالطبع، لكن بين أخريات فكرت في الألامار، وبأنه كان سيكون مكاناً جيداً للإحتفال.

وعندما ذهبت في كانون الثاني الذي تلاه إلى الهافانا، كان هذا الموضوع الأول الذي تطرقت إليه مع الفريدو غرافينا. هناك أشياء مشتركة كثيرة بيننا أنا والفريدو، لكن فوق كل شيء، هناك شيئان في غاية الأهمية: الأدب، ومنطقة التاكواريمبوو في أوورغواي، وبرغم أنه يأتي من العاصمة الإدارية، أما أنا فمن باسو دي لوس توروس فقط.

«آه، تلك الليلة.» ويضع عينيه في بياض. دائما فكرت بأن الفريدو (إسمه الثاني هو دانتي، لكن لم أتجرأ أبداً أن أمزح معه، لأن اسمي الثالث هو هاملت) كان يبدو وكأنه قد خرج من أحد أفلام فيتوريو دي

سيكا، بمسرحيات زافاتتيني. آه، لكن عندما يضع عينيه ببياض، يصبح شبه توتو بالضبط..

«انظر، تلك الليلة كنا قد اجتمعنا بمجموعة من الجالية لنتحدث، ولنحتسي بعض الخمر. الاستفتاء؟ المتوقع كان الاحتيال.» بين تجاعيده المكوية تلوح تلك الابتسامة المفتوحة، ودائما مستعدة لأن تكبر، من لا يعرفه بإمكانه اعتبارها كسخرية من الآخرين، لكننا نعرف بأنه هو نفسه يسخر من نفسه، مع أنه لا ينتقد نفسه ذاتياً، وإنما يسخر من نفسه... هناك أسباب، أليس كذلك؟

«بدأنا بغناء تانغو، تانغو قديم، ربما بشكل لتعظيم الحنين! لكن زميلة، أكثر واقعية (كما من المعتاد أن يكن النساء) كانت منتهبة لما كنا نتكلمه، مسترقة السمع إلينا، ومع الراديو بنفس الوقت، ولهذا كانت البانوراما هكذا: نحن مع غارديل وهي مع الـ ب ب سي. وفجأة انتفضت: فازت الـ (لا)! فاز الـ (لا) لأكثر من ستين بالمائة! وهكذا بدون المزيد تركنا غارديل المسكين والتصقنا بالـ ب ب سي، حيث أكدت لنا الخبر.»

نفس هذا الـ 30 من تشرين الثاني، في ماللوركا، أيضاً كنت أنا قد عرفت عن طريق الـ ب ب سي، ليس قبل أبداً، تلك اللكنة الاسبانية المهذبة العذبة، بدا لي في غاية الروعة.

«خرجنا إلى الشارع بعَلَم» يتابع الفريدو، ولا أعرف حتى من أين أخرجناه! كان يجب إخبار الجميع والاحتفال به. كنا نطرق بيوت أبناء بلدنا، ولم يتردد معظمهم، مثلنا، بين الماغو والـ ب ب سي، كانوا قد ذهبوا بكل بساطة إلى أسرّتهم، لأن الإثنين هو يوم عمل. ظن الكثيرون بأنها كانت مزحة، لكن شيئاً فشيئاً أخذوا يُقنعون أنفسهم وينضمون إلى الجوقة، مندمجين في الحماس بشكل متزايد. كانت

الـضجة كـبيرة لدرجـة أن الـشرطة لم يكـن لـديها مـن حـل سـوى الاقتراب، مندهشين قليلاً أمام هكذا ضجيج في الإلامار حيث تكون عند هذه الساعة ترتاح، أو تمارس الحب. ماذا كان ذلك؟ ما الذي حدث لنا؟ تعليقنا الرئيسي كان العَلَم وبدءاً من هنا... فهموا الباقي، واقترحوا علينا بأن لا نثير الكثير من الضجة فقط، لكن لم يكن هناك أملٌ بأن نستمع للنصيحة، وفي الحقيقة، لقد انتهى الاحتفال فقط مع ظهور الشمس».

وكيف كنتم أخيراً؟ «فخورون، نعم فخورون»، ختم العجوز الفريدو، رفيعاً، مجعداً و منتصباً، عارضاً صدره كما في تاكواريمبوو.

السيد رافائيل
(نزع الأنقاض)

إنه لشيء غريب! ابني سيخرج من السجن، سيحضر إلى هنا في أي يوم من هذه الأيام، وأنا تعاملت مع الخبر بطبيعية فائقة، كما ولو كان نتيجة نبوءة. هل كان متوقعاً جداً؟ كم كان عدد الذين قضوا سنوات أقل من سانتياغو في السجن، وذات يوم لم يستطيعوا التحمل أكثر مع كربهم، أو سرطانهم، أو لقصتهم الخاصة، وماتوا؟ كم كانوا قد جنوا من خمود الهمة أو من العجز؟ مع ذلك، فمنذ البدء كنت أعرف بأنه سيخرج. بالغريزة ربما! أو لشعور داخلي لعجوز، والأكثر فضولاً بأنه عندما أخبرتني غراثيللا، وفي هذه اللحظة الأولى الحاسمة لم أفكر فيه، ولا بي، ولا بحفيدتي، ولا بالمشكلة الكبيرة التي تنتظره..! فقط فكرت بأمه، بمرسيدس. فكرت فيها، كما ولو كانت حية، كما لو أن مشروعية اندفاعي المسبب كان الذهاب مسرعاً لإخبارها، لأخبرها بأنه قريباً بإمكانها احتضانه، تعصره، تلمس خدوده، تبكي على كتفه، ما أدراني! وهكذا انتبهت إلى أنه برغم مرور السنوات، وبرغم أن ليديا اليوم، وأخريات كثر البارحة، وقبل البارحة، فما زال يوجد هناك رابط محجوز يجمعني بمرسيدس، للاسم ولذكرى مرسيدس، بزيها البني دائماً، ونظرتها الساكنة، حيث هناك في العمق لديها نقطة عاطفة دائمة، يداها الضعيفتان ولكن مع ذلك الواثقتان، ابتسامتها

الواضحة والمحكمة في الكثير من الأحيان، عاطفتها الجارفة تجاه سانتياغو. أحياناً أشعر بالرغبة (جنون كما في غيرها من المرات) بأنها كانت ترغب بأن يكون هناك رداء تتكلم من خلفه مع سانتياغو، لأن تلمس سانتياغو... تنظر إلى سانتياغو، دون أن يتدخل أي أحد في العالم (بما فيهم أنا) في فضولها، اختلافها أو في خوفها. لكن كما، بالطبع، لم يكن هناك هذا الرداء، فقد كانت تعاني قليلاً، ليس بشكل فضائحي، وإنما باعتدال، كما كان أسلوبها. لم تكن مرسيدس بشعة، ولا جميلة. كان لديها وجه شخصي جداً وجذاب، من المستحيل إخطائه أو نسيانه، كانت طيبة ومعقدة لكن مشروعة. الآن، وعلى مسافة بعيدة جداً، إذا ما كنت أريد أن أكون صريحاً بكل وقاحة مع نفسي، ربما لن أعرف كيف عترف بأنني أحببت، أو إذا ما وقعت ذات مرة في حب تلك المرأة اللبقة بشدة... أقول لنفسي هذا وعلى الفور أشعر بأني غير عادل... فمن الواضح بأنني وقعت في حبها. لكني لا أذكر. كنا نتكلم أقل بكثير مما يمكن أن يتكلمه زوجان عاديان، لكن طبعاً، لم نكن زوجين عاديين، ومع ذلك، فتلك الحوارات القليلة لم تكن مبتذلة على فكرة. كنت أحتار كثيراً، لكنني لم أكن أستطع أبداً أن أهينها، أو أصرخ فيها، أو أعاتبها على شيء، فكانت تبدو دائماً كما لو أنها ظهرت للتو من غرق، حيث لم تكن قد اعتادت بعد بالكامل على نجاتها، وكان من الصعب علي التواصل معها، لكن في المرات القليلة التي استطعت فيها ذلك، كان تواصلاً معجزاً، سحري تقريباً. ممارسة الحب مع مرسيدس، كان ربما كما ولو أنك تفعله مع مفهوم وليس مع جسد، لكن بعد عمله كان حلواً و مرتعشاً للغاية، حيث في هذا الختام كان هذا يعني وحدة أكثر عمقاً من الممارسة بحد ذاتها. فقط عندما كنت أستمع لموسيقى جميلة، كنت أسترجع نفس هذا الشعور للموديل فيليبو ليبي، عندما كنا قد تزوجنا منذ عامين، في أحد تلك النوبات النادرة لمناجاة مانحة هي تنازل

غير معتاد، كانت تقول (لنفسها ولي): «كم هو رائع أن تموت مستمعاً لأحد مقاطع الفصول الأربعة لفيفالدي»، وبعد ذلك بسنوات طويلة، بالضبط في السابع عشر من حزيران، من عام 1958، عندما كانت تقرأ، وفجأة تجمدت، بينما في الراديو (لم يكن حتى الفودافون) كانت مقطوعة الربيع تصدح. عرف سانتياغو بذلك، ولربما هذه الكلمة، (الربيع)، أصبحت ملتصقة به مدى حياته. إنه كما ميزان حرارة، صاحب عمله، طريقته. بالرغم من عدم ذكره له إلا في مرات نادرة جداً، أعلم بأن الأحداث بالنسبة له في العالم بشكل عام، وفي عالمه بشكل خاص ينقسم إلى ربيعات، ربيعية قليلاً، ولا شيء من الربيعية، وأعتقد بأن هذه السنوات الخمس الأخيرة لم تبدو له ربيعية، لكن حسناً، الآن سيخرج. هل اقترفت خطأ عندما نصحت غراثيللا أن لا تكتب له حول الواقع الجديد؟ فقط باقي اثني عشر يوماً حتى يعرفه، أو ربما يجب أن تمضي ستة أشهر أو ست سنوات حتى يصبح بالإمكان فعلياً التحقق إذا ما كانت نصيحتي مصيبة أو مخطئة. (الحياة تستمر)، تقول وتكرر الأغاني المبتذلة، وإن لم تذكره فعلى الأقل توشك أن تقوله. وكما هي الأغاني التافهة التي تقولها، نحن الرصينون نستبعد بشكل جذري هذه العاطفية، وبالرغم من ذلك، ففي كل شيء مصطنع هناك دائماً نواة للحقيقة. (الحياة تستمر)، بالتأكيد، لكن ليس لها شكل واحد للسير، فكلٌ له طريقه واتجاهه، أعرف، لأن غراثيللا قصت علي الحكاية وهي تشعر بالخجل، الحالة الشفافة لهذين الزوجين، أنجيل وكلاوديا (لدي انطباع بأنه كان تلميذاً عندي)، بالنسبة لهما فالحياة أخذت هذا الطريق بشكل حنون، مؤثر. آه، لكنه ليس قانوناً، إنه مؤثر وحنون بالضبط لأنه حصل بدون عنف داخلي، بطريقة لا مناص منها، قطعاً طبيعية أنا أثق بسانتياغو، وأعتقد بأنه برغم كل حبه واحترامه لأمه، لكن في العمق، فيه مني أكثر مما منها. أتخيل ماذا كنت أنا سأفعل، ماذا سيكون تصرفي في

حالة كهذه؟! ولذلك أثق بسانتياغو. من الواضح بأن لدي سبع وستين عاماً، وهو فقط ثماني وثلاثين. لكن هناك بياتريس، وهي رائعة، وبالتأكيد ستملأ وجوده من جديد. حتى الآن فأنا احتفظت بهذه القصة، لكن مساء البارحة قصصتها على ليديا، واستَمَعَت للمونولوج الطويل دون أن تقاطعني، ولا حتى مرة واحدة. كان لديها (هكذا اعترفت لي فيما بعد) شعورين اثنين، فمن جانب، استمتعت بتجربة الثقة، أعتقد أنه بدءاً من هذه الليلة، همست، اقترينا أكثر، أعتقد بأننا أصبحنا زوجان.. ربما! لكن أيضاً قلقت لقلقي، بقت لبرهة صامتة، لفت، وأعادت فك اللفة عدة مرات لجدائلها الجميلة السوداء، ثم قالت اتركهم نعم اتركهم، لا تتدخل إلا إذا طلبوا منك ذلك، اتركهم، وسترى كيف أن الحياة ليست فقط كما تقول، تستمر، ولكن أيضاً تتأقلم. ربما كان عندها حق. كل هذا الزلزال تركنا عرجان، غير كاملين، فارغين جزئياً، ومؤرقين. لن نكون أبداً من كنا. أفضل أو أسوأ، كلٌ سيعرف ذلك، من الداخل، وأحياناً من الخارج، ولقد مررنا بعاصفة، رياح شديدة، وهدوء الآن له أشجار ساقطة، أسقف محطمة، سقوف بدون أنتينات، حطام، حطامات كثيرة. علينا أن نعيد بناء أنفسنا، بالطبع: زرع أشجار جديدة، لكن ربما لا نستطيع إيجاد نفس الأحجام في المشتل، نفس البذور... بناء بيوت جديدة، رائع، لكن، هل سيكون جيداً بأن يقتصر المهندس على أن يعيد تصميم الشكل السابق بإخلاص، أو ربما بشكل قاطع من الأفضل أن يعيد التفكير بالمشكلة، وأن يرسم مخططاً جديداً، حيث سُتراعى حاجاتنا الحالية؟ نزع الأنقاض، ما أمكن، لأنه سيكون هناك حطاماً لا يمكن لأحد نزعه من القلب... ومن الذاكرة...

خارج الأسوار

(الرجل ربط الحزام)

ها قد انطفأ ضوء (رجاء ربط الحزام) أي أنني أستعيد حياتي، ومضيفة الطيران جميلة (عندما تعطيني عصير البرتقال أرى أن أظافرها بلون وردي شاحب متواضع ولكن مُعتنى فيها للغاية) ألاحظ بأن قبعتي تلفت انتباهها قليلاً لكني لن أنزعها ولا حتى على جثتي..

خمس سنوات، شهرين، وأربعة أيام، وما زلت موجوداً..! برافو..! إنها ألف وثمانمائة وتسع وثمانون ليلة.. باه..!

كم أنا نعسان! ومع ذلك أريد أن أستمتع بشكل كلي بهذا التغيير (معرفة أن بإمكاني نزع حزام الأمان، ووضعه برصانة، بينما أسمع همس اليعاسيب) ليس هنالك أي من الركاب الثلاثمائة يستمتع باليعاسيب كهذا الخادم..

تترك لي مضيفة الطيران صحيفة، وأطلب منها أخرى (وتنظر عندها إلى القبعة، وتترك لي الصحيفتين)، هكذا فأي قنبلة نيوترونية ها. ستبقى السجون وليس المساجين، لكن أيضاً الملايين وليس المليونيرات، (ستبقى المدارس وليس الأطفال، ولكن أيضاً المدافع وليس الجنرالات) آه والصاروخ الذي سينطلق من هامبورغ، ربما يسقط في موسكو، لكن بإمكان الجواب أن لا يقع في هامبورغ، وإنما في أوكلاهوما تغييرات، تغييرات، تغييرات...

يا للنعاس! ومع ذلك أريد أن أتذكر كل الوجوه لأناسي هناك (الذين بقوا) هانيبال ليس رقم، إستيبان ليس رقم، روبن ليس رقم، كانوا يريدون أن يحولونا لأشياء لكن كنا قد أحبطنا مسعاهم، أخي إستيبان أنت عندك نَفَس لفترة، عليك أن تساعد من ليس عندهم نَفَس، آه لكن من سيساعدك..؟!

يا له من حقد! ومع ذلك لم أكن أرغب أن أضيّع نفسي فيه (خلال السنوات الأولى سقيته يومياً، كما ولو كان نبتة غريبة) ثم فهمت بعد ذلك، بأني لا أستطيع أن أمنحهم هذا المجد، بالإضافة إلى أنه كان هناك الكثير من الأشياء لأفكر وأبرمج وأحلل وأعمل، أما هم سيتعفنون وحيدين هذا هو الأمر..

بالنسبة لأندرس، فقد استطاعوا جرّه إلى الجنون (ربما حصل هذا له بسبب البراءة الشديدة والإيمان الشديد بالإنسان) كان يفاجئه كل شيء، فكّر بأنهم وصلوا حتى هنا وانتهى الأمر، وأنه لا يمكنهم أن يكونوا بهذه القسوة.. لكن كانوه.. («سأقنعهم» وأخذ يحدثهم فحطموا له فمه)، براءة شديدة.. لذلك جُن..

أعرف من ساعة جاري بأنني نمت لأكثر من ساعة (بإمكاني التفكير أفضل)، أشعر بالخفة، وأقرر أن أذهب إلى الحمّام (لقد تخيلت هذه الحرية بأن أذهب إلى الحمام كل المرات التي يرغب بها المرء) التبويل الأول لرجل حر... نخبك...!

على يميني رجل يقرأ التايم، ومن الشمال يوجد الممر، كيف سيكون لدي مزاجاً لعالم من التطورات والتشوهات؟ سيكون حظي في غاية السوء لو انفجر الكوكب بعد أن خرجت للحرية الآن..!

بياتريس.. يا له من حفل ذلك الذي ينتظرنا!، الحقيقة أنني لا أعرف بالضبط ما الذي ينتظرني!، فعلياً.. هناك مشكلة، أعرف أن هناك

ثمة مشكلة، ففي رسائل غراثيللا الأخيرة لم تكن طبيعية، وليس الأمر مجرد قراءة ما بين السطور... أحياناً يبدو لي أنها مريضة ولا تريد أن تخبرني بذلك، أو ربما كانت الطفلة، على كل حالٍ لا يجب التفكير بذلك، يا له من حفل ذلك الذي ينتظرنا يا بياتريس، لكن حتى العجوز أصبح مبهماً، وأرجعت ذلك في البداية للرقابة، لكن لا..!

خمس سنوات... مدة طويلة. غراثيللا بالتأكيد رائعة، لكن المنفى شقٌ يكبر يومياً، غراثيللا رائعة، ولدينا الكثير من الماضي المشترك، وهذا بالتأكيد له وزنه، أحبها بتصميم، وكيف لن أحبها..؟! لكن هذا الشك المجنون قليلاً لا يساعد الحب، وعلى الأغلب أنا لست عادل..!!

لقد أجابني العجوز في الصميم عندما طرحت عليه موضوع اميليو، كان ذكياً ومنطقياً، لكن قاتماً بعض الشيء، رغم أنه لدي انطباع بأنه فهمه بالضبط، مما جعلني أصبح بحالة أفضل، ولم أعد أحلم باميليو ومنزلته. حدثني هانيبال طويلاً عنه، لكن دون أن يعرف شيئاً عن التفاصيل بالطبع، هو عاناه في جسده الخاص، ويبدو أن ايميليو كان وحشاً بكل المعاني..!

يا سلام على صوت اليعسوب، أيها السادة أنا أطير...

تبتسم لي مضيفة الطيران، وأنا ابتسم لها، ربما أثارتها القبعة... لكني لن أنزعها...

ماذا كانت ستفكر أمي عن كل هذا..؟ ربما كان من الأفضل أنها لم تره ولم تشعره.. كانت تتكلم قليلاً، ولكن معي.. نعم كانت تتكلم كثيراً، بينها وبين العجوز كان هنالك أرض لـلا أحد، لكن في بعض المناسبات كانا يتعديانها، أحياناً هو، وأحياناً أخرى هي، وكان العجوز دائماً محتار قليلاً، ولم تكن هي أقل من ذلك، لكن أمي كانت تستمتع بأن تقول لي في السر كم كانت تحبه، ودائماً تحت القسم بأن لا أفتح فمي بذلك أبداً. أمي الجميلة ما زلت أشتاق لها..

بعد هذه السنوات الخمس من الشتاء، لن يسرق أحد مني الربيع...

الربيع كمرآة... لكن مرآتي لها زاوية مكسورة، لم يكن هناك مفر من ذلك، فلم يكن بإمكانها أن تبقى كاملة بعد كل هذه السنوات الخمس العميقة، لكن برغم وجود زاوية مكسورة، فإن المرآة تنفع، والربيع ينفع...

نيرودا شديد الدهاء كان قد سأل في أحد أناشيده: «الآن يا ربيع قل لي... لأي شيء تنفع... ولمن تنفع..؟!»، من الحظ أني تذكرت، لأي شيء تنفع؟ أنا أقول أنه لإنقاذ أي أحد من أي بئر، إن الكلمة وحدها تشبه طقوس الشباب. ولمن تخدم... حسناً، انطباعي المتواضع يقول أنك تخدمين الحياة، مثلاً عندما أتلفظ ببساطة (ربيع)، أشعر أني قابل للحياة، ومتحمس وحي....

يبدو أني حركت شفاهي، عندما تلفظت بكلمة ربيع، لأن الذي على يميني نظر لي بحذر، مسكين... لدي انطباع أنه لا يعرف سوى قول (شتاء)، على أية حال كان من الممكن أن أكون أصلي، فما باله بي...!؟

زاوية مكسورة، ربما حطمتها غراثيللا الجديدة... غراثيللا المبتعدة، لكن هذا جنون بالتأكيد، وهي ستكون بانتظاري في المطار مع بياتريس والعجوز، كل شيء سيبدأ من جديد، عادياً طبيعياً، رغم أن المرآة ربيع لها زاوية مكسورة، وهذا سيبقى دائماً... وسيبقى هذا الكسر...

حالما أستطيع، سأشتري لنفسي ساعة.

تعطيني المضيفة صينية الطعام، وآخذا بعين الاعتبار ظرفي كمحتاج، وخارج لتوي من الزنزانة، فقط أطلب كوكا كولا، لا كتنازل ايديلوجي وإنما لأنها مجانية، وسلطة محار مع بستيك من الخوخ في القطر. يمتلئ فمي بلعاب غير مصدق..! لطيفة هي الملعقة، بودي لو أسرقها، لأشعر ذات مرة أنني مجرم عادي...

أفكر ملياً بالأمر، ليس شيئاً مهماً أن تكون غراثيللا في رسائلها

الأخيرة مقتضبة ومبتعدة، سأتمكن من تقريبها مجدداً، البند الأول هو أنني سأقبّلها، كم مرة تناقشنا صارخين، متفوهين بأشياء غبية جداً وقاسية جداً، وفجأة كنا ننظر إلى بعضنا مندهشين، وعندها كنت أذهب لتقبيلها، ومرة أخرى كان العالم يعود ليصبح مرتباً، أو أفضل القول في فوضى رائعة، لكن هكذا و لبرهة طويلة يبقى فمها مغطى بفمي، وهي ما تزال تلومني على ما لا أدري، لكن كل مرة أنعم، وأشد حنية، وكان ينتهي بهمس، وأخيراً هي كانت تقبّل. بند ثانٍ... سأقبلها. الحقيقة أنني لم أقبّل منذ خمس سنوات، وهذا فقط بإمكانه أن يجنن أياً كان...

خمس سنوات، شهران وأربعة أيام، هي ربما وقت أكثر من طويل كثمن لخطأ ما، إنها تقريباً ثمن من حياتي المعاشة، أخطئ ثم أكون موجوداً، قالها ذات مرة سان اغوستين الخطّاء، وأفكر مرات أنه ما الذي كان سيحصل لي لو كنت عاملاً وليس عضواً في هذا القسم من السياسة، ربما كنت سأذهب إلى السجن على كل الأحوال، أكيد، لكن لربما كنت تأقلمت أفضل لنقل على الطعام، وعلى آلات التعذيب، لا لأن لا أحد يعتاد على ذلك. تعالوا لنرى ما الفرق بين ضميري الطبقي، والضمير الطبقي لبروليتاري، وقبل كل شيء أنا أيضاً عامل، لكن من الواضح أن طقوس العمل هي حالة عائلية. هانيبال كان بروليتاريا وخايمي أيضاً، وبالنسبة للعسكريين كانوا أرقاماً مثلنا، لا يستطيعون التفريق بينهم، على الأقل يجب تعليمهم أن هناك أرقام عربية وأخرى رومانية، فبهذه المقارنة تعلمّنا جميعاً، وفي الحقيقة تجمعُنا...

من الواضح بأن البروليتاري دائماً أكثر ثقة، صعب الانقياد للتقلبات النفسية التي عادة ما تواجهنا، لكن بالنسبة للإخلاص، فبإمكاننا جميعاً أن نكون كذلك عند الحاجة، وأنا أقول ما يطرأ على ذهني، فهم ربما أكثر طبيعية وأكثر تواضعاً، ونحن بالمقابل نشرح لأنفسنا في العمق مسألة

التضحية، ونُخرج من كم اليد كل المبادئ التي كنا قد جمعناها، محطمين كل الأسباب المشرفة الموجودة لنصمت، أي أن البروليتا يعقّدون حياتهم بشكل أقل، يعانون ونقطة، يصمتون ووداعاً.

يجب العودة لكن إلى أي وطن؟، أي أوروغواي أيضاً سيكون لديه زاوية مكسورة، ومع ذلك سيعكس الواقع أكثر منه عندما كانت مرآته عذراء... يجب العودة، لكن إلى أي ربيع؟ لا يهم في أي حالة فاجعة سيكون، لكنني أريد استرجاع ربيعي الذي غطوه بأوراق جافة، بثلج يذاع في التلفزيون، بسانتا كلاوز متعرق مع تلاميذ فائزين بمونديال، ومونديال آخر خاسر، بمساعدين قليلي الكفاءة.. لكن ما يجهلونه أنه تحت هذه الطبقات من القذارة ما يزال هناك الربيع القديم والجديد، ربما بزاوية مكسورة، لكن بحقول من القمح والأزهار اليانعة وتانغو ممنوع، والرقاصات الشعبية، والمركزية العمالية، ومتمردين، والقانون الاجرائي، واللجنات الأساسية، وشعب لا يُحكم، وطريق مصممة بشكل خاص وجامعة ومتة مرة، والقرارات، يجب العودة إلى الشكل الطبيعي، والأوروغواي بزاوية مكسورة سيظهر بدون غرور هذا المقطع الناقص بخط مستقيم، والعالم سيحضر، سيفهم، سيحترم...

أخذوا الصينية. تؤلمني الآن ركبي قليلاً، كيف وصلت الأمور إلى أن يبدو لي أن تؤلمني ركبي أمر جيد..؟!

سيقان غراثيللا، أفخاذ غراثيللا، غابة غراثيللا...

ماذا يفعلون أناسي الآن هناك..؟؟

بينما ما زال الصوت الناعم لليعسوب يضرب، نام السيد صاحب جريدة التايم على كتفي. كنت أعتقد بأنني أستحق حظاً أفضل، وللحظ شابة كانت على يمينه عطست بحظ وبتوق، استفاق الجار مذهولاً استقام وهمهم آسف، (تقع التايم باتجاهي وأنا ألتقطها) في السجن كان بإمكاننا

قراءة مجلة كلاوديا، يا لوسعها لا أدري مما يشكي الصليب الأحمر؟ يجب النوم، لكنني لا أثق أن لا أستند في هذه الحالة على الكتف الحاد لجاري..

لا أستطيع... اكتشفت الآن أن ما يحدث هو أن القبعة تحكني، لكني أقسم بأني لن أنزعها...

يجب البدء من الصفر، كما ولو كنت حديث الولادة، وأنا كذلك، كما الشعرات الجريئة حديثة الولادة التي تزعج تحت القبعة...

لنرَ ما لدي رغبة بامتلاكه، عملية صراحة، أولوية رقم واحد: ساعة، بعدها قلم صالح، ويا للعيب... لعبة بينغ بونغ بشبكة وكل شيء. كيف كنا نلعب هناك في سوليس، مع سيلفيو ومانولو وأيضاً مع ماريا دل كارمن، كانت فظيعة اللعينة!، كانت دائماً تسيطر على الطابة على الطريقة الصينية، وكانت عندما تضربها تفعل ذلك بتأثير مدهش، رولاندو لا.. كان رولاندو ينظر بسخرية من جانب، ودائماً بنفس الطريقة، أنا لا أفهم كيف لأناس بهذا الذكاء والجدلية أن يأخذوا وعلى محمل الجد تلك الطابة السلولويدية، وسيلفيو بين ضربة وضربة كان يذكّره «أنظر إن ماوتسي تونغ بطل»، «لهذا لا يمكن أن أكون ماوي» كان يقول رولاندو، «لا تصصصصرررفوا نظري» كانت تصرخ اللعينة، «في هذا يجب علي التركيز كما في الشطرنج»، «كما في الشطرنج، وفي الجماع المتقطع» كان يجيب رولاندو والدخان يخرج منه، «خنزير.. خنزير» كانت تصيح مرة أخرى اللعينة «لا تصرفوني فالرفيع يزيدني بخمس نقاط»، لكن لا الرفيع ولا أنا كنا قد استطعنا أن نفوز عليها بأكثر من واحد وعشرين إلى تسعة عشر...

وأيضاً أريد أن أتكلم واسمع وأتكلم وأسمع أكثر إلى تلك الحوارات المتقطعة مع هانيبال أو إستيبان، وفي مناسبات محددة، طالت شهرين موزعة على أربع منتصفات ساعة (ثلاثين دقيقة) في خمسة عشر يوم في الفسحة..

رولاندو شخص رائع، برقصات التانغو، بنسائه، دائماً كان يتجول مثل الفراشة، حتى صار مسيّس، أو بالأحرى سيّسناه، لكنه كان حالة خاصة، كان يسمي نفسه بشكل آلي ودون ندم (عازب)، من يعرف إذا ما كان لايزال منتصراً؟، سيقع، لا بد من أن يقع، كيف أعّرف ذلك؟! محروم أنيق، فارس مجنون، كان مانولو يقول أنه كان دوق سيئ الحظ، وفي النهاية كنا دائماً نقول له الدوق، وبما أنه كان ناعماً، فعندما كان يطلب سلطة الهندباء أو لا شيء، عندها تمسّك سيلفيو بهذا اللقب النبيل وبقي له لقب دوق الهندبة، وكان هو يحب ذلك، ذات مرة في التشاخا قدموا له زوجة دبلوماسي نرويجي وصلت حديثاً، عندما قبّل يدها همس لها ببطء وهي تلبس شورت قصير بخيوط في أسفله، سيدتي... في خدمتك دوق الهندبة، بينما كانت المسكينة الاسكندنافية كما لو أن أحداً قال لها بطاطا مقلية...!

ما زالت تزعجني ركبتي، لا بد أنه التهاب المفاصل مرة أخرى، لكنني الآن سأمارس التمارين الرياضية، وبعد الستة أمتار المربعة، فإن أي مكان قذر آخر سيبدو لي وكأنه صالون الخطوات اللا منتهية...

أنا سعيد، لا أعرف إذا ما كان يبدو علي ولكنني سعيد، آمل أن لا يبدو علي، فالذي على يميني سيعتقد أني قرصان جوي، لكني من الأرض يا سيد، أنا من الأرض... يا للفضول إنَّ القراصنة الوحيدين الذين عفى عليهم الزمن تماماً هم القراصنة البحريون، شركة القرصان ساندوكان وآخرون مثله...!

الأصدقاء... اللعنة، لسيلفيو ليس بعد الآن، لكن رولاندو ومانولو سأجدهم، حسناً... يبدو أن الدوق موجود في المكسيك... يا سلام، ومانولو في غوتينبرج... انفصل عن العمة، ربما الإثنان لديهما حق، الذنب ليس فيهما، بل في هذه الصدمة التي مرغّتنا جميعاً، بالإضافة إلى أن المنفى يدمر يسحق، المنفى أيضاً ماكينة، يجب إلقاء اللوم على أحد ما في كل

إحباط... في كل كرب، وبالتأكيد ذلك سيؤذي الشخص الأقرب، إن شاء الله أن بين غراثيللا وأنا لن يحصل هذا...

أيضاً لدي رغبة برؤية البحر الآن...

بعد كل شيء خرجت أفضل مما دخلت، يا له من أسبوع أول، حسناً... يكفي يكفي أنا نفس الشخص وأنا الآخر، وهذا الآخر أفضل ويعجبني هذا الآخر الذي أصبحته..

الربيع لم يصبح بعد في متناول اليد، الربيع لن يصل غداً لكن ربما بعد غد، ريفان النيتروني العنيد لن يستطيع منع وصول الربيع بعد غد...

رائحة الإبط هذه ليست لي..

تفكير عميق، الوحدة اللاتين أمريكية لديها في هذه الفترة محركان أساسيان.. ريفان وحرف الزد Z من النهر الكبير حتى أرض النار، نرفض الغباء والبلادة ولا نلفظ الزد Z..

آه لكن الوحدة الأخرى لا تزعج، بالطبع، فالسجن يوحد، السجن يقضي على كل الشقوق، لكن لا يجب أن تكون هي الطريقة المثلى، أعتقد ذلك..

أحياناً كان يتملكني شعور بالخوف لماذا نفيه، خوف... حيث كان علي أن أبتلع العواءات، ليس خوفاً واحداً، وإنما إخافات كثيرة، خوف من احتقار نفسي، من أن أفضّل الموت على البقاء بدون العالم، بدون العالم وبدون خصيتين، أن أنتهي كشخص مدمّر، إنه لمن المفزع أن تخاف كثيراً، لكن ما هو أشد رهبة هو أن تبتلع العواءات...

ثم مضى الخوف، وبدا كأنه من الغير معقول أن أكون ولا حتى حاذيته، شجاعاً ومُحتملاً، استطعت أن أشعر فيما بعد، وكثيراً ما كنت أغيّر مظهري، حتى أنني كنت أستطيع أن أجرب ازدراء الآخر عندما يتملكه الخوف ويكون عليه أن يبتلع العواءات، ثمة أحد في لحظة ما دائماً وعندما

لا يعوي كان يجب التفوق على هذه اللحظة القذرة، ويشعر أنه شجاعاً ومتحملاً، حتى كان بالإمكان تجريب ازدراء محدد لآخر في فخ خوفه كان عليه أن يبتلع العواءات... الخ

إن الخوف هو الهاوية الأسوأ، واحد فقط بإمكانه اقتلاعه من البئر، هو نفسه متمسكاً بشعره الخاص، ويسحب باتجاه الأعلى، شيئاً فشيئاً سيتعلم أن لا يجزع من الخوف، ببطء شيئاً فشيئاً، عندها عندما يجابه المرء الخوف، فإن الخوف سيهرب..

المضيفة ذات الأظافر الوردية الباهتة تمر عارضة سماعات الأذنين لمن يريد مشاهدة الفيلم، لكنها ليست هبة من منزل أبيها، إنها تساوي دولارين ونصف، وأنا فقير الهيئة: أو لي هيئة الفقر نفس الشيء، وأنا أقول لها بأن لا، بما أني أريد أن أنام، ربما أرغب..

أيضاً الحزن يثير الخوف، ليس فقط لصاحبه وإنما أيضاً للآخرين، فمثلاً ماذا يمكن فعله أمام الزميل للزنزانة، رجل هكذا حيث فجأة يهتز وينشج في منتصف الغبش الخالد لليالي السجن؟؟ إذهب لتعرف ماذا يتذكر أو يحن أو يأسف أو يحتمل، يصيب المرء كرذاذ عنيف، حيث من المستحيل تجنب النفس عنه، وليس تماماً لكن يصبح مزخرف حتى العظام، وعندها تبدأ الأحزان الشخصية بالاستيقاظ واحدة واحدة، فالأحزان مثل الديكة، يغني واحد ليأتي الإلهام للآخرين على الفور، وهكذا ينتبه المرء أن المجموعة ضخمة، حتى أن كل واحد له أحزان مكررة..

الفيلم عن عازفات بيانو، يبدو أنه كمسابقة عالمية لشباب موهوبين، بدون صوت لا تبدو كموسيقى وإنما رياضة، وحتى تكتمل فالاثنان هما عازفا بيانو، الشابة طويلة، والشاب مهلهل، في القسم الأول هي تسيطر، ويقبلان بعضهما طويلاً، لكن في القسم الثاني يسيطر هو، ويقبلان بعضهما بشكل مهلهل، وأنا الذي منذ خمسة سنوات لم أقبل لا طويلاً ولا

بشكل مهلهل، الفيلم بالطبع هو شمال أمريكي، لكن أحد الشابات التي تتنافس لا بد أن تكون سوفيتية، لأنه يرافقها دائماً إثنان من هؤلاء الممثلين ذوي النسب الاسكتلندي، الذين كانوا يقومون قبلاً بأدوار النازيين، والآن يلعبون أدوار الروس، بالإضافة إلى أن مدرّسة الشابة الموهوبة تطلب بشكل معروف لجوء بالرغم من أنه بهذا الفعل يجب أن تتغلب على الحب الكبير الذي تلهمه لها طالبتها المعجزة، والتي بتأثير كارثي من الماركسية اللينينية هي روبوت بجدائل، النهاية متعارك عليها، لكن الفوز كان من نصيب لوحة المفاتيح الغربية والمسيحية، بيانو بيانو..

الحفل الصامت أصابني بالنعاس، لمن المدهش رؤية كيف يضربون على الآلات في الشاشة، وفي غضون ذلك هناك من هو أكثر من أطرش، ليس هنالك أسوأ من أطرش يريد أن يسمع..

أيضاً هناك فكرة الموت، تأتي وتذهب، أحياناً تتصادف مع الموت وأحياناً أخرى لا، بداخلي عادة لم يتصادفا، في النهاية الألم يحرض خوفاً أكثر من الموت، حتى أنه بالإمكان رصد الموت كما المسكّن النهائي، لكن دائماً هناك كسرة لربيع يقاوم..

لدي رغبة بالجلوس والتحدث مع العجوز لأسبوع، لدي رغبة أن أكلمه بكل ما لم أحدثه في السنوات السابقة، معرفة ما الذي تعلمه في هذه الفترة، وأيضاً أن يعرف ما الذي تعلمته أنا، نفكر بطريقة مختلفة في الكثير من الأشياء، لكن أن نعي هذه الفروقات فهذا أيضاً شكل لتذليلها..

خلال خمس سنوات، كانت الشمس هي الأكثر تحفيزاً..

كم أصبحت بعيدة طفولة المدرسة، المعارك الدراسية، العمل، الرواتب، يبدو لي أنها أشياء لشخص آخر، أحياناً أتذكرها بتفاصيلها لكن كما لو كان ثمة من يحكيها لي في ليلة ضبابية..

كان في بوينس أيرس، عندما لم تكن قد ولدت بياتريس بعد، كان في

بوينس أيرس عندما قالت لي غراثيللا أنه لا يمكنها تخيُل أن لا أكون لها، ذات مساء ممطر كنا نمشي في الشارع ملتصقين، لنستغل الشمسية الوحيدة، عندما كانت كل المدينة خارجة من السينمات...

بالنسبة لي الدليل الوحيد على وجود الله سيقان غراثيللا..!

في السجن طرأ للكثير أن يكتبوا شعر، أما أنا لا، أنا كنت أحب أن أغني تانغو بدون صوت، بصمت بصمت في صمت مطبق، ويا سلام فلذلك لم أكن أنشز أبداً..

حتى لا أشي بأحد، حتى لا أضعف أبداً. أن ترفع سياج واحد، وأن تكون واعٍ بأنه حتى في حالة العذاب، وفي حالة الخوف، وفي حالة القيء، فإن السياج يجب أن يدافع عنها حتى الموت، شكراً يا جون فورد..

عندما يكون الواحد حر وهو قلق يشعر فجأة بآلام متخيلة، ويعتقد بأنها حقيقية، في السجن الأمر مختلف، عندما يشعر بألم حقيقي عليه أن يفكر بأنه متخيل، أحياناً ذلك يساعد..

في الخارج حتى يُشعر بالتعاطف، يجب جمع ألف من الأشخاص من التجميعات والشكاوي وحقوق الإنسان، أما في الداخل بالمقابل فإن التعاطف بإمكانه أن يكون بحجم نصف بسكوتة..

عندما يكون الشرطة أو الرقباء هم من ينظرون من الثقب ليراقبونا، لا أستيقظ أبداً، لا أعيرهم اهتمام، فقط أستيقظ منتفضاً عندما يكون الضباط بعد الثانية هم من حضروا..

لنفترض أن أصل إلى المطار وليس هناك أحد بانتظاري، لا شيء من هذا، نمحي وصفحة جديدة، لنفترض بأنه سيكون هناك غراثيللا والعجوز وبياتريسيتا..

لعب مباراة كرة يد أو كرة قدم، كان بأهمية كبيرة، كإنشاء سلالة أو اكتشاف قانون الجاذبية..

في المجموع كنت غير متواصل مع أحد لعشرين يوم، من هناك أي الجزيرة المشهورة يخرج المرء مجنون، أو يخرج أكثر قوة، أنا خرجت أكثر قوة، لكن السيئ في الأمر أنني لم أكتشف الأسلوب..

تمر المضيفة بصمت كامل بين النائمين والذين يستيقظون، تقريباً جميعهم يطلبون العفو، وينظرون بخفية للكلسون..

الشابة التي على يمين الذي على يميني نائمة تماماً، متمددة، ومن جيب جاكيتها الجميل تخرج نصف شوكة، إنها مجرد مجرمة عادية..

هذا بدا يتحرك، رجاء ربط الحزام، إيقاظ جماعي، المتمددة تعتدل وتخفي بسهولة الشوكة..

معدتي أيضاً تتحرك، ولكن مع ذلك أنا سعيد، الوقت ليس مناسباً للتقيؤ الآن، ترتفع معدتي إلى حلقي، ويسلمان على بعضهما، كيف حالك؟ كيف حالك؟ الوداع أيضاً مؤثر..

لأسباب معروفة لم أكن استلم زيارات، إنه سيء وليس سيء جداً، عندما يكون لدى المرء زيارات فإنه يتعكّر كل الأسبوع، يحاول بشكل غير ناجع أن لا يخاطر بالجزاء الأدنى، ينتظر هذه النظرة العائلية كما ولو أنها شيء مدهش، وأحياناً بالمقابل، عندما لا تكون هناك زيارات، ليس هنالك أي جزاء ينفع، حيث يشعر المرء بأنه وحيد بكل القذارة، لكن أيضاً أكثر حرية وأقل سجناً...

عندما كنت في التاسعة، أكثر أو أقل، وهو عمر بياتريس، كان هناك شيئان يستاهلان في العطل، أحدهما كان الجلوس في ساعة العصرونية على درجات المرمر بالمؤخرة باردة لأقرأ وأقرأ، وهكذا ابتلعت كل «فيرن» و«سالغاري» وحتى طرزان القرود، في مدرستنا كانت كلمة كاغودا كلمة طرزان ككلمة سرية بيننا. والأخرى كانت الذهاب إلى بيت الأعمام بالقرب من الساحل، منذ التاسعة حتى الرابعة عشر ذهبت لهناك كل الصيفيات،

لم يكن هناك أطفال آخرون، وكان علي أن أتدبر أموري بنفسي، وكنت أتسلل حتى النهر. أخبرت غراثيللا في رسالة، أو ربما في مشروع رسالة، أو في حوار عادي على انفراد، كيف كنت أصعد إلى الزورق وأجدف حتى منتصف النهر، لكن مرات أخرى كنت أبقى في الضفة، أو جالساً عند حافة الأشجار الضخمة، أو هكذا بدت لي، وكل هذا كان اكتشافاً... الحجارة، الفطريات، الحشرات، الرطوبة، أو زوجان من الكلاب القذرين حيث كانا يلتصقان ويحكان بعضهما، وأنا كنت أجهل معنى هذا الفعل الجمبازي، بينما كانا ينظران إلي ببلاهة. كنت أشعر بأنني في مركز الكون، وكنت أريد اكتشاف سر كل قشرة لكل حشرة لكل طائر، ولم أكن أتحرك لأنني كنت أعرف بأنني فقط في البقاء ثابتاً، بإمكاني امتلاك احتمالية ما لاكتشاف الخصوصية الحقيقية لتلك الغابة المصغرة، وللفضول لم يخطر لي أبداً أن أصرخ كاغودا، لأنني كنت أعرف أن الإنذار الطرزاني لم يكن له أي صلاحية، وما كان لأحد أن يفهم، ولا أن يتأثّر شعوره لتهديدي، وفي الحقيقة ظهر ذات صباح مبكر جداً ثمة شخص ما، غريب برغم أنه بعد ذلك عرفت أنه كان بإمكانه أن يكون جزء مشروع من المنظر بحق أكثر مني بكثير، كان طفلاً، لكن كان حافياً، وفي حالة يرثى لها، الوجه والقدمين والذراعين، كان فيهم وساخة بدت لي عالمية، خفت قليلاً لأنني في منتصف أحلامي، لم أستمع إليه يقترب أو ربما اعتقدت بأن الضجيج بين الأغصان كان بسبب الكلاب المتسكعة التي تكون دائماً، وكما أني خفت، ضحك هو قليلاً، لم يضحك كثيراً كما ولو أنها غصباً عنه، وجلس قبالتي فوق جذع، قال: مرحباً وهو يصدر صوت تنفس، أحياناً كان يحرك الرأس أو اليدين ليخيف البعوض، سألته: هل أنت من هنا، فنفخ نفساً آخر، أنا لم أكن أعلم ما أفعل، ولا المبادرة التي علي اتخاذها، وعندها خطر لي أن ألتقط حصوة، محاولاً أن أستجمع قوة هائلة للحد الأقصى الذي أقدر عليه، رميتها باتجاه

النهر وغرقت هناك بجانب الزورق، عندها ابتسم هو من جديد وأصدر نفساً، ووقف والتقط أيضاً حصوة، وتقريباً بدون جهد، واضعاً الذراع قليلاً جانبي، رماها أيضاً باتجاه النهر، وتلك الحصوة الضئيلة لم تصل إلى مسافة ضخمة، كما كانت تعطي قفزات فوق الماء تقريباً هادئة، وعندها أنا شعرت أن صدري يمتلئ بالتقدير، وقلت له فظيع، وصفقت وضحكت، ولا أدري كم من الأشياء الأخرى فعلت، حتى ينتبه هو كيف اندهشت، وفي النهاية قلت له بأنه بطل، وعندها نظر إلي بدون أن ينفخ هذه المرة، وتكلم للمرة الأولى: أنا لست بطلاً لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي أعرف فعله..

بهذه الخلفية لذكريات برية، وطفولة قصية، أعتقد أني بدأت أنعس، سأقول عساكر لنرى إذا ما كنت سأنام..

وهكذا مرة أخرى رجاءً ربط الحزام، حسناً حسناً، لا بد أني غفوت لساعتين، السيئ أنني حلمت مجدداً باميليو..

بياتريس

(المطارات)

المطار: هو مكان حيث يصل إليه الكثير من التاكسيات، وأحياناً يكون مليئاً بالأجانب والمجلات. في المطارات، هناك الكثير من البرد، حيث يضعون دائماً صيدلية لبيع الدواء للأشخاص المعرضين للإصابة، أنا معرضة منذ كنت صغيرة. يتثاءب الناس في المطارات تقريباً بكثرة، كما يحصل في المدارس. في المطارات الأمتعة دائماً تزن عشرين كيلو، ولهذا بإمكانهم أن يوفروا آلات الوزن. في المطارات لا توجد صراصير، أما في بيتي توجد صراصير لأنه ليس مطار. لاعبي كرة القدم والرؤوساء دائماً يصورون في المطارات، ويخرجون بشعر مصفف جيداً، لكن مصارعي الثيران تقريباً لا، أبداً، وأقل منه الثيران. ربما ذلك لأن الثيران تحب السفر في القطارات، وأنا أحبه كثيراً أيضاً. الأشخاص الذين يصلون إلى المطارات هم معانقون جداً. عندما الواحدة تغسل يديها في المطارات تبقى أكثر نظافة لكن مجعدة. أنا عندي صديقة تسرق ورق صحى من المطارات لأنه أنعم كما تقول. الجمارك وعربات الأمتعة هي الأشياء الأجمل الذي يمتلكه المطار، ففي الجمارك يجب فتح الحقيبة وإغلاق الفم. تمشي مضيفات الطيران ملتصقات حتى لا يضعن. إن المضيفات ألطف بكثير من المعلمات، وأزواج المضيفات يسمون طيارين.

عندما يصل المسافر متأخراً إلى المطار، هناك شرطي ينتزع جواز السفر، ويضع له ختماً يدل على أن هذا الطفل وصل متأخراً. من بين الأشياء التي تأتي إلى المطار هناك مثلاً أبي. المسافرون الذين يأتون دائماً، يحضرون هدايا لبناتهم الحبيبات، لكن أبي الذي سيحضر غداً لن يحضر لي أي هدية، لأنه كان معتقلاً سياسياً لخمس سنوات، وأنا في غاية التفهم. نحن نزور المطارات لاسيما عندما يأتي أبي. عندما يكون المطار في إضراب، يكون أسهل بكثير الحصول على تاكسي للمطار. هناك بعض المطارات حيث بالإضافة للتاكسيات فيها أيضاً طائرات. عندما تضرب التاكسيات فإن الطائرات ليس بإمكانها الهبوط، لذلك إن التكسيات هي الجزء الأهم في المطار.

الآخــر

(من الآن ارتجال)

عنـد هـذه المواصـيل توقـف رولانـدو اسـويرو عـن الـسؤال، صـنع بالغصب إجابة، وأيضاً هو مقتنع بإخلاص. الآن ما ينقص هـو الـذهاب إلى المطار ومواجهة الماضي، الحاضر والمستقبل كلهم مجتمعون. ربما غـراثيللا محقة والأفضل هو الارتجال. الارتجال حول أمر ثابت، هذا واضح. لكن ما العمل عندما يصل سانتياغو ويحضنها وبياتريس لانهما أسـباب حياته؟ ما العمل؟ أين وضع الأيدي؟ إلى أين النظر؟ ما العمل عندما يحضن سانتياغو رافائيـل؟ وهـذا يمـسد لـه قليلاً عنقـه، لأنـه تـصرف خـاص بهـذا الجيـل المتقاعد. وماذا يفعل لاسيما تبأ عندما يعانقه ويقول له: «يا للحظ أيها الدوق أنك هنا؟» «في الطائرة كنت أفكر فيك، يجب معاودة جمع الشلة القديمة، ما رأيك؟» وأي وجه ستضع غراثيللا عندما ينظر هو إليها، في منتصف العناق، من فوق كتف سانتياغو. مع ذلك، يعتقد هـو بـأن اللحظات الأسوأ هي التي ستأتي فيما بعد، عندما تخبره غراثيللا أخيراً، والذي وصل لتوه يبدأ إعادة بناء المهزلة في المطار، ليجد نفسه سخيفاً، ليحتقر نفسه، ويحتقرنا، لأننا جميعاً كنا نعرف الأمر ما عداه، ويبدأ بإعادة تذكر ما حصل، القبلات والعناقات في المطار لغراثيللا أمامي، وعناقه لي أمام غراثيللا، سيكون ذلك قاسياً، ومن الصعب تجاوز تلك الذكرى التي حصلت

عند وصوله. كيف لي إقناعه بأن كل شيء جرى لوحده؟ بأن أحداً لم يتقصده، وبأن تلك الرفاقية القديمة للأصدقاء السبعة هي التي كانت السبب في هذا التقارب، وفي النهاية لهذا الحب، «لأنه حب، يا سانتياغو، وليس مجرد مغامرة، هذا ما هو جيد، وما هو فظيع»، يفكر رولاندو، هذا ما سيبرر بعد كل شيء إنسانياً لغراثيللا ولي، لكنه أيضاً سيجعل من سانتياغو خاسراً قسرياً، قسري؟ السؤال المنطقي هو إذا ما كان سيستسلم أو سيحارب؟ إذا ما كان سيقبل الأفعال بشكل عنيد، أو إذا ما كان سيلعب ورقة الذكاء، سيقول لغراثيللا: «لن نحل شيئاً اليوم، خذي بالاعتبار أنني وصلت للتو، خارجاً للتو من السجن، وعلي أن أعتاد ليس فقط على هذا الوضع الجديد، وإنما على العالم بشكل عام، يفضل أن نتكلم، أنا أقول ليس الثلاثة، وإنما نحن الإثنان اللذان عشنا كثيراً في السرير معاً، لماذا علينا أن نعتبره منتهياً عندما يكون كل الوقت أمامنا؟ قبل أن نحل دعيني أستمتع قليلاً ببياتريس، دعيني أكلمها طويلاً، ليس عن هذه المشكلة، كوني مطمئنة، فآخر ما أقصده هو الإساءة لصورتك لديها، وأيضاً سأكلم رولاندو لكن فيما بعد، فحتى الآن يبدو لي كل شيء مذهلاً، وكل دقيقة أتخيل بأنني سأصحو من غفوة في الطائرة». طبيعي، هذا التغيير على فكرة محتمل جداً، لاسيما أنه يعرف سانتياغو جيداً، فعندما يقترح على نفسه أن لا يفقد الهدوء عادة ما يستطيع ذلك، وهنا الموضوع يتعلق بعدم فقدان الهدوء ولا المرأة. أيضاً يفكر رولاندو بأن هذا ما كان سيفعله لو كان سانتياغو. حالياً، يمسك بسالف له ويرفع حاجبيه، يود لو أن يصل كل شيء لخاتمته. في الحقيقة، إنها غراثيللا التي تمتلك القرار الأخير، وبما أن سانتياغو من جهة، وهو من أخرى، يريدان البقاء معها، النوم معها، العيش معها. وربما هنا تكمن الميزة المنخفضة التي يمتاز بها رولاندو اسويرو عن سانتياغو، لأنه يعرف بأنه في دلالات الأجساد فإن غراثيللا وهو يتفاهمان

بشكل رائع، وبالإضافة إلى أنها في الأوقات الأخيرة أعطته مرات متكررة تأكيداً حنوناً، تطميناً وحشياً، بأنها ستبقى معه وليس مع سانتياغو. أما بالنسبة لميزة سانتياغو فبالإمكان تسميتها بياتريس، لأنه كذلك، فعلى ضوء الأحداث والقرارات، فإن سانتياغو يريد أن يأخذها معه، لم يعد متأكداً بأن غراثيللا، كونها أم وبأنها بكاملها لبوة، لتتخلى هكذا بكل بساطة و تفقد الطفلة، والتي منطقياً هي مبهورة بأبيها حيث قضى خمس سنوات في السجن، وهو يعني الكثير بالنسبة لها، لكن حسناً، يقول رولاندو اسويرو بينما كان متجهاً إلى المطار، هل هذا الوضع، لا نقول مثالي، لكن هل هو معقول على الأقل؟ ما الفائدة العميقة التي بإمكان سانتياغو أن يخرجها من اتحاد بالغصب، حيث تكون الطفلة مجرد سبب للابتزاز؟ على فكرة هذه الكلمة لا تعجبه، يعترف بأنه تقليل من احترام لسانتياغو، ويقرر محيها عقلياً من المخطط، لكن الجنس البشري شيء لا يمكن التنبؤ به بجدارة. أيضاً ربما يخطر لسانتياغو أنه يفضل امتلاك غراثيللا في علاقة ضعيفة على أن تكون في سرير رجل أخر، برغم أن هذا الآخر يكون صديق روحه، أو ربما من أجل هذا التفصيل بالضبط والذي ليس تافهاً تماماً. حسناً، ها هو أخيراً المطار، يهبط رولاندو من الحافلة في حالة عميقة من التفكير الداخلي لدرجة أنه كاد أن يقع بسبب أحد درجات السلم.

خارج الأسوار

(*arrivals arrives llegadas* وصول)

غريب، أحس بالغرابة وأنا أدوس هذه الأرض، من حسن الحظ أنها تمطر، كل شيء يتساوى وتصبح الشمسية هي القاسم المشترك للإنسانية، على الأقل الإنسانية اللاجئة..

أشعر أني غريب، لكنه شعور سيمضي، لا أحد يموت من الغربة برغم أنه نعم بالإمكان الموت من الحنين، ما يحدث أنها اجتمعت الكثير من الأشياء: الخبر، وداع أصدقائي هناك، الإجراءات التعيسة، ابتسامة متبجحة للضابط ما قبل الأخير، حقول، الخروج بدون أحد لي، الرحلة.. الرحلة الطويلة بأحلام وتأملات ومشاريع، حسناً والوجبات، كيف لن أشعر بالتشوش بعد خمس سنوات من الطعام التعيس..؟!

الموظف الذي ينظر طويلاً في الوثيقة، في الحقيقة يمكن لأربع دقائق أن تصبح لا منتهية، «لو سمحت هل تنزع القبعة» ومقارنة متأنية بالصورة، دائماً جدّي، لكن كلاعب كرة، كما آخرين، نعم مثل آخرين، فقط عندها ابتسامة والوجه الحار ليتحول إلى رائع، «حظاً سعيداً يا صديق» قال لي: حظاً سعيداً يا صديق..! ·

والآن انتظار الحقائب، حقيبتي المسكينة ستأتي أو لا تأتي، هذا

سيتأخر، والذين ينتظرون، كومة الرؤوس خلف الزجاج، لو كان بإمكاني رؤيتهم... إيجادهم...

لكنهم موجودون، إنهم هم طبعاً، إنهم هم، كما يقول الشرقيون: الوطن أو القبر، يا عمال العالم اتحدوا، وجدتها، الأزرق السماوي، فيات فاخرة، إعرف نفسك أيها الوطن.. أيها الموت سننتصر، عاش الذين يحاربون، اللعنة يا للسعادة...

غراثيللا والعجوز، وذلك الشيء الرائع الذي يجب أن يكون طفلتي، غراثيللا جميلة، ما أجمل التفكير أن هذه هي امرأتي!، بياتريس... يا للحفل الذي ينتظرنا!، وهذا الآخر الذي يرفع ذراعيه، لكن إنه الدوق... لكنه دوق الهندبة شخصياً...

بالما مايوركا
تشرين الأول 1980
إلى تشرين الأول 1981

فهرس

ربيع بزاوية مكسورة

لو كنت أعلم أنني سأموت غداً
وإن الربيع سيكون بعد غد،
كنت مت سعيداً،
لأنه سيكون بعد غد
«فيرناندو بيسوا»

تقويم منتهي، مرآة مكسورة
«راؤول غوتز اليس تونيون»

صورة الغلاف: علاء شنانة







